
رواية
باسكاليا


حسني محمد


مدونة ابو عبدو


أبو عبدو البغل


الطبعة الثانية

باسيكاليا

حسني محمد

باسيكاليا - رواية

الطبعة الثانية مارس 2013

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2013/2719



insanfirst@gmail.com

01279296342-01119836110

محلة مرحوم - بجوار السنترال العمومي -طنطا

المعهد المصري الديمقراطي - 4ش دكتور شاهين متفرع من ش نوال بالدقي - القاهرة

تصميم الغلاف : احمد فرج

المدير العام : طارق عميرة


باسيكاليا

حسني محمد


HUMAN
for Publishing and Distribution
دار إنسان للنشر والتوزيع

تنويه هام

يحتوي هذا العمل علي بعض المعلومات العلمية التي قد يشوبها بعض الأخطاء ، بعض أحداث هذه الرواية حدثت بالفعل ، و بعض أسماء الشخصيات الواردة بهذا العمل موجودة بالفعل ، و علي من لديه اعتراض علي ذلك أن "**يخبط دماغه في الحيط**"





دار برأسى أنكِ طفلة صغيرة خائفة ، تمنت ذات ليلة ان تختفى أمها المتسلطة من الوجود ، وحين تحققت أمنيتها فى الصباح طارت من الفرح وظلت تلعب وتلهو حتى أتى الليل ، وحينها لم تجد من يروى لها الحواديت ،ولم تجد من يُقَبّل جبينها قبل النوم ...

(1)

الثامنة مساء في مكتبة ما...

روايتي الثانية ، حفل توقيعي الأول ، شعور بالفخر يغمرني كلما قمت بتوقيع نسخة لأحدهم ، إحساس بالتميز ، شئ أشبه بذلك الشعور الذي كنت تشعر به في طفولتك حين يصفق لك الفصل بأكمله...

كنت أدرك جيدا ماذا يقول الزائرين في سرهم ، و كنت أقرأ ذلك في عيونهم ، أي كاتبة تلك التي تقرأ كتابها بهذا التركيز و متي ؟ أثناء حفل التوقيع..

لكن الحقيقة أن كلمات الثناء التي تلقيتها بشأن كتابي السابق في هذا الحفل كانت كفيلة بإثارة فضولي و قلقي نحو الكتاب **الحالي ، هل هو أفضل من القديم أم أسوأ ؟ هل سيخيب أمل** القراء في أسلوبي أم لا؟

لأسباب كهذه كان لابد لي من مراجعة كل كلمة كتبتها ، أعلم أن أوان المراجعة قد فات و أنه لا فائدة من ذلك ، لكنني منذ **الصغر كنت نموذجا للطالبة التي يثيرها قلق مرضي** و **هستيري نحو إجابتها بعد انتهاء الإمتحان...**

لكن الأمر هنا يختلف نوعا ما ، فحين تتأمل في كتاباتك القديمة تتعجب من ذاتك ، و تتسائل كيف استطعت كتابة شئ بهذا الإبداع ، حينها فقط تدرك أنك بحاجة لجلسة أمام المرآة تعيد فيها التعرف علي ذاتك من جديد...

لمحت بطرف عيني أحمد سامي قادما نحوي و في يده نسخة من كتابي ، ذلك الكاتب الشاب المهذب الذي يجبرك كل ما

يقوله و يفعله علي احترامه لدرجة الخجل منه دونما سبب ، **الجميع يحترمه احترام غريب ، احترام ملئ بالحقد ، احترام ملئ بالترقب لأدني خطأ يصدر منه ، هذه ميزة أن** تكون شخصا **متوسط الإحترام ، تخطئ كبقية البشر**...

-**تقرأين كتابك ، ألا ترين في هذا نرجسية مبالغ فيها ؟**

ابتسمت ابتسامة خفيفة محاولة إيجاد رد لما قاله...

-لا تخبرني أنك لم تمر سابقا بما أمر به الآن ، ذلك الخوف من الفشل.

-في الواقع لم أمر ، أنا أكتب لنفسي ولا **أهتم كثيرا برأي** القراء.

-أنت تكذب.

-أنا لا أكذب أبدا.

كنت أعلم أنه لا مفر من ذلك ، كالعادة سينتهي الحوار باقتناعي بوجهة نظره فقط لأنه يريد أن يثبت لنفسه مدي عمق آرائه و نظرته الفلسفية الحكيمة للحياة ، تلك الغريزة التي لا أفهمها في بعض الأوغاد المزعجين ، فقط لو اكتفي **الناس بالمناقشة لصارت الحياة أجمل**...

لأسباب كهذه قمت بتغيير الموضوع في هدوء كي لا تنفجر جمجمتي و يلطخ الدم المكان...

-**هل لديك أخبار عن طارق ؟**

-كنت موجودا في منزله بالأمس.

قلت مندهشة...

-حقا ؟ لم أعلم أن علاقتك به عميقة هكذا.

ابتسم ابتسامة باهتة و قال...

-ليس حقا إلي هذا الحد ، كاد يطردني بالأمس لأنه يكره أن يوقظه أحد لأي سبب أيا كانت أهميته.

-هاتفه مغلق منذ ان انتهينا من تلك الرواية ، و كأنما كان ينتظر ذلك كي يستريح مني إلي الأبد.

-لا يتعلق الأمر بكِ حتما ، إنه يتعامل مع الجميع هكذا و دائما يخبرني أنه لا يحب سوي أن يترك و شأنه.

قلت بينما انظر أمامي نظرة خاوية...

-لم يتصل حتي ليأخذ نقوده مني.

و طارق هو وغد مراهق في التاسعة عشر من عمره ، كان يعمل في البداية سائق لدي ، ثم بشكل ما صار مؤخرا يعمل معي تايبست علي روايتي الجديدة ، إنه متعدد المهارات إلي حد ما و قد يفعل أي شئ مقابل النقود...

في بداية عمله معي ظننته يتقمص شخصية د.هاوس لأنه يدمن مشاهدة حلقاته و يرفض بشدة أن يعمل في مواعيد تلك الحلقات ، لكنه ذات مرة أخبرني أن أول كلمة نطق بها في طفولته كانت سبة بذيئة وجهها لعمته التي كان يكرهها لسبب ما ، و كأنما كان ينتظر لحظة ان يتعلم النطق كي يسترد كرامته ، لذا ادركت من تلميحه هذا ان هذه طبيعته الفعلية ، و أنه لم يجد في د.هاوس إلا تجسيدا لشخصيته و تدعيما لها ، و هذا ما زاد الطين بلة...

أفقت من شرودي فجأة و قلت...

-كم الساعة الآن ؟

****

التاسعة و النصف مساء **في بينوس كافيه**...

كان لدي شعور يقيني بأني سأجده هناك ، لم يكن من هواة الجلوس في المقاهي ، لكنني جعلته يعتاد علي ذلك حتي صار يذهب بدوني أحيانا ، و''i كنت اعرف ذلك من شابة مقربة **لي تعمل في المقهي**...

هكذا حين لمحته جالسا توجهت نحوه متظاهرة بالغضب...

-**هل تحاول** الاختباء مني ؟

قال ساخرا في هدوء...

-**نعم ، أحاول الاختباء منك في مكانك الأكثر تفضيلا علي الإطلاق ، ذكاء بوليسي أليس كذلك ؟**

وضعت حقيبتي علي المائدة و دعوت نفسي للجلوس قائلة...

-**هاتفك مغلق منذ أيام ، لماذا ؟**

-**لا أريد محادثة أحد ، و نظرا لأنه لا أحد غيرك** يتصل بي فإننا يمكننا القول أنه..نعم ، لا أريد التحدث معك.

تجاهلت كلماته متفحصة عيناه المنتفختين...

-تبدو شاحبا للغاية.

-لم أنم منذ أيام.

-**كيف هذا ، لقد قال لي أحمد سامي أنــ**....

قاطعني بنبرة حادة لفتت انظار الجالسين...

-فقط للعلم بالشئ ، أكتشفت مؤخرا أن أحمد سامي أحمق ، لا يمكنه التمييز بين من يريد النوم حقا و بين من يخبره بذلك كي يتخلص منه بطريقة ذوقية.

-ما الممتع في كونك وحيدا علي أية حال ؟ أتجد في هذا نوعا من التميز مثلا ؟

-ربما ، و ربما أحاول نسيان صوتك الذي صاحبني ثلاثة أشهر متوالية ، إن رؤيتك وحدها تصيبني بالصداع.

لم أعر لكلماته اهتماما و مددت يدي في حقيبتي قائلة...

-لقد اعتدت مجاملاتك الرقيقة علي كل حال ، خذ هذه نقودك.

ناولته ظرفا سميكا قام بفتحه سريعا و شرع يعد النقود أمامي في وقاحة...

-تساعد في اعداد عمل ما لثلاثة أشهر متواصلة ، ولا يثيرك الفضول عن النتيجة النهائية ، الثمرة في أوج نضجها.

رد بينما يبلل سبابته بلسانه...

-في الغالب لا أعمل إلا لأجل إنهاء آلامي الراهنة ، أتعجب من الذين يعملون سعيا نحو أهداف بعينها ، من أين لهم بالبال الرائق لفعل شئ كهذا.

أمسك إحدي الوريقات النقدية ثم ألقاها أمامي قائلا...

-هذه الورقة مهترئة ، أريد غيرها.

نظرت نحوه في صمت و غل واضح ثم قلت...

-**هل تحاول إفساد يومي بشكل ما ؟ لماذا لا تدعمني نفسيا عندما أكون سعيدة ؟**

قال بينما يستأنف العد...

-**لا أحب أن أراكِ سعيدة ، هذا كل مافي الأمر**.

-أنت لا تحب السعادة بشكل عام.

من أسفل النظ**ارة كاليهود رفع عينه نحوي مستمرا في العد** قائلا...

-**لا أحد يكره أن يكون سعيدا ، و لكن ما يسعدني قد لا يسعدك**.

-و ما الذي لا يسعدك في سعادتي ؟

دس النقود في جيبه قائلا...

-**منذ أيام كنت مكتئبة و تعيسة ، كان الحزن يضفي علي تصرفاتك نوعا من العقلانية ، أنظري إلي** نفسك الآن ، تبدين **كطفلة في الملاهي فقط لأن كتابك السخيف حاز علي إعجاب بعض المراهقين و المتصابين**.

رفعت عيني نحوه في ذهول قائلة...

-لطالما كنت تخبرني أن الكتاب رائع و أن عباراتي منتقاة بدقة.

تلفت حوله في المكان قائلا في تململ...

-كنت أكذب ، كما يكذب أي سباك **ليحصل علي أجره كاملا في النهاية**.

التزمت الصمت لثوان احاول فيها استجماع شتات أفكاري ، إن فكرة الجلوس مع طارق تشبه إلي حد كبير فكرة اصطدامك

بأحدهم و بعثرة أشيائك في كل اتجاه ، كل جلسة مع طارق هي صدمة أشد من سابقتها...

-**كنت تعلم أنني أعلم أنني سأجدك هنا لأعطيك** نقودك.

رشف آخر ما تبقي في كوبه و قال...

-**بإمكانك وضع السيناريو المناسب ، ما يهم هو انني حصلت** علي نقودي.

لم أجد ردا يليق ، رغم أنها ليست المرة الأولي التي يعاملني فيها هكذا ، لكنني برغم كل شئ حاولت الحفاظ علي هدوء أعصابي مكتفية بتأمله في صمت بارد ثم قلت...

-لا عجب أنك بلا رفقاء.

قال متلفتا حوله كعادته في الحديث...

-منذ البداية أخبرتك كم أنني وغد ، لكي لا استمع لتذمرك في **النهاية ، لكي لا أضطر للإصغاء لكلماتك عن كم أن الحقيقة مرة ، لسبب ما تعشق النساء لعب دور المنخدعات في الجميع**.

رددت بينما أتصفح قائمة المقهي...

-**هذا لا ينفي كونهن منخدعات بالفعل**.

قال بينما يرتدي معطفه متأهبا للمغادرة...

-**نعم ، لكن كما يقول الأمريكيون "الأمور السيئة تحدث" ، و هذا مذهب تفتقر أغلب النساء إلي اعتناقه**.

تجاهلت كلماته و قلت...

-إلي أين ؟

-إلي المنزل.

-ظننت أننا سنحتفل.

-بماذا ؟

فغرت **فاهي لثوان ثم ارتدت نظرتي نحو القائمة في استسلام** و قلت...

-لا شئ ، ارحل.

(2)

بعد أيام قلائل انتهي المرح...

و ذات يوم أدركت أن الروتين اليومي قد عاد كما كان ، لم تتغير حياتي جذريا كما كنت أتوقع ، و علي مكتبي بشركة المحاماة **التي أعمل بها كنت أتظاهر أمام نفسي و الآخرين بالنشاط و السعادة ، لكن من داخلي كنت أقرب لطفلة بائسة ذهبت للمدرسة بعد انتهاء آخر أيام العيد ، هل كنت اعتصر عقلي لثلاثة أشهر متواصلة من أجل بضعة أيام من السعادة ؟ هذا غير عادل علي الإطلاق ، أريد المزيد من الإهتمام ، أريد المزيد** من المديح عن كتابي و روعة أسلوبي...

لماذا أشعر أنني مشيت في حلقة مفرغة عائدة لنقطة البداية ؟ كأنني أعشق الإكتئاب و أجد فيه ذاتي ، أو ربما أحب أن أرثي لحالي دائما...

طبعا من تحصيل القول أن أقول أنني تمنيت في تلك اللحظة لو كان طارق **أمامي لأصرخ في وجهه قائلة** : **هل استرحت الآن ؟**

بعد قليل جائتني المكالمة التي كنت أعلم بقدومها ، و دائما أعلم بقدومها...

-في موعدك دائما يا أمي ، لا تتأخرين أبدا.

-**طيلة حياتي كنت امرأة تعشق النظام ، حتي**...

-**نعم حتي افسدت أنا تنظيماتك بشأني.**

-لم أتصل كي نتشاجر.

-ولا أنا أريد الشجار ، فقط أريد أن نغلق هذا الموضوع ، فقط لنري إلي أين ستذهب بنا الأيام ، أنا أؤمن أن بانتظاري الكثير لأراه ، أوقات سعادة و أوقات عصيبة ، و لكن وحدي ، يجب أن أواجه كل هذا وحدي.

-أعلم ، لكني لا أنفك كلما افتقدتك افتح ألبوم صورنا القديم ، و **أتألم أكثر كلما أشعر بتلك المسافة التي تفصل بيننا.**

-أمي لا أذكر كم تريليون مرة تحدثنا في هذا الشأن لكنني مازلت مصرة علي خوض تجربة الإستقلال بحياتي ، أنا علي مشارف الثلاثين ، لم أعد تلك الطفلة ذات الضفائر.

-علي كل حال لا داع للخوض في هذا الحديث الآن ، فقط أردت **تهنئتك علي كتابك الجديد.**

-كان الأمر ليكون أجمل بوجودك حينها.

-ليس و في داخلك هذه الأفكار بشأني.

أخذت نفسا عميقا متمنية انتهاء هذه المكالمة سريعا...

-أمي ، مازلت لم تفهمنيني جيدا ، يجدر بنا التحدث سويا عما قريب.

-بيتي مازال بيتك ، انا بانتظارك دائما.

أ**نهيت المكالمة بينما التقط أنفاسي ، قد يراني الجميع قاسية في ردة فعلي معها ، لكن الحقيقة أن أمي لم تكن بهذا الحنان يوما ، نعم هذه هي الحقيقة ، ليست أمي من ذلك النوع من الأمهات التي يمكنك تقبيل يدها دون الشعور بغصة في حلقك** و غرابة في الأمر...

ملابسها الأنيقة و اهتمامها الزائد بذاتها و عملها ، تسلطها الزائد عن الحد و الذي كان سببا رئيسيا في ابتعادي عنها ، لابد أنك تفهمني...

صحيح أنني أعاني الآن في وحدتي ، لكن الأمر يستحق العناء ، أعلم أنني يوما سأجد علاقة حقيقية ، لن أكون مغفلة كالأخريات ، و ستكون أول علاقة لي **هي آخر علاقة**...

ابتسمت رغما عني حين ذكرني هذا بحوار دار بيني و بين طارق منذ حوالي شهرين، حين بدأت الرسميات بيننا في الزوال تدريجيا...

****

-**لا أفهم كيف تركتك امك حتي الآن دون زواج**.

- **أمي لم تقلق يوما من فكرة عدم زواجي ، هي ليست ضمن ذلك الطراز من الأمهات ، إنها**....**إستثنائية نوعا ما**.

نظر لي في عدم فهم فأدركت أنني بحاجة للشرح...

-**أمي تري أن سحر المرأة يكمن في ذاتها لا في نظرة رجل نحوها ، تعتبر الرجال مخلوقات ثانوية في حياتها ، و أن الزواج ليس أكثر من خيار بديل تلجأ له الأنثي وقت الضرورة فحسب**.

-و أنت ؟

-أنا ماذا ؟

-**لقد قمت بالإستقلال بحياتك ، لابد إذن أن لديك اتجاهات** مختلفة عن أمك.

-**تقصد حياتي العاطفية ؟**

-نعم ، أي طراز تفضلين من الرجال ؟

فكرت قليلا ثم تداركت نفسي قائلة...

-إسمع ، انا لست بحاجة لمزيد من التعليقات السخيفة كما تفعل دائما.

-لا ، أتحدث الآن بجدية.

-حسنا ، إتجاهاتي العاطفية تشبه إلي حد كبير ما أقوم بكتابته ، أنا أثق بوجود ذلك الحب الأفلاطوني المطلق ، الحب الخالص الذي لا تشوبه شائبة.

لم يقل شيئا ، فقط قام بهز رأسه متظاهرا بالإقتناع ، الامر الذي جعلني أتسائل عن نظرته الحالية نحوي...

-ماذا ؟

-لا شئ.

-أ**عرف نظرتك هذه حين تنظر للأمور باستخفاف ، حتما تراني** الآن مغفلة.

-ربما ، لكن المغفلين يجدون بعضهم بسهولة.

نظرت له في عدم فهم فأكمل قائلا بطريقة مسرحية...

-عزيزتي المغفلة ، من السيئ أن يكون الفرد منا مغفل ، لكن الأسوأ أن يكون المغفل الوحيد ، و حتما ذات يوم ستجدين ذلك **المغفل الذي يؤمن بكل هذا الكلام الفارغ الذي تؤمنين به ، إنها إحدي سنن الحياة.**

هنا اتسعت ابتسامتي جراء كلماته ، إذ أنه بالنسبة لما ألقاه دائما من وقاحة هذا الفتي يمكنني اعتبار كلامه هذا شئ من المجاملة ، أو نوع من إنعاش الأمل الذي كاد يموت بداخلي ...

****

بعد حوالي ساعتين جائني أحد أفراد الأمن بالشركة بمصيبة من نوع مختلف...

-أستاذة سمر ، هذه الفتاة معها ورقة تقول انها تريدك في أمر عاجل ، هل تعرفينها ؟

كانت الفتاة في أسوأ حال ممكن ، وجه متورم من آثار الضرب ، **ملابس متسخة بالية ، حقيبة نسائية من الواضح أنها كانت فاخرة ذات يوم ، لم أتول هذا النوع من القضايا من قبل لكن بعض القضايا لا تحتاج خبرة كي تدركها بدقة ، بل ولا تحتاج محاميا من الأساس لإدراكها من النظرة الأولي ، هذه قضية** اعتداء جسدي ولا شك...

تقدمت الفتاة نحو مكتبي في حذر و أخرجت من حقيبتها مظروفا أب**يض ألقته أمامي**...

هكذا تناولت المظروف لأفتحه بينما لمحت بطرف عيني بعض الموظفين يراقبون الموقف من خارج المكتب ، ولا ألومهم علي أية حال...

____

عزيزتي سمر...

نظرا لطبيعة مهنتك ، فإنني أعلم يقينا كنه الأفكار التي تراودك الآن بشان تلك الفتاة ، ناهينا عن كنه الأفكار السوداء التي

ستراودك حتما حين تقرأين تلك الرسالة ، لكن دعيني أؤكد لكِ أن الأمر ربما قد لا يزيد عن كونه خدمة لصديق...

تلك الفتاة كانت تعمل خادمة بمنزلي **منذ فترة قصيرة ، مسالمة للغاية ، بل هي الاستسلام يمشي علي قدمين ، لا تتكلم أبدا لكنها سريعة الفهم ، لا تريد شيئا سوي مكان يأويها ، أعتقد أنني لست بحاجة لقول المزيد لأنكِ ستقبلين هذا و أنا أعلم ذلك جيدا ، كما أنني لست بحاجة لإبداء أسباب لأنكِ ستقبلين هذا و أنا أعلم ذلك جيدا ، ولا تحاولي مفاوضتي في هذا الشأن لأنكِ ستقبلين هذا و أنا أعلم ذلك جيدا**...

الوغد دائما

طارق

لم أكن أعرف ما الذي يفترض بي فعله...

ربما لأسباب كهذه لا أصلح لمهنة إلا المحاماة ، لأنها تسير دائما وفقا للقانون و التشريعات ، هكذا أجد طريقا محددا أمامي كي اسير فيه دون الحاجة للمجازفة أو اتخاذ قرارات حمقاء...

في تلك الأثناء كنت جالسة في صالة منزلي أحاول الإتصال **بذلك الأحمق بينما عيناي لا تفارق تلك الفتاة التي انكمشت في زاوية الصالة ، هل تخاف من الأماكن المتسعة ؟**

(**أنت تتصل في وقت غير مناسب حقا ، لذا إن لم يكن لديك ما تفعله سوي الإتصال بالآخرين في أوقات غير مناسبة ، أترك** رسالة بعد سماع صفارة إلغاء السباب)

كالعادة **ذات الرسالة السخيفة لبريده الصوتي**...

ألقيت الهاتف علي المقعد المجاور في عصبية فارتعشت الفتاة خوفا...

-لابد أنكِ الآن جائعة.

هزت رأسها نفيا بذات الخوف و الحذر...

-**لا ، أعني حقا هل أنتِ جائعة ؟**

كررت ذات الحركة السابقة...

-**حسنا إسمعيني جيدا ، لا أعلم كنه المع**املة التي كنتِ **تلاقينها في العمل لدي طارق ، لكنني لست طارق ، لست طارق علي الإطلاق بل و أختلف عنه بشكل جذري ، لذا سأعيد الآن سؤالي للمرة الأخيرة ، هل أنتِ جائعة ؟**

ذات الإصرار علي الرفض ، ذات تعابير الخوف و الهلع...

تبا لك يا طارق ما الذي فعلته بتلك **المسكينة**...

(3)

في اليوم التالي اتخذت قراري بالذهاب لطارق في منزله ، طالما أنه يتهرب من مواجهتي...

كانت الساعة مازالت الثامنة صباحا لكنني لم استطع الإنتظار **أكثر ، كانت الفتاة مازالت نائمة في الصالة في نفس موضعها ، هكذا أوصدت باب الشقة خلفي بالمفتاح مرتين ، لست من النوع الذي يثق بالآخرين سريعا لمجرد أن حالتهم مزرية و ملابسهم متسخة بعض الشئ**...

و في الطريق حاولت جاهدة تذكر عنوان طارق في بولاق الدكرور ، إذ أنني لم أزره من قبل سوي مرة واحدة...

كنت أعلم أنه يعيش وحيدا في منزل من خمس طوابق يملكه **ابيه ، و حين انتقلت عائلته بالكامل إلي الإسكندرية ظل هو في القاهرة بحجة إنهاء دراسته في جامعة حلوان ، لكنه صارحني ذات مرة أنه ليس مولعا للغاية بالتردد علي الجامعة أو حضور المحاضرات ، و أنه لم يتخذ قراره بالبقاء في القاهرة** إلا كنوع من (التوسع في الوحدة و الإنعزال) رغم كل ما **يسمعه ليلا من أصوات غامضة تصدر من الأدوار العلوية**...

****

-أي نوع من الأصوات ؟

-أصوات حركة غير مبالية ، و كأن صاحب تلك الأصوات لا يهتم كثيرا بإثارة رعبي بل هو يتحرك بصورة طبيعية كما يتحرك داخل منزله.

-هذا غريب.

-نحن نعلم منذ زمن أن البيت مسكون ، لأنه ظل مهجورا لفترة طويلة قبل أن يشتريه أبي ، لدينا قطط سوداء تأتي من الأدوار العليا بين الحين و الآخر ، تأبي مغادرة البيت منذ أن سكنا به ، راودتنا أحلام كثيرة مشتركة بشأنهم ، حاولنا أكثر من مرة التخلص منهم بأكثر من طريقة ، فعلنا كل ما يمكنك تصوره حتي أننا تدريجيا بدأنا نعتاد فكرة وجودهم ، بل و صرنا نضع لهم طعاما أمام باب الشقة ، هم لا يؤذوننا علي كل حال لكن فكرة وجود هذه الكيانات بالبيت كانت مسألة تؤرقنا لفترة.

-أها أفهم قصدك ، و لماذا لم يفكر أبيك بتأجير الشقق ؟

-نحن عائلة انعزالية بطبعنا ، اعتدنا أن نأخذ حريتنا في التنقل بين أدوار المنزل ، حين تصورنا وجود شخص غريب يصعد و يهبط بالبيت شعرنا بصعوبة الأمر ، و شعرنا أن رفاقنا من الجن أكثر ألفة و وداعة.

-حسنا و الآن ذهبت العائلة ، ما الضرر إذن في أن....

قاطعني قائلا...

-هل تعلمين ؟ تلك الأصوات لم تكن موجودة حين كانت عائلتي بالمنزل ، أو علي الأصح ربما كانت موجودة لكن اطمئناني لوجود صحبة آدمية كان يصم آذاني عن تلك الأصوات ، ربما لسبب كهذا مازلت أحتفظ برباطة جأشي حتي الآن ، أعني أنه ربما الوضع لم يتغير من الأساس لكن الأمر يتعلق بحواسي التي صارت أكثر رهافة بعد أن غادر الجميع.

* * * *

توقفت لثوان أتطلع إلي المنزل أمام البوابة ، فقط لأتاكد أنني لم أخطئ العنوان ، ثم ضغطت علي الجرس و انتظرت محاولة **تهيئة نفسي للصراخ في وجه طارق بأعنف ما أستطيع**...

بعد ثوان طلت من الشرفة رأس منكوشة مشرئبة ناعسة ، منزعجة و مشم**ئزة ، لا تختلف كثيرا عن رأس طارق لكنها في النهاية ليست رأسه التي أعرفها ، كنت أعلم أنني أخطأت** العنوان...

-**آسفة للغاية ، هل تعرف هنا من يدعي طارق ؟ طارق حسين**.

أشار بيده نحو بناية مجاورة علي الصف الآخر قائلا في انزعاج...

-**هذه البناية ، الدور الأرضي**.

ثم عاد للداخل مترنحا...

نظرت نحو البناية الأخري فأدركت أنني حتما أعاني من **الزهايمر أو ما هو أسوأ ، كانت لا تمت بصلة للبناية النصف مهجورة التي في ذاكرتي**...

رغما عني دلفت لداخل البناية شاعرة بإهانة لا أستحقها ، و لسبب كهذا لم انتظر رؤية طارق كي اخرج غضبي بل أخرجته علي الباب الخشبي بقوة ، و حين فتح الباب لم استطع الاستمرار...

كان وجهه شاحبا لونه أزرق ، و عينيه منتفخين مع سواد بالغ كأنه أسوأ حالة إدمان ممكنة ، و برغم ذلك ابتسم في وهن حينما رآني...

-أري أنكِ قابلتِ حماصة.

-حماصة من ؟ طارق ما الذي يحدث بالضبط ؟

-ليتني أعرف ، ليتني أعرف.

عاد للداخل مرددا ذات العبارة بينما دعوت نفسي للدخول شاعرة برائحة المصائب تملأ الجو ، أعرف الخطر جيدا حين يقترب ، أنا أرنبة جبانة و ردود فعلي هستيرية للغاية...

كان المكان صغيرا للغاية ، حسبما اظن لا يزيد عن كونه غرفة ذات حمام و مطبخ ، لكن **ما أثار توجسي و اشمئزازي هو تلك** (الجوزة) **المركونة في أحد الزوايا و كأنها ديكور أو تحفة فنية ، ناهيك عن أعقاب السجائر التي تفترش أرضية المكان...**

هكذا لم يتصرف طارق تماما علي نحو يشير لوجود ضيف برفقته ، بل رقد علي سرير صغير و التحف بغطاء قائلا...

-حماصة هو صاحب هذا المكان ، لذا لا داعي للتساؤل.

قلت بينما أصنع تشبيها ما فوق رأسي...

-حماصة ؟ هل ذلك الذي في منزلك....

-نعم ، هو ذلك المنكوش ، إنه جاري و بمثابة الـ.....الغفير المستقبلي لهذا الشارع.

-نعم و هذا سبب مقنع لتتبادلوا المنازل سويا.

-الأمر مؤقت ، خطر ببالي **أن تغيير المكان ربما يساعدني قليلا.**

-هل تري علامة استفهام ضخمة فوق رأسي ؟

أخذ نفسا عميقا و قال في نفاد صبر...

-إذا أردتِ ترك الفتاة و إلقائها في الشارع فالأمر لا يهمني ، لقد صارت قيد مسؤليتكِ منذ أن أرسلتها إليكِ و لن أشعر بتأنيب الضمير بعد الآن.

-أنت آخر **من يتحدث عن الضمير ، لكني لا أتحدث عن الفتاة علي كل حال ، بل أريد أن أفهم ما الذي يجري ، ما الذي جعلك هكذا ، هل تتعاطي شيئا و تخشي مصارحتي ؟**

لم يرد و ظل ينظر لي في صمت ، لكن استنتاجاتي بشأنه بدأت تتضح...

-لحظة واحدة ، لم تخش يوما مصارحتي بعيوبك بل تفتخر بها تقريبا.

لم تتغير نظرته الصامتة و إن كانت اكتسبت مزيدا من الحدة و الكراهية...

-هناك مالا تريد مصارحتي به لأنك تخشي أن تتغير نظرتي لك للأفضل.

مرة أخري لا أجد منه أي رد فعل سوي نظرة الكراهية ، و هذا و إن دل علي شئ فإنما يدل علي صحة نظريتي بشأنه ، أنا لم **أعرفك بالأمس يا طارق ، أنا أتذكر كلماتك كلها**...

في بينوس كافيه...

****

-لماذا أنت كذلك ؟

-لا أعرف ، ربما تظنيني أستمتع بكوني وغدا....و أنا كذلك **بالفعل و لكن ليس بكل الأوقات ، هناك تلك المواقف التي أكون فيها مضطرا لاتخاذ قرار بشأن أحدهم أو إحداهن ، و أكون**

مضطرا أن أراعي مشاعره و أحافظ علي علاقتي به ، كل هذا يشعرني بالضعف ، بأنني مقيد.

ينظر للأسفل بنظرة تائهة ثم يستعيد نظرته الواثقة سريعا و يقول...

-**لسبب كهذا تكون حلولي دائما جذرية ، العلاقات البشرية** تجعلني في حالة فوضي.

-**لكنك تجلس معي الآن و بيننا علاقة عمل.**

يتشمم حافة كأسه قائلا...

-**توجد بيننا علاقة عمل ، لأنني بحاجة ماسة للنقود.**

****

لحظات من الصمت طالت بيننا قبل أن يطرق حماصة الباب ، من الغريب أن أفعاله خالفت توقعاتي بشأنه ، و اتضح أنه **شخص ودود رغم هيئته المريبة**...

-**كنت أعرف أنه لن يقدم لكِ شيئا كعادته مع الجميع ، لهذا** أحضرت لكم بعض الشاي.

قلت بينما اتهيأ للمغادرة...

-لا داعي لذلك كنت سأغادر الآن علي كل حال.

ثم نظرت نحو طارق نظرة ذات معني و قلت...

-**فيما بعد سنستكمل حديثنا.**

****

عندما عدت لمنزلي ليلا ظننت أنني أخطأت بعنوان شقتي ذاتها...

كان كل شئ رائع و لكن **في غير مكانه ، أعني أنه كان في غير مكانه الذي وضعته فيه لكنني شعرت أنه صار في المكان الذي كان لابد أن يوضع فيه منذ البداية**...

مرت بخاطري أفكار عابرة بلهاء كالعادة عن لص يعمل مهندس ديكور قام بالسطو علي شقتي ، تلك الخواطر السريعة لابد **منها دائما ، و كل هذا** قبل أن أستغرق وقتا طويلا لأتذكر وجود **الفتاة و أدرك حقيقة الوضع بصعوبة ، من الواضح أن الفتاة لا تضيع وقتا ، إنها تعتبر أي شقة هي ميدان عمل لها ، و لكن كيف لها أن تصنع كل هذا في يوم واحد ؟ لا يبدو عليها كل ذلك** النشاط...

بحثت عنها في في كل أنحاء الشقة حتي أدركت أنها نائمة في ذات المكان الأول بنفس الزاوية بالصالون ، كان يبدو أنها منهكة و لم تأكل شيئا ثانية ، و هنا لم استطع الانتظار حتي تستيقظ ، قمت بهزها عدة مرات كي أوقظها ، و أدركت أنني لا أعرف حتي ما اسمها...

شيئا فشيئا بدأت في فتح عينيها و حاولت التحدث معها...

-ما اسمك ؟

لم ترد كالعادة ، ظلت ناظرة نحوي بعيون ناعسة و كأنما ترجوني أن أتركها و شأنها...

-**هل تستطيعين الكتابة ؟**

كنت أعلم أنها لن ترد لكنني كنت احاول التواصل معها بأي شكل كان ، هكذا أغمضت عيونها ثانية و غابت في نوم عميق...

ذهبت نحو المطبخ و أخرجت من الثلاجة كل ما طالته يدي ، كانت تحركني من الداخل طاقة غريبة رغم أنني تصورت قبل رؤية الفتاة أنني سأستحم و أنام كالقتلي حتي الغد...

أخذت الطعام و ذهبت لأوقظها ثانية ، كان من الواضح أنها أكثر انزعاجا هذه المرة ، لكنني كنت أدس الطعام في فمها دسا كما كانت تفعل أمي **حين أخلد للنوم دون عشاء**...

ظللت علي هذا الوضع لدقائق حتي رفعت يدها في همهمة غير مفهومة و كأنها ترجوني أن أتوقف...

هكذا قررت تركها لتنام ، عالمة بأنني-فيما بعد-سأجد الوقت **الكافي للتفكير باتخاذ موقف عقلاني بشأنها ، لا أريد أن تندفع مشاعري بهذه السرعة كما** أفعل دائما...

(4)

في الصباح الباكر كانت لدي جلسة في المحكمة...

قضية طلاق ، و أنا لا أكره في حياتي شيئا أكثر من قضايا الطلاق ، و أحيانا أشعر أن المدير يتعمد توكيلي في قضايا الطلاق علي الأخص ليخلصني من تلك المشكلة بمواجهتها مرارا...

لكن الحقيقة أن مشكلتي في طبيعتها سيكولوجية و ليست مهنية ، و الدليل علي ذلك أنني في الغالب لا أجد مشكلة في انهاء القضية لصالح موكلي ، في الواقع أنا ماهرة للغاية في التعامل بالقانون و التشريعات ، لأنها كما قلت ترسم لي طريقا محددا ولا تحتاج لاتخاذ قرارات و لا تحتاج للمجازفة...

و أثناء خروجي من القاعة رن هاتفي ، و كان طارق المتصل...

-**هل تعلم أن هذه المرة الأولي التي تتصل بي فيها منذ لقائنا ؟**

-**أعلم ، لقد أكتسبت عادات سيئة مؤخرا**.

-لماذا تتصل ؟

-**أنا في بينوس كافيه ، هل لديك بعض الوقت للتحدث؟**

* * * *

و في بينوس كافيه ، كان الوضع مختلفا عن كل مرة...

كان طارق متحمسا للغاية في حديثه رغم النظارة السوداء **التي يرتديها لإخفاء السواد أسفل عينيه ، و حينما يتحمس**

طارق لشئ فإنه يستعين بيديه دائما في شرح الأمر ، و احيانا يطرق بها علي الطاولة بعنف حتي تشعر أنه ليكاد يقلب الطاولة في مرة من المرات...

-**هل تعلمين ما هي مشكلتي ؟ أنني قمت بالتركيز علي الأحداث كما يفعل الجميع ، قمت بالتركيز عل الأحداث فقط و اهتممت بها أكثر مما كان لابد لي من التركيز علي القوانين المسببة لها ، و أكثر مما كان لابد لي من التركيز علي الديناميكية التي تعمل الأحداث وفقا لها ، أنا أفقد أسلوبي السابق في التفكير هناك ما يشوش ذهني**.

لم أجد ردا لأنني لم أفهم شيئا بطبيعة الحال ، لهذا استكمل كلماته منزعجا من جلوسه مع جاهلة حمقاء مثلي...

-**ما أريد قوله هو أن البحث في كيفية عمل ديناميكية الحياة** أكثر جدوي من البحث في أحداث و **مجريات الحياة ذاتها**.

بدأت في فتح فمي بتردد و قلت...

-**و تلك الأحداث هي**...؟

فتح فمه ليقول شيئا ثم أغلقه ثانية و قال...

-**هذا هو ما لا يمكنني البوح به**.

-**طارق أنت تثير قلقي بشأنك حقا**.

-**لا ، أنا أثير فضولك فحسب**.

-**هل تقول أنني لا أهتم لأمرك ؟**

صمت قليلا ثم قال...

-**لا ، أنت تهتمين لأمري ، و لكن من تلك الزاوية التي تجعل شخصا ما يهتم لرؤية كسوف الشمس ، دائما شذوذ الظواهر الثابتة من شأنه أن يجذب اهتمام أي شخص طبيعي**.

كدت أن أعترض ، لكن كلماته كانت أقرب للصحة بالفعل ، إن **نمطيته جعلت منه شيئا مسلم به لدي جميع من يعرفونه** ، و **هذا شئ يزعجه**...

-**حسنا ، أنت محق ، لماذا جلبتني إلي هنا إذن بينما تعلم أنني** منافقة شريرة ؟

قال في برود...

-**لأنني لا أريد أن أدفع خمسون جنيها في الساعة لطبيب نفسي كل ما يفعله هو الاستماع لي كما تفعلين الآن**.

تناولت قائمة المقهي قائلة...

-في الواقع كنت أتو**قع سببا أكثر أهمية**.

تجاهل كلماتي قائلا...

-**تفتحين قائمة المقهي لأنك غاضبة ، هذا ما تفعلينه دائما**.

-**حسنا ، من الواضح أنك بدأت تستعيد أسلوبك السابق في التفكير**.

-أنا أحاول.

-**إذن هل بإمكانك التنبؤ بما سأطلبه من القائمة الآن ؟**

-**ذلك الشئ الذي تطلبينه دائما ، ذو الرغوة الكثيفة علي الوجه** ، لا يحتاج ذلك لإبداع كي أتنبأ به.

-اسمه موكا فرابتشينو.

-أيا كان.

سادت لحظات من الصمت ظل فيها طارق محدقا نحو المائدة...

-إسمع ، إذا كنت تحاول التوصل للقانون المتسبب في **مشكلتك ، فعليك أن تدرك أنني أيضا لا يثيرني الفضول بشأن** الأحداث **التي سببت مشكلتك ، و لكن يثيرني الفضول بشأن ذلك الخطأ الذي وقعت فيه ، ذلك الخطأ الذي تسبب في كسر نمطيتك ، أريد أن أعرف لماذا انكسفت الشمس**.

نظر لي بتشكك من أسفل نظارته و قال بينما يقرض أظافره...

-إذن لا تهتمين للأحداث ؟

-مطلقا.

-فقط قوانين.

-بالضبط.

-بالمناسبة ما أخبار الفتاة ؟

كالعادة يخرج عن مسار الحوار فجأة و بدون مقدمات ، و كالعادة لا أعترض...

-ساكنة للغاية ، لا تنشط إلا حين أخرج من البيت ، و حينما أعود أجدها نائمة.

قال بينما يعبث في أصابعه...

-إذن لم تتغير كثيرا.

-طارق ، دعنا نتحدث بجدية ، تعلم أنني لن أخبر أحدا بسرك **مهما حدث**.

-أعلم ، لكن الأمر معقد للغاية و يصعب شرحه.

-علي الأقل أعطني عنوان ، تبويب ، إشارة للمشكلة ، أي شئ **يمكنني فهم الأمر من خلاله**.

سادت الصمت بيننا لثوان قبل أن يقول في هدوء متعقل ، و هذا شئ نادر بالمناسبة...

-يتعلق الأمر بأحلام تراود**ني منذ فترة ، ليست أحلام علي وجه التحديد ، بل هي أحلام تتظاهر بأنها ذكريات أو ذكريات تتظاهر بأنها أحلام ، و أتعشم أن تكون الأولي**.

ظللت ناظرة نحوه بانتظار استكمال كلماته ، لكن من الواضح **أنه قد اكتفي بتلك الجملة التي لم استشف منها شيئا مفيدا** علي الإطلاق...

-طارق ، من فضلك كن أكثر وضوحا.

-أخبرتك أن الأمر معقد للغاية ، لابد أن تكوني مكاني كي **تفهمين ما أعنيه ، لابد أن تكوني أنا**.

-تقصد أن تقول أنه أمر شعوري يصعب وصفه بالكلمات.

-**نعم ، شئ كهذا**.

-**هل يتعلق الأمر بالفتاة الخادمة ؟**

هنا نظر نحوي فجأة ، هذه هي المرة الأولي التي أشعر فيها أنني ضغطت علي جرح ما بداخله ، أو توصلت لشئ ما **بأعماقه السحيقة ، إن التحدث مع ذلك الشاب يشبه محاولة**

استخراج البترول من مركز الأرض ذاته ، هذا لو كان مركز الأرض يحتوي علي بترول...

-**يتعلق بها**...**بشكل غير مباشر**.

-طارق ، منذ صغري و أنا أحب الفوا**زير ، لكن كلماتك هذه لا تساعدني حقا ولا تحوي تلميحا علي الأقل**.

-أعني أن الفتاة لا تمثل لي سوي معادل نفسي لذكري سوداء **في حياتي ، هل تعرفين شيئا عن الإرتباطات الشرطية ؟**

-**تقصد أنها تذكرك بذكريات سيئة**.

-نعم ، و لكني أري تلك الذكريات في صورة أحلام.

-و ما مشكلة تلك الأحلام أو تلك الذكريات ؟

-**مشكلتها أنني لا أذكر متي و كيف حدثت لي ، لكنني أعلم أنها حدثت لي ذات يوم**.

لم أفهم شيئا و هذا دفعه لاستكمال حديثه...

-**أعني أنها حدثت لي و لكني لم اكن في وعيي ، بل كنت شخصا آخر حينها**.

هنا فغرت فاهي كما لم أفعل من قبل ثم قلت...

-**حسنا ، الآن أفهم ما قلته عن كم أن الأمر معقد**.

هنا خلع نظارته السوداء و القاها علي الطاولة ليدفن رأسه بين كفيه في احباط...

-**طارق ، أنت بحاجة للنوم حتي يمكنك التفكير بالأمر ، ربما غدا نتقابل ثانية و نبحث الأمر من بدايته**.

قال بصوت مكتوم بينما لا يزال دافنا رأسه بين كفيه...

-**الأمر ليس بهذه البساطة**.

-**طارق ، كل منا لديه سره الكبير ، ربما لا أعلم ما هو سرك هذا** لكن ثق بأن.....

طرق الطاولة بعنف قبل أن يصرخ في وجهي بصوت لفت أنظار الجالسين بالمقهي...

- أنا **مصاب باضطراب تعدد الشخصية** ، أنا مريض نفسي .

لم اجد ردا من دهشتي فنظر نحوي بعينيه المظلمتين قائلا بصوت خفيض أقرب إلي البكاء...

- **هذا هو سري الكبير ، يا آنسة سمر**.

****

في المساء عدت لمنزلي منهكة...

مرة أخري وجدت الفتاة نائمة في ذات المكان ، كان من الواضح **أنها قامت بغسل الصحون و الملابس ثم عادت هاربة لأحلامها ، هكذا قمت بإيقاظها ثانية من أجل إطعامها ، لا أفهم ألا تشعر تلك الفتاة بالجوع أم تحاول قتل نفسها**...

بعد ذلك تركت الفتاة تعود للنوم و أعددت لنفسي بعض القهوة ، كان لابد لي من لحظة استجمع فيها شتات أفكاري ، إذ أنني كنت في قمة الهدوء و الاستقرار قبل أن أستقل بحياتي بعيدا عن أمي ، و لهذا تصبح أقل المثيرات الاجتماعية لمن هي مثلي شيئا ضخما يصعب تحمله ، لكن هذا يضفي لحياتي نوعا من الإثارة علي أي حال ، أنا أكره الروتين...

كنت جالسة في غرفتي علي طرف الفراش بينما باب الغرفة مفتوحا أمامي ، كان عقلي مجهدا و كنت أحاول بصعوبة استعادة أحداث اليوم رغم قربها ، لم اكن مندهشة مما قاله طارق عن كونه مريضا نفسيا بل أعطاني هذا تفسيرا منطقيا إلي حد ما لسلوكه في التعامل معي و مع الآخرين ، فقط ما يزعجني أنني لا أري سببا يدعوه للتكتم علي مرضه بهذه الشدة ، و هذا ما دعاني للشك بما وراء أقواله و ليس بما قاله ، أنا علي يقين بأن هناك الكثير مما لا أعلمه عن طارق...

ظللت أتأمل في هيئة الفتاة النائمة بالصالة ، أحاول ان أضع نفسي مكان طارق كي أري ما سوف توحي لي به هيئة الفتاة ، و كالعادة تقوم عاطفتي بإجهاض كل محاولة فلا أري من ذاتي سوي الشفقة علي حال الفتاة...

ربما كان طارق محقا فيما قاله مسبقا عن مدي الإختلاف بيننا...

****

-طارق ، بصفتك تمثل لي عينة من القراء الذين سيقرأون الرواية ، أخبرني برأيك عما قمنا بإنجازه حتي الآن.

-لا أدري حقا يا آنسة سمر ربما لن نتفق أبدا علي شئ مشترك بشأن تلك الرواية ، أو علي الأصح بشأن الجانب العاطفي بوجه عام.

-هل تريد أن تخبرني أنك حتي هذه السن لم تختبر مشاعرك تجاه أي فتاة ؟

-لم أقل هذا تحديدا ، لكن الأمر أكثر تعقيدا ، أكثر النساء يفرطون في استخدام الجانب العاطفي بداخلهن ، بينما أنا أفرط في استخدام الجانب العقلي ، أنا آخذ بالأسباب دائما ، ولا أحب أن أترك نفسي للوقوع تحت تأثير الانفعالات سواء

كانت حزن أو فرح أو حب أو غير هذا ، أنا رجل منظم في انفعالاتي ولا أحب أن أبدو ضعيفا أمام نفسي.

استغرقت بضع ثوان كي اعيد صياغة مصطلحاته السيكولوجية إلي شئ مفهوم ، مشكلة هذا الفتي أنه مولع بمجال دراسته إلي حد الجنون...

-هل تقول أن الجانب الإنفعالي هو نقطة ضعف داخل كل منا ؟ الحزن و الفرح و العشق و كل تلك الأمور الإنسانية ؟

اعتدل في جلسته و كأنما راق له الأمر...

-أعلم ما ستقولين ، أنا وغد ، و حين أتحدث عن العشق من الناحية السيكولوجية فإنني أجرده من سحره الآسر قبل أي شئ ، لكن هذا لا ينفي حقيقة انه يندرج ضمن قائمة طويلة من التعبيرات الإنفعالية ، شأنه شأن الخوف و القلق الفرح و السرور الشجن و الحزن الترقب و الفزع ، و لأن الحب جزء من الجانب الإنفعالي فلا تختلف خصائصه كثيرا عن باقي انفعالاتنا الهوجاء الطائشة ، فالجانب الإنفعالي بصفة عامة أشبه بصابونة زلقة يصعب الإمساك بها ، و مهما أحببت و تم خداعك ستظلين بذات الحماقة منتشية بتأثير العشق حتي الثمالة.

****

أفقت من خواطري حينما لفت انتباهي شئ ما بحوزة الفتاة دائما ، تحتضنه بقوة و كأنه طفلها الوحيد ، شئ لم أفكر بالإطلاع عليه قط ، تلك الحقيبة الجلدية التي تبدو و كأنها كانت فاخرة يوما...

في البداية اتهمت نفسي بالوقاحة كوني أفكر في التجسس علي فتاة مسكينة لا منزل لها ولا مأوي ، لكن فضولي أحيانا يتجاوز بعض الأخلاقيات...

هكذا تسللت بخفة من جانب الفتاة و سحبت الحقيبة من جانبها و عدت لغرفتي ، و ليتني لم أفعل...

(5)

في الثالثة صباحا جاء طارق...

لم يكن الأمر يحتمل الإنتظار أكثر ، و كان من حسن الحظ أنه (نسي) **هاتفه مفتوحا ذلك اليوم**...

-يجدر بالأمر أن يكون طارئا ، كارثة على الأقل ، لن أقطع تلك **المسافة بعد منتصف الليل من أجل أمر تافه**.

تجاهلت كلماته و قلت مشيرة للفتاة النائمة...

-**طارق ، ماهي أقصى معلوماتك عن تلك الفتاة**.

فتح فمه ليقول شيئا لكنني قاطعته قائلة...

-و بصدق.

هرش ذقنه متأملا إياها و قال...

-**حسنا ، كل ما أعرفه عنها أنها فتاة مسكينة لا منزل لها ولا** عائلة.

-**كيف وجدتها ؟**

-**كانت تتسول في منطقتنا منذ فترة ، تعلمين تلك الوجوه** المألوفة ، لابد لكل منطقة من متسول ما.

مددت يدي نحو الصور التي عثرت عليها داخل الحقيبة و اعطيتها له منتظرة رد فعله...

-**مستحيل**.

كانت هذه المرة الأولي التي أراه فيها مندهشا بحق ، لطالما كان ديدنه البرود لكن من الواضح أنه متفاجئ مثلي تماما ولا **علم له بحقيقة الفتاة**...

-**هل أنت مستوعب للأمر ؟ قد تكون تلك الفتاة هاربة من أهلها و يبحثون عنها الآن**.

قال بينما يتأمل إحدي الصور العائلية...

-**هناك خطأ ما في كل هذا ، هل ترين التاريخ المطبوع** خلف الصورة ؟

لم أفهم ما يقصده في البداية ، لكنني حين تأملت أدركت ما يقصده ، كانت الفتاة تتحدث ، كانت لها عائلة ، كانت لها حياة رائعة ، الصور تقول هذا ، و التاريخ المطبوع خلف إحدي الصور يقول ماهو أكثر ، تلك الفتاة تركت عائلتها منذ بضعة شهور لسبب ما نجهله...

-**إن كنت متأكدة من شئ بشأن هذه الفتاة ، فهو أن ورائها كارثة ، لا تترك فتاة عائلتها إلا من أجل رجل أحبته إلي حد الجنون ، و حتما كان وغدا و غدر بها**.

-**أو ربما أرادت الإستقلال بحياتها**.

نظرت نحوه بغضب حينما أدركت تلميحه...

-**الأمر يختلف هنا ، كما أن لدي أسباب منطقية ، أضف لذلك أنها مازالت في السادسة عشر تقريبا أي أنه من السهل التلاعب بمشاعرها**.

ألقيت كلماتي ثم هرولت إلي غرفتي و أغلقت الباب خلفي بعنف ، القيت بنفسي علي الفراش و دفنت رأسي في

الوسادة لأبكي بحرقة ، طارق يعرف كيف يكون وغدا ، و كونه وغدا يجعله يعرف كيف يضغط علي الجروح العميقة بلا رحمة...

بعد دقائق جاء صوته من خلف الباب هادئا رزينا كما لم أسمعه من قبل...

-**سمر ، تعلمين أنني لا أجيد فن المواساة ، من فضلك لا تضعيني بهذا الموقف الآن**.

صرخت من بين دموعي قائلة...

-لم أطلب مواساتك.

-**و أنا لا أستطيع تركك بهذه** الحالة.

-**لا تعلم حتي لماذا أبكي ، لا علاقة لك بهذا**.

-ربما ، لكنني أعلم كل شئ.

أثارت عبارته الأخيرة انتباهي و شغلتني عن البكاء...

-ماذا تقصد بأنك تعلم كل شئ ؟

-أقصد بأنني أعلم كل شئ أنني.....أعلم كل شئ.

هنا جريت نحو الباب لأفتحه و قلت له...

-ما الذي تعلمه ؟

-**أتصلت أمك بي منذ أيام ، كانت تريد مقابلتي ظنا منها أنني سأنجح في اقناعك بالعودة ، لكن كما تعلمين ، في الفترة الأخيرة لم أكن في حال تسمح بلعب دور المصلح الإجتماعي**.

-ما الذي قالته لك ؟

-**قالت أنها تشعر بوحدة من دونك و أنها**.......

-طارق ، تعلم عم أتحدث ، ما الذي قالته لك ؟

نظر نحو الأرض لثوان متظاهرا بالحزن ثم قال...

-روت لي قصتك المأساوية مع ذلك المدعو جلال ، الذي اتضح بعد ذلك انه متزوج.

هنا لا أعلم ماذا حدث لي ، لم استطع تمالك نفسي من الضحك ، لا أعلم لماذا لكن الأمر كان أقوي مني ، و في غمرة **ضحكي ألقيت بنفسي علي مقعد الصالون بينما كان طارق أمامي و علي شفتيه ابتسامة مترددة تتسائل عن سر ضحكي** ، حتما يظنني قد جننت ، مالم أكن فعلا كذلك...

-**ما الامر ؟ هل كانت أمك تخدعني بقصة مصطنعة أو ما شابه** ؟

قلت بينما أقاوم ضحكاتي المتلاحقة...

-**لا ليس الأمر كذلك**.

-إذن ما الأمر.

قلت بينما ضحكاتي تزداد علوا...

-**ليتني أعلم**.

ابتسم رافعا حاجبيه في غير اقتناع ثم جلس علي المقعد المواجه لي ، وضع قدما فوق ركبة و جلس يحدق بي واضعا يده أسفل ذقنه...

و بعد حوالي عشر دقائق بدأت أسيطر علي نفسي...

-آآآه صدري يؤلمني .

قال في هدوء بينما لازال محدقا بي ...

-للمرح عواقبه.

-امممم ، هل تعلم ؟ حين يشير وغد مثلك لقصتي بمصطلح (مأساوية) ، **فهذا يعني أنه مازال هناك أمل في غد أفضل ، هذا يعني أنني لست أسوأ النساء حظا.**

-أخبرتك مسبقا ، الأمر نسبي و لكن أكثر النساء لا تدرك ذلك الشئ .

قلت متظاهرة بالتعقل...

-نعم ، أنت **محق ، نحن النساء ، لا نفعل شيئا سوي البكاء و إثارة الفوضي ، لا نفعل شيئا سوي إحباط مخططات الرجال لخيانتنا ، لا نفعل شيئا سوي.....**

قاطعني طارق بينما كان ينظر لشئ خلفي...

-أين الفتاة ؟

نظرت خلفي فوجدت الفتاة غير موجودة ، حتي الحقيبة و الصور اختفت ، أسرعنا نحو باب الشقة فوجدناه مفتوحا ، **توجهنا نحو الشرفة فوجدنا الفتاة تجري قرب نهاية الشارع و كأن الشيطان يلاحقها...**

قال طارق ناظرا نحوي...

- لقد هربت الفتاة حين علمت أن أمرها قد كشف ، إن الضجة التي أحدثناها كانت كفيلة بإيقاظ الموتي.

-**هل تلمح إلي أنني المسئولة عن** ذلك ؟

قال بينما يتأمل الشارع بنظرة فارغة...

-**أنا لا ألمح لشئ ، لقد انتهت قصتها معنا علي كل حال**.

قلت بينما أعود للداخل...

-**إذن طالما انتهت قصتها هل يمكنني النوم الآن ؟ لم أتعود علي السهر لوقت متأخر هكذا**.

-**هل يمكنني البيات هنا حتي الصباح ؟**

قلت بينما أغلق باب غرفتي خلفي...

-**إعتبر البيت بيتك ، المهم ألا توقظني حتي لو كانت نهاية** العالم.

(6)

في الصباح كنت منزعجة لاستيقاظي في العاشرة...

و رغم أن اليوم عطلة أسبوعية ، إلا أنني لست من النوع الذي من عادته استغلال يوم عطلته في النوم لوقت متأخر ، لذا **نهضت من فراشي بصعوبة مهيئة نفسي لخمول و صداع سيصاحبني حتي نهاية اليوم ، هذه عواقب الإفراط في النوم...**

توجهت نحو الصالة فوجدت طارق مازال موجودا ، و المثير في الأمر أنه كان نائما علي أريكة الصالة ، كان علي الطاولة أمامه بقايا عشاء أعده لنفسه أثناء نومي **و فنجان قهوة ، حين يقول أحدهم لطارق أن** (**يعتبر البيت بيته**) **فإنه يلتزم بتنفيذ الكلام حرفيا...**

من الواضح أيضا أنه استعار إحدي أجنداتي الفارغة من علي **الرفوف ، و من الواضح أيضا أن بداخلها قلم ، و من الواضح أيضا أنه كتب بداخلها عددا لا بأس به من الصفحات ، و من** الواضح **أيضا أنني سأفكر في قرائتها قبل أن يستيقظ ، و من الواضح** أيضا أنني سأظل أقرض أظافري لدقائق و أخوض ذات الصراع **النفسي المعتاد قبل أن ينتهي الأمر بأن أقرئها...**

****

27 أو 28 نوفمبر 2008...

لا أذكر التاريخ تحديدا ، و الحقيقة أنه ليس من عادتي قياس الزمن ب**التواريخ بل بالأحداث و التحركات و الإنجازات ، هذا يجعل الأمر أكثر قابلية للتذكر...**

و في ذلك اليوم-أيا كان موقعه التقويمي-كانت أولي جلساتي **في عيادة الدكتور لطفي ، و كما لابد أنك خمنت فهو طبيب نفساني ، نعم كل الأطباء النفسيين اسمهم لطفي لسبب ما**...

زجاج ملون و معطر للجو و اضاءة خافتة فلا ينقصك سوي موشح علي غرار (لما بدا يتثني) **و بعض راقصات الف ليلة و ليلة ليكتمل الجو النفسي المطلوب ، محاولة فاشلة لأرخاء** المرضي قبل بدء الجلسة ، و الواقع انه لو كان مباشرا بدون جو **العفاريت هذا لاسترحت اكثر**...

-**تفضل بالجلوس يا سيد** طارق.

و هي من اللحظات النادرة التي ألقب فيها ، ناهيك عن أنني كنت قد خرجت لتوي من أجواء الثانوية العامة ، لذا كان لقب (**سيد**) **هذا يعني لي الكثير**...

-أين تدرس يا طارق ؟

-**في كلية دار علوم**.

-**أولي جلساتك أليس كذلك ؟**

-**لا أظنك صادفت وجهي من قبل**.

-لا ، أعني أولي جل**ساتك لدي طبيب نفسي بشكل عام**.

-نعم.

-**رائع ، هذا شئ عظيم**.

شئ عظيم ، بالطبع شئ عظيم ، ما العظيم في هذا ؟ لا تسأل طالما قال الطبيب أنه شئ عظيم فلابد أن هناك شئ عظيم لا تراه أنت ولا يصل إليه إدراكك...

طبعا من تحصيل القول أن أصف مدي ارتيابي و تشككي تجاه الدكتور لطفي و تجاه جو عيادته بالكامل ، لابد أنه استشف انني مستجد في ذلك الأمر من تعابير التوجس المرتسمة علي وجهي ، و كأنني زبون داخل أحد محلات الهواتف المسروقة في عبد العزيز ، خاصة أنني في ذلك الوقت كنت متأثرا بالفكرة القائلة ان الأطباء النفسيين هم من اخطر المصابين بأمراض نفسية...

نهض الدكتور لطفي من مقعده قائلا...

-حسنا ، تفضل بالجلوس علي الشيزلونج.

آآآآه الشيزلونج ، وصلنا لتلك المرحلة التي أخشاها ، كنت اتمني ان لا يكون طبيبا تقليديا و ينهي الجلسة (ع السريع) ، في الواقع لست افهم حتي الأن كيف يساعد هذا الشئ علي الاسترخاء ، إنني لا استطيع التنفس بحرية مالم انم علي احدي جانباي و الأن يطالبني بالنوم علي ظهري و الأسوأ ان اروي له تفاصيل مشكلتي...

الأخرين لم يصدقوا ، ولا اعتقد ان كونه طبيب نفسي سيكون سببا كي يصدق هذا بسهولة ، لكن التجربة لن تضر علي اي حال...

-صف ذهنك تماما ، انس العالم بأسره ، فقط ركز فيما تريد التوصل لحل له ، أخبرني بكل ما يخطر ببالك مهما بدا لك غير منطقي ، لا أخلاقي ، دع خواطرك تنساب ، تنهمر ، إن أردت البكاء...إبك ، إن أردت الصراخ...اصرخ ، إن أردت الضحك كالمخابيل...إضحك.

* * * *

بعد دقائق استيقظ طارق...

لمحته من داخل غرفتي و قد استيقظ مهرولا نحو الحمام مباشرة ، و كان أول ما فعله هو أن تقيأ...

تسللت من خلفه لأضع الأجندة كما كانت علي طاولة الأنتريه ثم توجهت نحوه بمنشفة لأمارس دوري الأنثوي في إظهار القلق ، و كان من الواضح أنه انتهي مما كان يفعله ، و هذا أراحني نفسيا إلي حد ما...

-من الواضح أن نومك في الصالة أصابك ببرد في معدتك.

قال بينما يجفف وجهه...

-لا ، ليت الأمر بهذه البساطة ، إنها الكوابيس.

-أي كوابيس تلك التي تسبب القئ لأصحابها ؟

-كوابيس أري فيها نفسي عاشق يحب بجنون ، بإخلاص غريب بالغ نقي ، و حين أصحو من النوم أشعر بقلبي ينبض بعنف بالغ ، و أشعر بدوار و غثيان ، و أشعر أنني مضطرب انفعاليا ، و كأني أرغب في البكاء و الضحك ، و الغناء و الصراخ في الوقت ذاته.

-لهذا لم تكن تريد النوم.

-نعم ، تلك الكوابيس لا تفوت فرصة أغفل فيها بعيني إلا و راودتني.

اطرقت برأسي أحاول تركيب الأمور ببعضها دون جدوي ، لكن طارق كأنما سمع ما أفكر فيه...

-أعلم أنك لا تفهمين شيئا الآن ، أعدك أن تكون الأمور واضحة بمجرد إنتهائي من كتابة المذكرات.

-أي مذكرات ؟

نظر نحوي بخبث بينما يرتدي حذائه قائلا...

-**هل تعلمين ؟ لطالما تسائلت عن ذلك الدافع** الخفي وراء كتابة **البعض لمذكراتهم ، ما الفائدة من كتابة ما يعرفه المرء نفسه حق المعرفة ، خاصة و أنه في النهاية سيمارس حقه الإنساني في التحفظ علي تلك المذكرات بحجة الخصوصية.**

-**حسنا تعلم أنني قرأتها ، أنا باندورا المعاصرة ، هل لديك شئ** آخر لتقوله ؟

تجاهلني مستكملا كلماته قائلا...

-**في الواقع يكمن الأمر في تلك الكلمة ، الخصوصية ، نحن نخلق الخصوصية خلقا كي نشعر بأن أسرارنا صارت معرضة للخطر ، صارت ذات قيمة بالنسبة لكل منا.**

-**حسنا ماهي مخططاتك إذن ، هل ستنشرها في كتاب مثلا ؟**

رفع حاجبيه في استخفاف قبل أن يتوجه نحو باب الشقة قائلا...

-و لم لا ؟

اعترضت طريقه نحو باب الشقة لأمنعه من الخروج قائلة...

-**منذ يومين كنت تجاهد لتبوح لي بحقيقة مرضك ، ما الذي تغير** الآن ؟

-**اكتشفت أن هناك ما هو أكثر من كوني مريض نفسي ، ثم** إنني صرت أفضل حالا عن ذي قبل.

-و ماذا عن القوانين ؟ لقد أخبرتني انك لن تفكر بالأحداث ثانية و تكون موضوعيا.

-لا توجد قوانين هذه المرة.

-ربما لا تستطيع تحديد القانون المناسب.

-لا توجد قوانين ، ثقي بهذا.

-ماذا ستفعل إذن ؟

صمت لثوان ثم قال بنبرة جادة...

-سأضع القوانين بنفسي.

-كيف ؟

قال في نفاد صبر محاولا الوصول لمقبض الباب...

-فكري بالأمر علي أنه تغيير في استراتيجية حل الأزمة ، مشكلتي تكمن في أنها مستحدثة ، بلا قوانين مسبقة ، لذا صرت ملزما بأن أعيد مراجعة الأحداث خطوة بخطوة ، لأري أين الخطأ بالضبط ، و أضع القانون بنفسي.

وددت لو يعطيني فرصة أعيد فيها صياغة كلماته ، لكنه فتح باب الشقة قائلا في ثقة...

-ثم إن ذلك سيجعل أسراري بلا قيمة ، و حينها ربما يمكنني التخلص من وهم الخصوصية هذا.

لم أعترض طريقه ، و لم أعقب علي كلماته ، بل توقفت أتأمله **بينما يهبط درجات السلم ، للمرة الأولي منذ فترة أراه يستعيد** الثقة **في تصرفاته ، ولا أدري لماذا تمنحني ثقته هذه شعورا**

بالإطمئنان ، رغم تأكدي بأنه مجنون يتبني فلسفة غير واقعية ، و رغم علمي أنه مازال مراهقا يتخذ قراراته بتسرع و مجازفة...

(7)

بعد ثلاثة ايام استجبت للدعوة...

خطوبة أحمد سامي علي طبيبة ما تدعي (**هدي**) ، **و هي** علي **حد علمي مطلقة و لديها طفلة ، لذا بدا لي الأمر غريبا** بالنسبة لرجل كأحمد سامي ، أعزب ، و علي مشارف **الثلاثين**...

أعني أنه غالبا عندما يصل الرجال لهذه السن دون زواج فإنهم يصبحون إنتقائيين بصورة مستفزة ، و كأنهم يبحثون عن تلك الأميرة الكاملة المتكاملة التي تستحق أن تكون زوجة **للأسطورة الذكورية التي ظلت كل تلك السنين دون زواج ، هل حقا كانت هذه نظرة أحمد سامي نحو الدكتورة هدي ؟ أم أنه نظر لها من زاوية أكثر رقيا عن أقرانه من الرجال؟**

كانت تجول بفكري تلك الخواطر بينما كنت بالحفل ، قبل أن يخطر ببالي أنني لم أقم بدوري الإ**جتماعي اللزج في تهنئة العروسين ، لذا توجهت نحوهم راسمة علي شفاهي ابتسامة صناعية ، قبلتان علي الخد للعروس ، و سلام باليد للعريس** المتوجس من ظنون العروس...

استدرت عائدة لمكاني قبل أن يلفت نظري وجود طارق في **الحفل ، منذ جئت و أنا أشعر بتلك الطاقة السلبية المشعة** تملأ المكان ، كان جالسا علي أحد المقاعد و علي ركبته طفلة ذات **ثلاث سنوات تقريبا يتحدث معها و كأنما يتحدث مع فتاة** ناضجة...

-**ظننتك لا تحب الإجتماعيات**.

قال بينما يعبث برأس الفتاة...

-و مازلت ، لكن خطبة أحمد سامي تعد ظاهرة نادرة تستحق بعض التضحية.

قلت بينما أشير للطفلة...

-إبنة العروس ؟

-نعم ، الآن تفهمين ما قلته عن التضحيات.

التزمنا الصمت للحظات تظاهر فيها كل منا بتأمل الحفل و العروسين ، لكنني قطعت الصمت مواصلة التأمل قائلة...

-أسلوبك في الكتابة جيد بالمناسبة.

قال دون أن ينظر نحوي...

-لقد اقتبسته من اسلوبك ، **لهذا يشعرني بالنفور.**

تجاهلت ذوقه قائلة...

-لماذا لم تكتب علي اللاب توب ؟

-لأنه يذكرني بتلك اللحظات التي كنت أكتب فيها روايتك ، ثلاثة أشهر هي فترة كافية للغاية لحدوث إرتباط شرطي لعين.

تجاهلت رقته قائلة...

-ربما يمكنني مساعدتك في نشر الكتاب بدار النشر التي.....

-ستساعدينني فعلا ، و لكن بصورة أكبر من ذلك قليلا.

-كيف هذا ؟

قال بينما يتأمل شئ ما في رأس الفتاة...

-**سيتم نشر الكتاب بإسمك**.

هنا التفت نحوه قائلة في ذهول...

-**هل جننت ؟ هل تظن الامر بهذه السهولة حقا ؟**

-و لم لا ؟

-**لأن القراء يعرفون أسلوبي جيدا ، و مهما** بدا أسلوبك قريبا مني فلن.....

-**إذن ستنشرينها علي لسان مجهول ، كأحداث واقعية تقومين بسردها علي لسان أحدهم**.

-**لا أفهم هل تناقض نفسك مثلا ؟ ألم تقل أنك تريد التخلص من وهم الخصوصية ؟ لماذا تتراجع الآن ؟**

قال في برود...

-لأنني رجل لا كلمة لي ، أتراجع عن كلمتي في **أقل من ثانية ،** و إذا كنت تريدين مساعدتي حقا فكفي عن التساؤل من فضلك.

-**طارق ، صدقني فكرة الكتاب فكرة حمقاء ، أنت بحاجة لطبيب نفسي لتخليصك من الكوابيس أيا كان سببها**.

-**هل تظنينني أجهل الأطباء النفسيين ؟ إنهم مملون للغاية ، سأستغرق معهم دهورا كي أخرج من مرحلة** العلاج **الكلاسيكي إلي مرحلة المحاولات الجنونية ، ما أنا بحاجة إليه الآن هو محاولات جنونية بصورة مباشرة**.

كنت أعلم أنه يتظاهر بالسيطرة علي الأمور ببعض التفلسف ، يحاول حماية ذاته من الإنهيار ، فلسبب ما تمنحنا المعاناة نظرة فلسفية نحو الأمور ، نظرة نبرر بها لأنفسنا سوء الأوضاع ببعض **الفلسفة الملتوية ، و برغم ان هذا نوع من خداع الذات ، إلا أنه أفضل كثيرا من أن تمنحنا المعاناة اسبابا مقنعة للإنتحار**...

ظللت لبضعة دقائق أقرض أظافري بينما طارق يستمتع بإثارة فضولي أكثر بصمته هذا...

-طارق.

قال بينما يضحك بصوت عال...

-حسنا سأخبرك بما حدث بعد ذلك.

****

داومت لفترة علي جلسات الدكتور لطفي ، و كانت عائلتي **بالإسكندرية لا تعلم شيئا عن حقيقة مرضي ، لأنه في الواقع لم يظهر إلا عقب ابتعادهم عني بحوالي أسبوعين**...

في البداية كانت حياة الوحدة ممتعة بالنسبة لمراهق مثلي تخلص لتوه من جحيم الثانوية العامة و من تسلط الوالدين ، خاصة و أنه-صدق أو لا تصدق-**تمت تربيتي علي أعلي مستوي ، كنت مثالا للفتي المطيع الذي لا يعصي لوالديه أمرا ، كنت مبرمجا علي كل ما هو صحيح و أخلاقي لأفعله دونما تفكير ، لم أكن أرتكب أخطاء ببساطة لأنني لم أكن أعرف كيف أخطئ ، بل ولا أعرف كيف تبدو الأخطاء و لماذا أفعلها ، و في مجتمع شعبي عنيف كحي بولاق الدكرور ، لا مكان للـ(فرافير**) أمثالي **، و لسبب كهذا كانت فكرة وجود صديق لي أمرا مستبعدا** للغاية...

* * * *

-لحظة واحدة.

-ماذا ؟

-هل تريد إقناعي أنك لم تكن ذلك الوغد الذي أعرفه الآن؟

-لا أحد يولد وغدا كما أنه لا أحد يولد بذقن و شارب ، مثل هذه الأمور تستغرق وقتا كما تعلمين.

-و ماذا عن عمتك ؟

-ماذا بها ؟

كان من الواضح أنه لا يتذكر ما قاله سابقا لي لكنني كنت **مصرة علي تذكيره**...

-السبة البذيئة ، أولي كلماتك في الحياة.

-آه نعم ، لم أكن أعلم **أنني ذكرت لك هذا ، تذكرين عني أكثر** مما أذكر عن نفسي .

هززت رأسي بمعني أنني أنتظر منه الإستمرار في حديثه ، و عندما أدرك ما أقصده مط شفتيه لثوان و كأنما يعيد التفكير في الأمر...

-امممممم نعم ، ربما ولدت و بداخلي الإستعدادات التي تجعل **مني وغدا ، لكن التربية التي تلقيتها بعد ذلك أخفت كل هذا ،** إلي أن جاء وقت الإنفجار ، وقت الثورة ، طبعا بعد مغادرة **عائلتي لم أجد من أثور عليه فثرت علي ذاتي نفسها.**

-كيف هذا ؟

قال بينما يتأمل الطفلة التي بدأت تغفو بين يديه...

-سؤال جيد.

****

كما أخبرتك لم تظهر أعراض مرضي إلا بعد حوالي أسبوعين من مغادرة عائلتي ، أسبوعين من الوحدة الممتعة بدأت تتحول تدريجيا إلي عذاب...

في ذلك الوقت كانت بدايات دراستي بكلية دار علوم بجامعة القاهرة ، وفقا للتنسيق ، و حينها لم أكن أعرف ما هي دار علوم ولا ما الذي تدرسه تحديدا ، و لم أتحمس كثيرا حين علمت ، فليست اللغة العربية بالمجال المفضل لي ، لكنني قررت خوض التجربة علي كل حال ، و حاولت الإنتظام في الحضور لبضعة أيام زادتني إحباطا...

ظننت أنني سأنال حريتي حين أتخلص من عائلتي و أصير وحيدا ، لكن المشكلة التي واجهتني هي أنني وجدت نفسي مقيدا بذات الشخصية التي صنعتها التربية المحافظة ، الفتي الخجول المهذب الذي يفكر 2283927 مرة قبل أن يقدم علي **أي فعل ما سواء كان صحيحا أو خاطئا ، لأنه في النهاية سيفعل الصواب ، لأنه يخشي تأنيب الضمير...**

لا أذكر تحديدا أين قرأت هذه القصة لكنها معروفة للجميع ، قصة الفيل الذي لا يستطيع قطع ذلك الحبل البسيط المربوط بقدمه رغم قوة الفيل ، لأنه حاول منذ الصغر مرار أن يقطعه دون جدوي، هكذا استسلم لفكرة أنه لا فرار من ذلك الحبل إلي الأبد حتي بعدما صار قادرا علي قطعه ، ذات الفكرة كانت **تراودني عندما أري الطيور عند البائع فوق الأقفاص مستسلمة لمصيرها لا تحاول الهروب ، فيما بعد اكتشفت انه يربط بعضهم**

من المتمردين بحبل قصير إلي القفص كي يحدث ذات التأثير النفسي الحادث لأقرانهم ، إذن فالأمر يتعلق بقيود نفسية ، لقد خرجت المشكلة عن كونها تسلطا من أبي و أمي و صارت كامنة بداخلي...

هكذا لم يعد هناك مجال للخطأ ، لا أصدقاء ، حياة رتيبة مملة للغاية ، إنها التربة الخصبة المثالية لنمو أي مرض نفسي...

بدأ الأمر بتلك الأصوات الصادرة من الأدوار العليا ، أصوات حركة عادية ، و كأن هناك من يسكن في تلك الأدوار و يمارس حياته بصورة طبيعية ، و لولا أن ما مررت به مع عائلتي من خبرة مع الجن ساكنو منزلنا لفقدت عقلي منذ اليوم الأول ، كما أن وجود تفسير مقبول لتلك الأصوات هو شئ أراحني نفسيا إلي حد كبير...

لكن الأمر بدأ بالتطور مع ظهور تلك الهمسات ، همسات لا أدري مصدرها ولا تمييز ما تقوله ، أسمعها مع اقل لحظة صمت تمر بي ، قريبة للغاية و كأنها ملاصقة لأذني ، و مبهمة للغاية و كأنها كلمات متداخلة...

بعد ذلك بدأت مرحلة الندائات ، ندائات بأصوات كل فرد من عائلتي تتردد في غرف المنزل ، ندائات في منتهي الوضوح ، لكن المشكلة لم تكن تكمن في الندائات ذاتها ، بل كانت تكمن في كوني أصدقها ، أصدق النداء حين يأتيني و ألبيه ، و كأنما لا توجد حقيقة في الكون غيره ، و هذا شئ لا يمكنني السيطرة عليه...

لكن قمة الهلوسة بدأت حين قرصتني تلك الحشرة الغريبة علي ساعدي ذات يوم ، حشرة لم أر مثلها من قبل...
و لكن منذ متي كانت الحشرات كلها معروفة ، إنني لست خبيراً في علم الأحياء كي أدقق في مثل هذه الأشياء...

و كعادة كل القرصات فقد احمر موضعها ، و تركت علامة واضحة كقرصات الباعوض ، لكنها ظلت فترة أطول من المعتاد ، ظلت أياماً ، بل و أسابيع و العلامة تزداد اتساعاً و وضوحاً و ألماً ، و صارت صلبة أقرب للحجر...
لم أذهب لطبيب ، بل و لم أفكر في ذلك ، لست من هذا النوع الهستيري الذي يذهب لطبيب لمجرد أن لديه (واوا) ضخمة بعض الشئ...
بعد أيام اتخذ الأمر منحني آخر ، منحني لا يقتضي الذهاب لطبيب بل لجنايني !!
لقد نبتت العلامة الحمراء علي ساعدي ، و ظهر من قمتها برعماً صغيراً أخضر اللون يشبه بالضبط ذلك الذي ينبت في أفرع الشجر ، كان الأمر غريباً و مخيفاً لكنه أثار اهتمامي بذات الوقت ، هل أعرضها أمام الناس و أدخل بها موسوعة جينيس ؟ لا ، سيكون الأمر سخيفاً ، و سأبدو كأنني وغد آخر يسعي للشهرة ، هل أنتزعها بملقاط ؟ لا ، أنا لا أريد ذلك حقاً ، ما المشكلة في وجود نبتة بجسدي علي كل حال ؟ لا يوجد حل إذن سوي إخفائها عن أعين الناس...
هكذا قضيت أياماً كنت حريصاً فيها علي ارتداء قمصان بأكمام طويلة خاصة حين أسير بالشارع ، و أنا لم أكن معتادا إلا علي ارتداء التي شيرتات ، كنت أشعر بنظرات الجميع نحو ساعدي ، كنت أغطيه دائما بيدي و كأنما أخشي علي النبتة أن تصطدم بشئ ما ، كان مظهري مريباً لكنني كنت سعيد بتلك النبتة حقاً...
لم تكن تحتاج لمياه علي الإطلاق ، و كأنها تستمد المياه من جسدي ، لكن المشكلة كانت تكمن في الضوء ، لقد بدأت في الذبول تدريجيا و أصابني هذا بالهلع ، حقاً أصابني بالهلع و كان هذا رد فعل طبيعي لم أره غريباً حينها ، فقد نمت بداخلي مشاعر غريبة تجاه تلك النبتة ، مشاعر تشبه بالضبط مشاعر الأبوة التي تنمو بداخل الرجل لدي رؤية طفله الصغير للمرة الأولي...
لم أهتم يوماً بتفسير وجود النبتة ، لم أهتم بأي شئ سوي بها ، قررت الإنعزال عن العالم و التفرغ لها ، فقط لها ، و ظلت هي تنمو حتي بدأت أشعر بثقلها علي ساعدي...

لقد صرت لا أؤمن بأي حقيقة في الكون سوي تلك النبتة ، إنها أنا ، و أنا هي...
برغم كل هذا لم أقتنع بضرورة الذهاب لطبيب نفسي إلا بعدما التقيت بـ(حماصة)...

و حم**اصة هو شاب في الثالثة و العشرين من عمره تقريبا ، جارنا منذ سنين طويلة ، يعيش وحيدا في شقته الضيقة بالدور الأرضي في البناية المواجهة لنا ، لكنني لم أجرؤ يوما علي التحدث معه ، بل ولم أجرؤ حتي علي أن أرفع عيني في عينه ، لأنه عنيف للغاية في ردود فعله ، غير متز**ن في تصرفاته **إطلاقا ، متعهد شجارات الشارع حتي لو لم يكن الشجار يخصه فإنه يقحم نفسه فيه إقحاما منحازا لأبناء شارعه ، يعشق** التوكتوك الخاص به إلي حد الجنون و يعتبره أعز ما يملك...

****

-أعذرني لحظة.

كان هاتفي يرن داخل الحقيبة ، و لم أكن أنوي الرد علي تلك المكالمة بأي حال من الأحوال ، فقط أكره تلك المؤثرات الدخيلة التي تخرجني من جو القصة...

لكن الحقيقة أن تلك المكالمة كانت غير متوقعة علي الإطلاق ، مكالمة جعلتني عاجزة عن اتخاذ قرار فوري بشأنها ، لذا وجدت نفسي ألجأ إلي طارق لا إراديا...

-طارق ، ماذا أفعل الآن ؟

رفع إصبعه امام فمه قائلا بصوت خفيض...

- ششش ، الطفلة نائمة.

قلت هامسة...

-**الموسيقي الصاخبة تملأ المكان هل تري أن صوتنا سيشكل** فرقا ؟

-**الموسيقي الصاخبة هي الإيقاع الذي جعلها تنام ، لو توقفت الموسيقي الآن أو تغيرت درجة الصوت ستستيقظ الطفلة.**

رفعت شاشة **الهاتف نحوه كي يفهم فهز رأسه أن لا أرد**...

-**لا تضعفي يا سمر ، هذا الرجل متزوج قبل أي شئ.**

-لقد اتخذت قراري مسبقا لا تقلق ، لكنه الفضول فحسب ، أتسائل لماذا يتصل بي.

-**إنسي الموضوع ، أعرف انك اتخذت قرارك مسبقا ، لكن هذا من الناحية العقلية فحسب ، مازال جانبك الإ**نفعالي لم يتخلص **من بقاياه ، و كلما تسمعين اسمه ستنتابك ذات القشعريرة و الرجفة الغير مفهومة.**

كان محقا للأسف ، تفسيراته السيكولوجية تفضحني أمام ذاتي دائما ، و تخبرني بما أخشي مصارحة نفسي به...

-**دعنا من هذا الآن و أخبرني كيف كان صديقك** (مصاصة) سببا في إقناعك بالعلاج.

-حماصة.

-أيا كان.

****

في ليلة من الليالي السوداء ، استيقظت علي صوت قرقرة و رائحة نرجيلة ، و كان هذا كافيا لأعلم أنني لست بمنزلي قبل حتي أن أفتح عيناي ، كانت رأسي تؤلمني للغاية و كأنني

تلقيت ضربة قوية عليها ، و حينما نظرت بجانبي وجدت حماصة ينظر لي **قائلا و المبسم بين أسنانه النخرة**...

-لا تشكرني .

قمت فزعا من ذلك الفراش شاعرا و كأنني أحلم...

-**ما الذي حدث ؟ ما الذي جاء بي هنا ؟**

سحب سحبة قوية من النرجيلة و قال بينما الدخان يخرج من فمه و منخريه كأنه تنين...

-**هل تتظاهر بالنسيان أم أنك فعلا لا تذكر شيئا مما** حدث؟

فتحت فمي كي أقول شيئا لكن صورتي في تلك المرآة المشروخة صدمتني أكثر من أي شئ آخر و جمدت الكلمات في حلقي ...

-**هل**...**هل هذه ملابسك التي أرتديها ؟**

-لا ، **وجدتك بهذه الملابس**.

-**مستحيل**.

هكذا سحب حماصة سحبة أخري و قال...

-**هل تعلم ؟ لسنوات تمنيت أن أكون مثلك ،** مسالم و في **حالي ، لكنك حين تحاول أن تتغير تدرك أنك اتخذت قرارك متأخرا للغاية ، و أن أوان التغيير قد فات ، و أنك صرت مقيدا بطبيعتك الراهنة إلي الأبد**.

نظرت نحوه متعجبا من لهجته الفلسفية الغير متوقعة ، في بعض الأحيان يتحدث بعض هؤلاء الأشخاص علي شاكلة

حماصة بصورة **تعطيك خلاصة الحياة في جملتين فحسب ، و تدرك حينها كم كنت مخطئا حين تصورتهم مجرد حيوانات آدمية لا تفكر إلا بعضلاتها**...

-ما الذي حدث بالضبط ؟ أنا لا أذكر أي شئ.

قال بينما يرص بعض أحجار الفحم ناظرا نحوي في تشكك...

-**منذ يومين و أنت تعاكس فتيات الشارع و تتشاجر مع الجميع بصورة لم أصل إليها أنا شخصيا ، و كلما كنت أتدخل لا أعلم لمن أنحاز فيكم ، أنت جاري و هم أبناء منطقتي ، كنت أكتفي بفض الشجار رغم وقاحتك معي و مع الجميع ، لا أعلم ما الذي حدث لك ، كان تغيرك هذا يجعلني محتارا عاجزا عن اتخاذ قرار** بشأنك ، لقد كنت أكث**ر أبناء الشارع تهذيبا منذ صغرك ، و في شجارك الأخير اليوم ضربك أحدهم بزجاجة فوق رأسك و سقطت علي الأرض مغشيا عليك.**

لم أعرف ماذا أقول ، كنت مذهولا مما يرويه ، لا أتصور أن أفعل ربع ما يقوله هذا...

-**إذن هذا يعني أن صورتي في الشارع الآن لم تعد كما كانت.**

-لقد صار**و يكرهونك أكثر مني ، هنيئا لك يا صاحبي.**

تأملت هيئتي مرة أخري في المرآة في ذهول متزايد و قلت...

-**صار الوضع لا يمكن السكوت عليه ، من الأفضل لي الذهاب لطبيب أمراض عقلية قبل أن تسوء الأمور أكثر من ذلك.**

التفتت نحو حماصة فأدرك ما أريد قوله سريعا...

-لا تقلق ، (**سرك في بير**) ، أن تكون وغدا أفضل من أن تكون مجنونا.

****

-**هكذا قادني القدر لعيادة الدكتور لطفي ، و بعد حوالي ثلاثة جلسات توصل لتشخيص عبقري لم يتوصل إليه جهابذة العالم** من قبل ، إ**ضطراب الهوية الانشقاقي ، هو أقرب ما يكون** لانفصا**م الشخصية لكنه يختلف عنه** ، و كأنني كنت بانتظار **تشخيصه العبقري هذا ، لقد كنت بحاجة ماسة للعلاج سريعا ولكن كما أخبرتك ، الأطباء النفسيون مملون للغاية في اتباعهم** للطرق الآمنة أولا.

رن هاتفي الجوال فتجاهلته مرة أخري حين رأيت المتصل...

-**ردي عليه**.

-ماذا ؟

-**ردي عليه ، و إذا طلب مقابلتك** اقبلي .

-**ما الذي تقوله يا طارق هل جننت ؟**

قال مبتسما...

-**صدقيني ، أحيانا يكون الجنون هو أقصر الطرق لحل المشاكل** بصورة جذرية ، ولا أبالغ لو قلت أنه أفضل أسلوب للتعامل مع **هذا العالم**.

-نعم لكن الجنون أيضا له أسباب ، أخبرني بسبب واحد مقنع.

قال بينما يمد يده ليضغط زر الإجابة...

-**سأخبرك بعد أن تنهي المكالمة**.

وضعني الوغد في موقف سئ مفاجئ...

-ألو.

-سمر ، كيف حالك ؟

كان صوته هادئا كعهدي به ، صوتا أعاد لي ذكريات رائعة و أصابني بذات الرجفة في جسدي ، و لكنها أقوي بعشر مرات من سابقتها...

-جيدة...**بخير**.

-ما هذه الضجة حولك ، هل أنت في الشارع الآن ؟

قلت بصعوبة...

-لا ، إنه حفل خطوبة أحد أصدقائي.

-آه نعم ، علي كل حال ، أردت فقط تهنئتك بكتابك الجديد ، إنه رائع لقد قرأته أكثر من مرة.

-أشكرك للغاية.

قال في تردد واضح...

-سمر ، أعلم ما ستفكرين به الآن لكن...**هل يمكننا أن نتقابل** قريبا **؟ صدقيني ليس الأمر كما تظنين ، فقط أريد أن** نتقابل...كأصدقاء ، أنا بحاجة ماسة إلي الحديث مع شخص يمكنني الوثوق به.

نظرت إلي طارق في حيرة فهز رأسه إيجابا و كأنما يسمع المكالمة معي...

-حسنا ، لدي جلسة صباح غد ، ربما يمكننا أن نلتقي في **الواحدة ظهرا بنفس المقهي** المعتاد.

أنهيت المكالمة و نظرت نحو طارق في صمت أثار تعجبه و قال...

-ماذا؟
-لقد قمت بتوريطي للتو ، ما الذي تريد إثباته بالضبط ؟

قال بينما يمسح علي شعر الطفلة و كأنها حيوانه الأليف...

-**هل تذكرين فيلم** (the holiday) **الذي شاهدناه من قبل سويا ؟ هل رأيت كيف عانت كيت وينسلت من حبها لرجل لا يهتم لأمرها إطلاقا ، و ظلت تتعذب حتي أقتربت منه للغاية و أدركت كم هو وغد حقا ، و حينها تخلصت من حبه إلي الأبد ، عقليا و إنفعاليا**.

-ما الذي تريد قوله ؟

-**أنت الآن كمدمنة تدخين ، تدركين أضراره و لكن لا تستطيعين** الإقلاع عنه ، و إن كا**ن جلال هذا وغد حقا ، فإن الذهاب بعيدا هو أفشل الأساليب لنسيانه ، فحين تعقدين العزم علي نسيان وغد ما ، عليك الإقتراب منه و التعمق أكثر و أكثر ، حتي تصلين** لتلك الدرجة التي-**يقينا-تدركين فيها كم هو يستحق الإحتقار و النسيان ، شيئا فشيئا ستشمئزين منه حتي تحترق** ذكرياته المبعثرة بداخلك.

بغض النظر عن جنون الفكرة و صعوبتها ، لكنها المرة الأولي تقريبا التي أجد فيها كلامه سهل الفهم بدون مصطلحاته السيكولوجية اللعينة ، لكن-و كأنه قرأ أفكاري-العادات القديمة **لا تموت بسهولة**...

-إنه الإرتباط الشرطي يا آنسة سمر ، يستخدمونه للإقلاع عن **التدخين ، و لأغراض أخري**.

(8)

في اليوم التالي كانت لدي جلسة في المحكمة...

لكنها لم تكن كالجلسات السابقة ، كان تركيزي مشتتا للغاية ، و رغم أنني بذلت جهدا في العمل علي تلك القضية ، إلا أن عقلي أمام هيئة المحكمة صار صفحة بيضاء ، كنت أعلم **السبب وراء كل هذا ، لكنني كنت أتظاهر أمام نفسي بالقوة ، و بأنه لا شئ يستحق كل هذا ، لكن الجلسة مرت بسلام علي** كل حال...

و بعد انتهاء الجلسة رن هاتفي ، و كان المتصل طارق ، و بالطبع لم أكن في حال تسمح بالتحدث مع أي أحد...

-**طارق ، تعلم أن هذا ليس ال**وقت المناسب للحديث.

جاء صوته متحمسا للغاية حين قال...

-**لقد انتهي الأمر يا سمر ، انتهي الأمر**.

-أي أمر ؟

-**الكوابيس ، انها الليلة الأولي التي لا تراودني بها الكوابيس** منذ فترة طويلة.

قلت في اقتضاب واضح...

-**رائع ، هذا شئ جيد**.

-**ما هذا ؟ هل هذا كل شئ ؟**

-ما الذي ت**توقعه مني الآن ؟ أقيم احتفالا من اجلك ؟**

-بل توقعت بعض اللوم ، توقعت بعضا من (لو أنك استمعت لكلامي منذ البداية و صارحتني ....).

-طارق أنا أرتعد الآن ولا يمكنك أن تتصور مدي سوء حالتي.

-لماذا ؟

هنا أغلقت الإتصال في وجهه لأسباب تتعلق بقدرة أعصابي علي التحمل ، و **بدأت في التوجه نحو المقهي الموعود ، مكان** لقائنا الأول...

****

في المساء كنت أطرق الباب الحديدي لمنزل طارق قبل أن يطل برأسه من الشرفة بوجه ناعس و شعر منكوش ، لسبب **ما يطل الجميع من هذه الشرفة بشعر منكوش**...

-**هل لديك دقيقة من الوقت أنتزع فيها أحشائك ؟**

-آنسة س**مر هذا منزل رجل عازب و وجودك هنا غير أخلاقي** بالمرة ، إرحلي.

-طارق أعلم أنك غاضب مما حدث في الصباح ، ثق أنني الأكثر غضبا الآن ، إفتح لي الباب و دعنا نتناقش بالداخل من فضلك.

الحقيقة أنني من داخلي كنت أتمني ألا أجده و أعود أدراجي لأتعامل مع غضبي وحدي ، خاصة و أنني أعلم أن طارق لا يحب استقبال أحد بمنزله علي الإطلاق ، لكنه ضغط علي أعصابه و فتح لي الباب في نفور واضح...

-**هناك اختراع يسمونه جرس**.

-من الواضح أنك لا تملكه إذن.

نظر نحو الأسلاك العارية بجانب الباب ثم صرخ في الشارع قائلا...

-**أيها اللص اللعين أعلم من أنت** و سأريك.

أغلق الباب خلفه قائلا في إنزعاج...

-**إنها المرة الثالثة التي اقوم فيها بتغيير زر الجرس**.

ساد الصمت للحظات منتظرة إياه أن يتحدث بهدوء ، لكنه صعد لشقته بدون كلمة زيادة و كأنني غير موجودة ، هكذا دعوت نفسي للصعود لأجده في صالة المنزل يحاول إزالة آثار فوضاه الذكورية...

-**تعلمين أنني بحاجة ماسة للنوم بعد طول انتظار**.

-**أعلم ، و لكن عليك تحمل عواقب نصائحك لي**.

قال بينما يلملم ملابسه الملقاة علي الأرض...

-**إذن هذا يدل علي أن نصيحتي جائت بنتيجة سريعة**.

-**نعم ، نتيجة حمقاء مثلك**.

نظر نحوي متسائلا و قال...

-**ما الي يعنيه هذا ؟**

أخذت نفسا عميقا و قلت في أسي...

-**جلال يريدني كمحامية ، يريد توكيلي في قضية تخصه**.

-**رائع ، من الواضح أنها حجة يريد بها إعادة التواصل بينكم ، و** ماذا كان ردك إذن ؟

-لقد رفع دعوي ضد زوجته بعد أن طلقها لأنه يريد حضانة الأطفال ، يراها غير مؤهلة لتكون أماً من الأساس ، و الآن يريد توكيلي للدفاع عنه.

رفع حاجبيه مندهشا و قال...

- يحتاج المرء لجرأة كبيرة كي يواجه من يحبها بطلب كهذا ، بدأ هذا الرجل يروق لي حقا.

-نعم ، لأنه وغد مثلك.

-ربما يكون وغداً لكنه وغد ذكي للغاية ، يريد أن يضرب عصفورين بحجر ، أراهن علي أن هذا الرجل يخطط لشئ ما علي المدي البعيد.

-هل أخبرك بسر أنا متأكدة أن أمي لم تخبرك به ؟

-ماذا ؟

-حين صارحت أمي بحبي لهذا الرجل رفضت فكرة زواجي من رجل متزوج ، و لم تكتف بهذا للأسف فقد كانت تعلم انه لن يتخلي عني بسهولة ناهيك عن أنني كنت كذلك أيضا ، و لهذا فعلت مالم اتوقعه منها منذ ولادتي ، استأجرت بعض البلطجية ليضربوه و يهددوه بعدم الاقتراب مني ثانية ، و حينها صارحني بأنه يفضل أن يعيش لأبنائه سليما لينفق عليهم علي ان يموت في سبيل حبه لي ، احترمت رغبته و لم اره بعد ذلك ، لكنني قررت حينها أن الحياة مع أمي صارت مستحيلة ، و من هنا جاء قراري لأستقل بحياتي بعيدا عنها.

-لقد فعل جلال الشئ الصحيح ، لكن من الواضح أن هناك خططا بديلة بدأت في الظهور برأسه مؤخرا.

-**لا أعتقد ذلك ، أظنه يريدني كمحامية فحسب**.

-**هل أنت بهذه السذاجة حقا ؟ ليس هناك في البلد ماهو أكثر من المحامين**.

-**دعني اخض هذه التجربة ، ربما اتخلص من بقاياه بداخلي كما** تقول.

-انت امرأة ناضجة يا سمر ، أتعشم أن تتعاملي مع الموقف **علي هذا الأساس**.

-**لا تقلق ، لقد صرت علي يقين أن الأمور السيئة تحدث**.

-**و بالمناسبة ، حين يجذبك بكلامه الساحر و مشاعره الدافئة ثم يصدمك ثانية لا** تلجأين لرفقتي من أجل الإنتحاب ، فلدي من **المشاكل ما يكفيني**.

-**طارق عليك أن تدرك حقيقة أنك آخر من أفكر باللجوء إليه فقط لو كان هناك من يمكنني الوثوق به غيرك ، الأمر لا يتعلق بك شخصيا بل يتعلق بأنك الوحيد المتاح في الوقت الحالي**.

-**هذا شئ يسعدني**.

نظرت نحوه في كر**اهية و قلت**...

-**إذن ، أخبرني ما هي مخططاتك الآن ؟**

-لا أعلم حقا ربما أقوم باختراع حجة ما لطردك و مواصلة نومي ، لكنني أظن أن.......

-**أقصد مخططاتك بشأن الكتاب ، هل تنوي الاستمرار في** الكتابة ام ماذا ؟

-**لا أري حقا سببا مقنعا لفضح نفسي الآن ، لم يعد هناك داع** لذلك.

-**خسارة ، كان الأمر ليكون مثيرا**.

-نعم ، أنا أنشر اسراري و انت تأخذين جائزة الأدب لأسوأ قصة **واقعية في التاريخ**.

-ألن تخبرني حتي من باب الصداقة ؟

-**يكفي ما عرفتيه ، و الآن اسمحي لي ، طار النوم و لدي موعد مع هاوس**.

-لقد توقفت ام بي سي 4 **عن إذاعته منذ أسبوعين ، كيف** يمكنك أن......

-**هذا يدل علي أنني لست الوحيد الذي يشاهده**.

قلت متعلثمة في كلامي...

-لقد....**أعجبني نوعا ما ، لا بأس به كنوع من التسلية و قضاء** الوقت.

-**نعم ، هذا سبب مقنع**.

-طارق ما الذي تريد قوله ؟

قال ناظرا للسقف كأنما يحاول استدعاء فكرة ما...

-لسبب ما **يا آنسة سمر يثيرك فضول تجاه أفكاري ، هل تعرفين ذلك الشخص الفضولي الذي تجدينه دائما و أبدا بينما تقرأين الجريدة في أي وسيلة مواصلات ؟ شخص كهذا يجدر**

تسميته حقا بقارئ الأفكار ، لأنه بالفعل يقرأ ما تقرأين في الوقت الحالي لذا يمكن اعتباره بشكل ما يقرأ أفكارك **الراهنة**.

-**هل أخبرك أحدهم بأن تشبيهاتك صارت سخيفة مؤخرا ؟**

-**هذا لا ينفي كونها دقيقة**.

أحيانا أشك في كوني مصابة بشئ من الماسوشية في تصرفاتي كوني اتعامل مع وغد كهذا بإرادتي...

(9)

بعد حوالي ثلاثة أيام قمت بزيارة أمي في مكتبها...

ربما كنت **أقنع نفسي بأن هذا من أجلها ، لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنني كنت أسعي للحفاظ علي صورتي أمام ذاتي ، أحاول أن أثبت لنفسي أنني أفضل منها رغم ما فعلته بي ، و أنني لست ابنة سيئة**...

كان من الواضح ان غيابي لم يغيرها كثيرا ، مازالت تلك المرأة الواثقة من نفسها و من تصرفاتها ، مازالت تلك المرأة التي لا تترك نفسها لعواطفها تجرفها مع التيار ، مازالت تلك المرأة التي تأبي إظهار افتقادها لإبنتها ولو بقبلة صغيرة أو حضن دافئ...

ربما لأسباب كهذه يمكنني التعامل مع طارق باحترافية ، فلطالما رأيته النسخة الذكورية من أمي ، **و ربما لأسباب كهذه لا أكف عن الذهاب إليه ثم أندم علي ذلك**...

****

قال طارق بينما يفرغ أحد أكياس السكر بالمقهي في فمه مباشرة...

-**هل تعلمين ؟ ربما كان الأصح أن نقول أن بداخل كل منا وغد ، إنه جبل ثلجي لكن درجة ظهوره علي السطح تختلف من** شخص لآخر.

تجاهلت كلماته بشأن أمي و قلت...

-**أمور كثيرة تصدمني هذه الأيام ، أمي تتجاهل غيابي و كأنها لا** تبالي ، و الرجل الذي أحببته لا يريد أن.....

-**لا أفهم أليس هذا ما كنتِ تريدينه ؟**

-**لا ، أعني نعم كنت أريد أن أتخلص من كل هذا لكنني لم أتوقع أن تصلني النتائج بهذه السهولة ، ظننت أنني سأجد من يهتم** لأمري ، من يحاول إقناعي بالعدول عن تصرفاتي الحمقاء ، أريد **أن أشعر أنني مهمة لأحدهم**.

ابتسم ابتسامة خفيفة قائلا...

-**إنها بوادر حياة الوحدة ، تهانئي**.

نظرت له قائلة في تردد...

-طارق ، أنا لا أريد أن أكون مثلك.

-**أعلم هذا**.

-لا أريد أن تصنع مني الو**حدة كيانا ينفر منه الجميع**.

-**أعلم هذا**.

-**لا أريد أن أكون مريضة نفسياً**.

رفع حاجبيه قائلا...

-**حسنا كان هذا جارحا**.

ابتسمت رغما عني و أرحت رأسي علي طاولة المقهي في إحباط...

-**هناك بعض الراحة في أن تكوني خاسرة ، إنه شئ يتعلق بمسؤلية ما بعد الفوز و حرية ما بعد** الخسارة.

قلت بينما أتأمل حذائي أسفل الطاولة...

-**فلسفتك لا تساعدني يا طارق ولا أظنها ستساعدني يوما ، إنها فلسفة صنعتها بنفسك و لنفسك فلا تحاول فرضها علي غيرك**.

قال مستسلما...

-أردت المساعدة فحسب.

قلت بينما أرفع رأسي عن الطاولة...

-**ما رأيك لو نعود للعمل ثانية** ؟ رواية جديدة.

-**عاطفية ؟**

-**أنا أمرأة في نهاية الأمر**.

-(يفتح).

-ماذا ؟

-ما رأيك لو نستكمل مذكراتي ؟

قالها طارق رافعا فنجان القهوة إلي شفتيه بينما ينظر نحوي من أسفل نظارته في ترقب...

-**لقد عاودتك الكوابيس مجددا أليس كذلك ؟**

-**هل أبدو مفضوحا لهذه الدرجة ؟**

-أنت قلتها من قبل ، لا تعمل إلا لأجل إنهاء آلامك الراهنة ، و لم تقل آلام غيرك.

لم يحاول المراوغة هذه المرة و قال...

-علي كلٍ لم يعد هناك داعٍ للخجل ، نحن وطواطان عجوزان يتبادلان الخبرات القديمة ، كلانا يعاني من الوحدة خلف قناع من التمنع و الوقار العدائي.

- س**أقبل هذه الإهانة مؤقتا.**

صفق بيديه ثم فرك كفيه ببعضهما كدلالة علي التحمس و قال...

-حسنا ، طالما أنه لا مفر من الفضيحة ، علينا إذن أن نتفق.

-نتفق علي ماذا ؟

-أولا ، قد تسمعين مني بعض الأسرار الصادمة التي قد لا تتوقعين حدوثها إطلاقا ، لا أريد تعليقات من أي نوع ولا حتي **اندهاش.**

قلت في ثقة...

-لم يعد هناك ما يثير دهشتي ، ثق بهذا.

-ثانيا قد تسمعين مني بعض الآراء الصادمة و التي هي بالمناسبة قد لا تثير إعجابكِ كثيرا ، لكنها حتما ستثير دهشتكِ و ربما غضبكِ.

فكرت قليلا ثم قلت في نفاد صبر...

-هل أنت حقا خائف علي مشاعري لهذه الدرجة ؟

نظر نحو فنجانه مفكرا ثم قال...

-لا ، فقط أحاول حماية أسراري.

- ستنشر أسرارك علي الملأ في كل الأحوال.

قال بينما يدور بإصبعه علي حافة فنجانه...

-نعم ، و لكن علي لسان مجهول ، و لأنني لا أريد أن يتأثر اتفاقنا بشأن (**لسان مجهول**) **هذا بما سأقوله فإنني** أقدم لكِ تحذيرا مسبقا عما قد يحرك بداخلكِ عرق النذالة أو الرغبة في الإنتقام مني ، إتفقنا ؟

-إتفقنا.

-و الآن أين توقفنا سابقا ؟

****

بعد عدة جلسات مع الدكتور لطفي ، صار الأمر مألوفا ، و صرت **أذهب لعيادته بصورة دورية كنوع من تخفيف آلام الوحدة ، كان** يستمع دون أن يبدي رأيه في شئ علي الإطلاق ، لا نصائح **كلاسيكية أو ذكية حتي ، كان يدرك جيدا أن المريض النفسي بحاجة لمن يسمعه فقط دون أن يتحفه ببعض النصائح الذهبية و كأن المريض حمار لم يفكر بها علي الإطلاق...**

لكن الأشياء الجميلة تنتهي دائما ، إنها سنة الحياة ، هكذا أثناء ذهابي إليه في إحدي المرات وجدت السكرتيرة في مكانها المعتاد ، فقط كي تخبرني بالخبر التعيس...

-البقية في حياتك ، لقد توفي الدكتور لطفي منذ ثلاثة أيام ، و قامت عائلته بتوكيلي لتحويل مرضاه لطبيب آخر.

و كأن هذا بالشئ الهين ، إن العلاقة بين المريض و طبيبه قد لا **تكون قاصرة فقط علي كونها علاقة بين طبيب و مريضه ، فبرغم أن الأطباء دائما يحاولون تحجيمها إلا أنها قد تتطور لما هو أكثر من ذلك ، لقد كان الدكتور لطفي يمثل لي ما هو أشبه** بـ.....**تلك العصافير التي تأكل**-متطوعة-**بقايا اللحم من بين أسنان التماسيح ، نعم هذا هو التشبيه الأكثر ملائمة ، أنا رائع** حقا...

هكذا ذهبت لطبيبي النفسي الجديد ، طبيبتي الجديدة علي الأصح ، الدكتورة (التزام) ، **نعم تعجبت مثلك هكذا عندما قرأت اسمها و ظننت انه خطأ مطبعي ، لكنني استرحت له نوعا ما فيما بعد ، خاصة و أنه**-رحمه -لم يكن يلتزم بشئ قط ، و كان دائما يسألني ذات أسئلة الجلسات السابقة و كأنه لا يذكر **شئ مما قلته سابقا ، لكنه كان أول نموذج أراه لطبيب نفسي ، لذا كان من الصعب أن أحكم عليه دون مقارنته بغيره**...

كانت الدكتورة التزام جديرة باسمها حقا ، وقورة للغاية ، حازمة للغاية ، تشبه للغاية تلك **الدكتورة التي تطردك من محاضرتها دائما لأنك شاب رقيع تجلس في الصف الخلفي مع زميلاتك تتبادلن الأحاديث طيلة المحاضرة ، لم أكن لأتعجب لو اتضح بالفعل انها دكتورة في جامعة ما**...

-**قل لي يا طارق ، هل مازالت تسمع تلك الأصوات و تري تلك الهلاوس البصرية ؟**

-إلي حد ما ، علي فترات متقطعة.

-**هل مازالت بنفس وجودها قبل بدء العلاج ؟**

-**أخشي أنها تزداد بمرور الوقت** ، لكن النبتة اختفت علي كل حال.

قطبت جبينها قائلة...

-أي نبتة ؟

-إنها قصة طويلة لا تشغلي بالك.

-هل ما زلت منتظما علي الادوية ؟

-نعم.

-قل لي يا طارق ، إلي أي مدي أنت متصل بعائلتك ؟

-يزورني أبي من وقت لآخر ليطمئن علي أحوالي.

إلي آخر هذا الهراء الطبي...

و توفيرا للوقت فقد كانت أغلب جلسات الدكتورة التزام علي هذه الشاكلة ، بلا سرد للذكريات ، بلا شيزلونج ، بلا داعي...

و نقطة الشيزلونج هذه تحسب لها ، أنا أقدر مثل هذه الأشياء التافهة مهما بدت تافهة ، إن من يكسر القواعد دائما ما يروق لي...

هكذا داومت علي متابعة العلاج معها حتي جائت امتحانات الترم الأول في دار علوم ، و بالطبع لم أحضرها لسببين في غاية البساطة ، أولهما هو أنني لم أكن أعرف حرفا عما أدرسه في تلك الكلية ، وثانيهما هو أنني كنت في مستشفي **المجانين...**

****

انتفضت في مقعدي قائلة...

-هل تمزح ؟

قال بينما يطرق بسبابته علي الطاولة في إنزعاج...

-**ماذا حدث لكلماتي عن عدم الإندهاش ؟**

-اعذرني لكنني ظننتك مريضا فحسب ، لم أتصور لحظة أنك قد **تخضع لأوامر طبيب ما و تدخل مستشفي المجانين**.

-بالمناسبة (**مستشفي المجانين**) **هي مصطلح قصدت به السخرية مما حدث لي ، في الحقيقة يسمونها** (مستشفي **الأمراض النفسية و العصبية**) ، **بينما أحب تسميتها** (المصحة) ، إنه اسم محايد نوعا ما ولا يحمل تلك الطاقة المزعجة من الغرابة.

-**و ما الذي أجبرك علي دخولها ؟**

مط شفتيه قائلا...

-**سؤال جيد**.

****

إتضح لي أن الدكتورة التزام امرأة عملية للغاية ، و أراهن أنه لو كان الدكتور لطفي مازال حيا لظل يعالجني بجلسات أبدية تزيد حالتي سوءا...

هكذا لم تجد الدكتورة التزام جدوي من علاجي بالجلسات في عيادتها ، خاصة و أنها كانت تعتنق ذلك المذهب القائل بأن **المريض هو وغد مستهتر طائش تسبب بكل هذا لنفسه و عليه أن يتحمل نتيجة أخطائه ، و لسبب كهذا قررت أن تجبرني علي مغادرة حياة الوحدة عن طريق تحويلي لمستشفي الأمراض النفسية التي تديرها ، منذ البداية كنت اعلم أنها امرأة قيادية**...

هكذا وجدت نفسي ذات يوم اسحب حقيبتي علي أرضية المستشفي متوكلا علي خلف (عم طلعت) ، التمرجي **العابس البائس الذي فقد استمتاعه بالحياة و بكل شئ ، إن من يقضي حياته في هذا المكان لابد و أن تتغير خريطة تفكيره** و نظرته للناس و العالم ككل...

بيد أنني لاحظت أنه توسم في شخصي التعقل ، و علي الأرجح ايقن انني مجرد حالة اخري من (**ولاد الناس الفرافير اللي بيتدلعوا عشان جالهم شوية اكتئاب**)

-تفضل يا استاذ ، تفضل يا باشمهندس.

و عندما وصلت لغرفتي توقف علي الباب لحظات يتأمل في **بهاء وجهي و جماله قبل أن أفهم ما الذي يريده مني تحديدا**...

-هل هناك مشكلة ؟

-تأمر بشئ آخر يا باشمهندس ؟

كان لابد أن أفهم منذ البداية ، من الصعب الحصول علي بقشيش من ذوي الحالات الخطرة و لكنني أبدو مسالما يمكن استغلالي ، هكذا دسست في يده جنيهان و أنا حريص كل الحرص علي أن أنكش شعري في المرة القادمة و أرتدي **كسرولة فوق رأسي عله يعيد** النظر في طلبه...

و قبل أن أغلق باب الغرفة خلفي لمحت في طرقات المصحة **بعض التمرجية يلاحقون مريضة شابة منكوشة الشعر ، نظرت** لعم طلعت متسائلا فرد بابتسامة استخفاف علي غرار (لم تر **شيئا بعد ، لسوف تعتاد علي مثل هذه الأمور**)...

* * * *

خلع طارق نظارته و فرك وجهه في إنهاك قائلا...

-تلك الذكريات السوداء ، تبا.

-ربما يمكننا الإستكمال غدا ، علي الأقل لأجد وقتا أصيغ فيه هذه الأحداث علي الكمبيوتر.

-تبدين متحمسة للأمر.

قلت بينما أشير للفتاة لتجلب الفاتورة...

-أنا متحمسة لأي شئ يملأ فراغ وحدتي ، ثق بأن الأمر ليس شخصيا.

هز رأسه في صمت بينما يفتح كيسا آخر و يفرغه في فمه...

-ثق بأنك ستصاب بالسكر عما قريب ، هل تنوي المغادرة معي أم ستظل هنا تسف السكر ؟

-سأبقي قليلا ، لست مولعا بالنوم باكرا كما تعلمين....ولا متأخرا حتي.

-متي نتقابل إذن ؟

مط شفتيه قائلا...

-لا أعلم ، دعيها للصدفة ككل مرة.

-ربما عليك أن تجد طريقة أفضل من الصدفة نلتقي بها ، لا تتكاسل لمجرد أنك صاحب الرواية هذه المرة.

-تعلمين أنني لا أحب الإلتزام بشئ.

-كنت تلتزم أثناء كتابة روايتي.

-أخبرتك أنني كنت بحاجة للنقود.

قلت بينما أخرج نقودا من محفظتي لدفع الفاتورة...

-**ألست بحاجة لها** الآن ؟

قال و قد أدرك ما ألمح له...

-**لن أكتب شيئا**.

- سنتبادل الادوار ، أنت تسرد ، أنا أكتب ، و أدفع لك مقابل السرد.

صمت لثوان مفكرا و قد أعجبته الفكرة ثم قال...

-خمس و عشرين في الساعة.

-**خمسة جنيهات في الساعة**.

-عشرين في الساعة.

-عشرة في الساعة.

-خمسة عشر.

مددت يدي نحوه قائلة...

-إتفقنا ، الثامنة مساء في منزلي ولا تتأخر.

غادرت بينما أحاول كتم دموعي داخلي حتي اغيب عن نظر طارق ، و حين خرجت للشارع انفجرت باكية غير عابئة بنظرات المارة...

ألهذه الدرجة صرت منبوذة ؟ صدقا لم أكن أتصور أن يأتي اليوم الذي أشتري فيه اهتمام الآخرين ، لكنني مضطرة لفعل ذلك كي لا تفقدني الوحدة عقلي و أجن...

(10)

في اليوم التالي جاء طارق في موعده...

لكنه جاء في غير موعده تماما بالنسبة لحالتي العاطفية في تلك اللحظة ، هكذا فتحت الباب له بينما كنت أبكي بتأثر بالغ...

-المسلسل التركي ثانية ؟

هززت رأسي إيجابا بينما كنت أتمخط في المنديل الورقي...

هكذا قال في نفاد صبر-طارق لا المنديل طبعا...

-ستقتل سمر نفسها في الحلقة الأخيرة ، و سيتسول مهند في الشوارع من بعدها بأسمال بالية ، قرأت ذلك علي الإنترنت ، انتهي الأمر.

-أيها الوغد الحقير ، حرقت لي الأحداث.

-الدراما التركية هراء ، يتلاعبون بمشاعر الحمقاوات أمثالك بمواقف عاطفية يحاولون بها إطالة أحداث المسلسل بأي طريقة ، منذ متي و هذا المسلسل لم ينته ، خمسة أشهر تقريبا ؟

-لكل شخص تفضيلاته يا دكتور (هاوس) ، لهذا خُلق الناس مختلفون.

-ربما يكون هاوس وغد ملحد لكنني استخلص منه ما هو غير ذلك.

-**نعم ، و ربما تكون سمر خائنة حقيرة ، لكنني استخلص منها ما هو غير ذلك.**

قال متوجها نحو المطبخ بينما نظرته المشمئزة تتابعني...

-**سأعد لنا بعض القهوة بينما تنتهين من هذا السخف**.

ربما لو رأينا الأمر من زاوية **موضوعية لقلنا أن كلاهما أوغاد ، لكن الدراما لا تعترف بالموضوعية علي كل حال ، بل توجه مشاعرنا لنتعاطف مع البطل مهما بدا وضيعاً**...

****

و في المكتب...

-**و الآن عزيزتي سمر ، كيف تشعرين بينما تجلسين مكاني خلف المكتب بانتظار الإلهام ليأتي و يفك عقدة من لساني ؟**

قا**لها طارق بينما يتأرجح علي المقعد الدوار المفضل لي**...

-**طارق كفاك إضاعة للوقت و انضج قليلا ، دعنا نبدأ الآن**.

-**حسنا ، هل قمتِ بصياغة ما قلته بالأمس ؟**

-نعم.

-أريني أين توقفنا إذن.

وجهت شاشة اللاب توب نحوه فظل يتأمل فيها لثوان قبل أن يعقد حاجبيه في تعجب تحول لذهول ثم غضب...

-(**ربما كان طارق وغدا لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن طفولته البائسة كان لها دور في ذلك) ، أي سخف هذا ؟**

قلت في تردد طفولي...

-فكرت أنه ربما يكون من الأفضل لو تناولنا الأمر بصورة أكثر **موضوعية**.

-**هل تسمين هذه موضوعية ؟ إنها أقرب للشفقة ، للر**ثاء.

-**نعم هذه هي الموضوعية ، من الطبيعي ألا يعجبك هذا الأسلوب لأنه ببساطة ليس أسلوبك**.

فغر فاهه للحظات و كأنما يدير كلماتي برأسه ثم قال...

-**ربما يجدر بكِ نسيان كونك كاتبة روايات لبعض الوقت ، هذه المرة ستكتبين ما أقول بأسلوبي و صياغتي،إتفقنا ؟**

ابتسمت ابتسامة **صفراء كعلامة علي الموافقة القهرية ، و اكتفي هو بهذه الإبتسامة**...

-حسنا ، الآن يمكننا أن نعمل بلا ضغائن.

****

في ذلك الوقت كنا في بدايات عام 2009 ، و كانت فكرة أن **الجميع يُمتحن الآن محبطة لي بعض الشئ ، لكنها كذلك كانت مريحة بعض الشئ ، في جميع الحالات لم أكن** أظن أن لي **فرصة مع كلية دار علوم ، لأنني و إن كنت محايدا في موقفي تجاه اللغة العربية ، لكنني أمقت فكرة دراسة فروع اللغة العربية سواء كانت نحو أو بلاغة إلي آخر تلك الأشياء البغيضة**...

و بالنسبة للعزلة فلم يختلف الأمر كثيرا في المصحة عن خارجها ، فقد كنت ألزم غرفتي أغلب الوقت أقرأ بعض الكتب **العلمية التي اقترضتها من الدكتورة التزام ، و قدرت أنه لو كنت**

أريد الشفاء حقا فلابد أن أدرس طبيعة مرضي ، و لو كان الوقت سيضيع في المصحة فليضيع في صميم العلاج...

بالتدريج أحببت مجال الطب النفسي و مجال علم النفس بشكل عام ، و **بهرتني تلك الحقائق التي أدركها عن نفسي لكنني لم أتوقع أن يكون هناك من صاغها بهذه الصورة المعبرة ، كنت أظنها أشياء نشعر بها فقط ولا يمكن تفسيرها بهذه الدقة ، و شيئا فشيئا صرت علي علم بجوانب مرضي بالكامل حتي صارت الدكتورة التزام تنزعج من مقاطعتي المتحمسة لها أثناء الجلسات الأسبوعية**...

بعد حوالي اسبوع بدأت أعتاد علي جو المصحة ، و بدأت بالجلوس في حديقة المصحة كباقي المرضي حتي صار لي **مقعدي المعتاد فيها ، و صارت وجوه معظم المرضي و** الممرضات في المصحة مألوفة لي، و بالنسبة للمرضي لم يكن الأمر كما نراه بالأفلام تماما ، **و إن كان هناك بعض المتحدثين لأنفسهم و لكنهم لا يشكلون خطرا علي الإطلاق ، لقد شحنتنا السينما ببعض الهراء عن المرض النفسي و العقلي حتي صرنا نتجنب كل من له تاريخ مرضي طفيف لا يكاد** يذكر...

كان من ضمن هذه الوجوه المألوفة تلك الفتاة منكوشة الشعر ، ذات الفتاة التي كان التمرجية يلاحقونها في طرقات المصحة ، كانت تواظب علي الجلوس في الحديقة يوميا علي مقعد مواجه لمقعدي علي الطرف الآخر من الحديقة ، أو لمزيد من **الدقة كانت الممرضات هن اللاتي يواظبن علي ذلك ، لأنها لم تكن تتحرك أبدا بدون ممرضة ترافقها ، لكن ما أثار تعجبي بشأنها هو ذلك السكون الدائم و النظرة الشاردة المذعورة لها ، و كأنما تقول عيناها بوضوح** (**أنا هادئة الآن ، لكني علي**

استعداد لملء الدنيا صراخا في أي وقت) ، **من الواضح أنها تثور يوما و تهدأ أيام**...

مع الوقت بدأت في التقرب من عم طلعت الذي لا أعلم حتي **الآن هل كان فراش المصحة أم تمرجي بالمصحة أم مريض** بالمصحة ، لكنه كان نشطا كذبابة علي كل حال لا يمكن الإستغناء عنه في إدارة المصحة ، أدركت أنه حتما أكثر الناس **علما بشئون المرضي هنا ، ربما أكثر من الدكتورة التزام ذاتها ، أمثاله في كل مؤسسة يتم اعتبارهم جزءا لا يتجزأ من المكان** علي مر العصور ، **هكذا قمت بسؤاله عن تلك الفتاة من باب الفضول ، و كان رده وافيا**...

-**مريضة حالتها خطرة بعض الشئ**.

كما ترون ، معلومات خطيرة و كلام تفيض منه درر الحكمة ، لقد خاب أملي فيك يا عم طلعت ، أنت عار علي مجتمع الفراشين أو التمرجية أو أيا كان ما تفعله في هذا المكان...

****

هنا رن هاتفي الخلوي فقلت في هلع...

-إنه جلال.

-جلال من ؟

قلت متجاهلة سؤاله...

-طارق أخبرني ماذا أفعل الآن ؟

-**لا أفهم كيف لامرأة ناضجة في الثلاثين أن تستشير شابا** في **التاسعة عشر بشأن شئ كهذا ؟**!

-لقد كانت فكرتك منذ البداية.

-كانت نصيحة و ليست فكرة ، و في كلا الحالتين لا يفترض بي متابعة اتخاذ القرارات نيابة عنكِ.

-إنس الأمر ، لقد انقطع الاتصال.

-هذا أفضل ، دعينا ننته من عملنا أولا ثم نتناقش بشأن ذلك.

قلت بينما أضع يداي علي لوحة المفاتيح في إستسلام...

-حسنا أنت محق.

كاد أن يفتح طارق فمه ليستكمل حديثه لكنه توقف ما ان لمح عيناي المتمركزتان علي شاشة الهاتف...

-لن تهدأي حتي يتصل ثانية أليس كذلك ؟

قلت في تعب...

-نعم.

نهض من مقعده و اقترب من مكتبي قائلا في هدوء...

-هل تريدين حقا أن تكوني خيارا بديلا في حياة أحدهم ؟

-طارق أنا أقوم بعملي فحسب ، و في ذات الوقت أحاول **الضغط علي مشاعري لنسيان الماضي ، مهما حدث لن أعيد الإرتباط بجلال ثانية.**

قال بينما يأخذ الهاتف من علي المكتب...

-إذن مادام الأمر هكذا سيكون من الأفضل لو نغلق هذا الشئ.

لم أستطع الإعتراض لكنه نظر لي قائلا بطريقة مسرحية...

-**فقط كي تستمر الحياة**.

****

كانت حالتي مستقرة إلي حد ما في الأسبوع الأول...

أعني أنني كنت بكامل وعيي حتي بدأت أندم علي وجودي في المصحة بلا ضرورة ، لكن الدكتورة التزام كانت تخبرني دائما بأن المرض مازال في حالة خمول ، و بأن مسبباته مازالت **كامنة بداخلي ولابد لي من التخلص منها أولا من خلال جلساتها المملة ، و أقول مملة لأنها كانت مملة بالفعل ، تستمع لبعض الذكريات السوداء ثم تخبرك في نهاية الجلسة بأن عليك التخلص من آثار تلك الذكريات ، و كأنك بحاجة ماسة** لمن يخبر**ك بهذه الكلمات السحرية لتنتهي آلامك**...

و الغريب أنني بعد أن بدأت في الشعور بالألفة مع جو المصحة **بدأت الأعراض مرة أخري في الظهور ، و كأن مرضي اطمئن للمكان بدوره ، بدأت الهلاوس تعاودني مرة أخري ، بدأت استمع لذات الأصوات و أصدقها ، بدأت أري أناس أعرفهم في** غرفت**ي ليلا و أصدق أنهم موجودون ، و التصديق اليقيني للهلاوس يشبه إلي حد كبير ذات اليقين الذي نشعر به أثناء الأحلام أو الكوابيس ، و هذا يجعل من مقولة** (**المجانين في نعيم**) **نوعا من الهراء ، الحق أن المجانين في جحيم ، عدم القدرة علي التمييز بين الواقع و الخيال هو الجحيم بعينه**...

لكن الجحيم أنواع كما تعلمين ، و جحيم الهلاوس لا يضاهي الجحيم الرئيسي لمرض اضطراب تعدد الشخصية ، في أسبوع **واحد فقدت ثلاثة أيام كاملة من وعيي ، كنت أستيقظ من**

نومي لأجد يوما كاملا تم انتزاعه دون أن أشعر ، هذا هو الكابوس الحقيقي لاضطراب تعدد الش**خصية**...

كان التشخيص النهائي للدكتورة التزام أنني...

-**لديك شخصية مزدوجة ،** في العادة يرتبط ذلك بوجود صدمات **نفسية شديدة لم يتم علاجها في طفولتك** ، لكن ما اراه الآن أمامي أن **كل هذا** حدث **نتيجة رغبتك في دخول الحياة الاجتماعية من اوسع أبوابها ، لكنك تري فيها مالا يت**فق مع **مبادئك و شخصيتك الحساسة ، و لهذا تحاول ممارسة حياتك داخل المجتمع عن طريق شخصية أخري تخرج بها طاقتك المكبوتة ، عليك أن تتغير يا طارق ، دع ذلك الوغد بداخلك يخرج** للنور.

-**لكنني تغيرت بالفعل ، أليست تلك الشخصية الأخري دليلا كافيا علي التغيير ؟**

-بالعكس ، **الشخصية الأخري دليل كاف علي أنك تتجنب التغيير ، تحاول حماية ذاتك الأصلية بطريقة ما ، ثم إن** الإنشقاق يكون في الأفكار و العواطف و السلوك ، أي أنك **تفعل و تشعر و تفكر بأشياء لا تريد للشخصية الأخرى أن تراها أو تعلم عنها شيئاً**.

هكذا بدأت الدكتورة التزام تغير من استراتيجيتها في علاجي ، فانتقلت من طور العلاج الكلاسيكي و النصائح المملة لطور العمل الشاق الإرتجالي ، لا أحد يختار العمل الشاق مباشرة **كما تعلمين خاصة و إن كان يري أمامه طرقا أولية أكثر سهولة**...

كانت الدكتورة التزام علي يقين تام بأنه لا أحد يتغير إلا أن أراد ذلك ، و لا أحد يريد ذلك إلا إن إحتاج لذلك ، ولا أحد يحتاج لذلك

مالم تظهر عنده الحاجة لذلك ، و طالما أن تلك الحاجة لن تظهر أبدا فقد كان لزاما عليها أن تضعني في ظروف تجعل مني شخصاً يتعطش لذلك التغيير ، و لا أنكر أنها كانت بارعة في شئ كهذا ، فقد كانت تتعمد استخدام ألفاظ و عبارات توضح مدي سوء حياة الإنعزال و تنفذ إلي أعماقي فأمقتها...

في نهاية إحدي الجلسات تجرأت و سألتها عن فتاة الحديقة منكوشة الشعر ، و كان من الواضح أن وصفي بليغاً لكونها أدركته سريعاً ، توقعت ألا تجيبني بحجة خصوصية معلومات المرضي ، لكنها أجابت إجابة مقتضبة وافية...

-اسمها أوديت يسري ، حالة إكتئاب ما بعد الصدمة ، و أيا كان الغرض من سؤالك فمن الأفضل لك أن تبقي بعيدا عنها.

****

-مسيحية ؟

نظر لي طارق في غضب فأدركت طبيعة خطئي سريعا ، هكذا رفعت يدي لأعلي متظاهرة بالأدب فقال طارق في انزعاج...

-ألا تستطيعين الاحتفاظ بفمكِ مغلقا لبضع دقائق ؟

-لا أستطيع الاحتفاظ بأسألتي الفضولية لوقت طويل ، خاصة و أن الأعمار بيد الله ولا أضمن أن تظل حيا حتي تستكمل قصتك اللعينة.

قال بينما يتحسس رقبته في هلع...

-ماذا تريدين ؟

-هل فتاة الحديقة المنكوشة هي ذات الخادمة التي كانت بمنزلي ؟

فتح فمه ليقول شيئا لكنه تراجع و قال...

-ربما ، و ربما لا.

-في وقت ما كنت طرفا في تلك القصة ولي الحق في أن أعرف.

-**و من قال أنكِ لن تعرفين ؟ فقط كل شئٍ بأوانه**.

-وما المشكلة في إخباري الآن ؟

-لأنني لا أريد أن ينطفئ حماسك باكرا ، بشكل أو بآخر مازال **فضولك يضمن لي الحصول علي عشرين جنيها في الساعة**.

-خمسة عشر.

-**أيا كان ، ثم إنني لا أفهم كيف لكاتبة روايات تعرف عملها جيدا أن تحرق أحداث الرواية منذ بدايتها**.

-**هذا لأنها رواية واقعية كنت طرفا فيها**.

قال بينما يرتدي معطفه...

-**فقط إمنحي حياتك بعض التشويق** ، بعض الناس يقضون **حياتهم بانتظار حدوث شئ ما ، لا يهم ما هو ذلك الشئ لكنهم موقنين بأنه سيحدث يوما**.

قلت متجاهلة كلماته...

-**هل ستذهب الآن ؟**

توقف عند باب الحجرة قائلا...

-**مالم تكن هناك بعض الملابس المتسخة لغسلها فإنني أفضل** الإحتفاظ بكرامتي علي الإحتفاظ ببعض الفكة **في جيبي**.

قلت في تردد...

-أعني أنه مازال الوقت باكرا ، ربما يمكننا الخروج سويا لمكان **ما ، نذهب لبينوس كافيه ، نشاهد فيلما جديدا كما كنا نفعل** سابقا.

عقد حاجبيه بشدة و فتح فمه ليقول شيئا ، لكنه في النهاية لم يجد شيئا ليقوله و غادر المنزل مباشرة مع بعض الأفكار المستحيلة برأسه...

(11)

في اليوم التالي كان أمامي الكثير من العمل لكن شيئاً كان يفقدني تركيزي ، شيئا كان يقلقني منذ بداية اليوم ، لكنني ألقيت علي طارق مسئولية القيام بذلك الشئ ، هكذا تضاعف قلقي أكثر...

الغريب أنني لا أذكر تحديدا **كيف كانت ملامح حياتي قبل أن تتمحور أفكاري حوله كل يوم ، أعني أنني أذكرها كذكريات ، و لكنني لا أذكر كيف كان شعوري بتلك الذكريات سابقا ، إنفعالاتي وقتها ، إنها رحمة من الله أن الإنفعالات لا ذاكرة لها بل هي شئ يحدث في وقته و ينتهي ، نبكي ثم نضحك بعدها** بدقائق **متناسين كل شئ**...

- سمر.

جائني الصوت عاليا من مدخل مكتبي فأجفلت فجأة في فزع و قمت من مكاني مسرعة قبل أن تحدث فضائح أخري...

-أخبرتك ألف مرة ألا تناديني أمام الناس إلا بالأستاذة سمر ، لو كنت متزوجة منذ عقدين لكان لدي الآن وغد في مثل عمرك.

-نعم و لكنتِ جالسة الآن (**تُقَمّعين**) **البامية علي مكتبك بدلا من الجلوس شاردة كالمعاتيه ، لماذا طلبتيني ؟**

قلت في سخرية...

-**لا أعلم ، ربما اشتقت لك قليلا**.

-برغم أن في الأمر نوع من الإثارة و المغامرة إلا أنني في **الواقع لا أميل كثيرا لمن يكبرنني بعشرة أعوام**.

قلت بينما أجلس خلف مكتبي متجاهلة كلماته...

-صديقة قديمة قادمة من الولايات المتحدة ، في الواقع لم تعد **مشاعري تجاه صداقتها كما كانت منذ ثمانية أعوام ، و هذا سبب كاف كي لا أضحي بوظيفتي مقابل استقبالها في** المطار.

-و المطلوب ؟

-**في غاية البساطة ، خذ سيارتي ، استقبلها في المطار ، اقتلها و أتني برأسها الصغيرة**.

-**تبدين غاضبة منها للغاية**.

-**أنا غاضبة لأنها مازالت تظننا أصدقاء ، لم تدرك الحمقاء أن دموعي يوم رحيلها عن البلاد كانت كدموع فرحة جلاء** المستعمر بعد طول انتظار.

رفع حاجبيه قائلا...

-**الآن بدأت هذه الفتاة تروق لي**.

-**من الواضح أنك تهيم عشقا** بكل من يتسبب في معاناتي.

-**هذا صحيح**.

-**هل رخص السيارة معك ؟**

-لا.

-**رائع ، خذ المفاتيح إذن و توكل علي الله**.

-**حسنا ربما لم يكن كلامي واضحا بالأمس حين تحدثت عن الإحتفاظ بكرامتي بدلا من بعض الفكة في جيبي**.

-نعم لكنك أيضا بحاجة لمن يذكرك بأنك في الأساس كنت سائقي **الخاص قبل أن أقوم بترقيتك لتايبست.**

-كنت ، هناك أمور كثيرة تغيرت الآن.

قلت بينما أمد يدي نحوه بالمفاتيح...

-هناك خمسين جنيها بحقيبتي تخبرني بأنها لم تتغير كثيرا.

قال بينما يأخذ المفاتيح في كبرياء...

-الآن نتفاهم ، إذن أين أذهب بصديقتك الكريهة بعد جلبها من المطار ؟

قلت بينما ابتسامة شريرة ترتسم علي وجهي...

-حتي أنتهي من عملي ، إجلبها لمنزلي ، سأتولي أمرها بنفسي.

****

في الرابعة عصرا جاء طارق...

لم يأت بيده فارغة بالطبع و إنما جاء يحمل فوق كتفه امرأة ذات شعر أسود قصير تتخله خصل عسلية...

-أيها المتهور ما الذي فعلته ؟

قال بينما يلقيها علي فراشي...

-رحبي بصديقتك المزعجة (سالي).

-ماذا حدث لها ؟

-إهدئي ، انها غافية قليلا.

-هل خدرتها ؟

-ليست هذه من شيمي ، فقط قالت شيئا عن البنادول لأنها تشعر بصداع من الطائرة فأعطيتها قرصين من المنوم الخاص بي ، و بالمناسبة أتفهم الآن سبب كراهيتك لها ، إن لسانها أشبه بجناح ذبابة.

-أنت مجنون.

-مجنون لأنني وضعت حلا يرضي جميع الأطراف ؟ لقد خلصتها من الصداع و خلصت نفسي من الإزعاج بالإضافة إلي أن بإمكانك الآن قتلها في هدوء.

هنا حاولت أن أتماسك أعصابي قليلا و قلت في محاولة فاشلة للتعقل...

-طارق ، ربما لا يتعامل أكثر الناس مع من يكرهونهم بنفس أسلوبك ، هناك اختراعات اجتماعية رائعة علي غرار النفاق أو المجاملة و هو مالا أظنك سمعت عنه من قبل.

-في الواقع لقد جاملتها هكذا ، لو تركت نفسي لطبيعتي لكنت أخبرتها بحقيقة أنها انسانة ثرثارة للغاية و تهوي التحدث عن نفسها بلا انقطاع و بصورة غير محتملة ، إنها النموذج المثالي للشخصية الإنبساطية النرجسية في آن واحد.

-لم تستطع تحملها بضع ساعات فماذا عني أنا صديقتها ؟

قال متوجها نحو المطبخ...

-إنها مشكلتك علي أي حال ، هل تريدين قهوة ؟

-و ماذا ستضع لي في القهوة هذه المرة ؟ مُلين ؟

قال بينما يشعل الموقد...

-يبدو الأمر مغريا و لكن في الواقع ليس لدي الوقت لهذا الآن.

-لماذا ، هل لديك موعد عاجل مع فتاة ما ؟ فقط أخبرني لأكون سعيدة من أجلك.

قال و قد ارتسمت علي وجهه علامات الجدية...

-هل يمكنني استعارة السيارة لليلة واحدة فقط ؟

-يا إلهي هذا صحيح إذن ، تريد استعارة سيارتي من أجل إبهار فتاتك المجهولة.

قال متجاهلا كلماتي...

-أنا ذاهب للإسكندرية الآن ، ربما أعود الليلة أو غدا لا أعرف.

هنا قطبت جبيني قائلة...

-ما الأمر ؟ هل حدث شئ لأحد في عائلتك ؟

-حفل خطوبة أختي الليلة.

كدت أن أبا**رك له لكنني لم استطع تقبل كلماته مع تعبيرات وجهه مما أشعرني بنوع من الغرابة...**

-نعم....**و من الواضح أنك سعيد للغاية من أجلها.**

قال مستندا بظهره علي الثلاجة...

-لم أرهم منذ فترة طويلة ، أشعر بأن الأمور لن تعود كما كانت بيننا.

وضعت يدي علي كتفه قائلة في مواساة...

-بإذن □ ستكون الأمور علي ما يرام.

التقط نفسا عميقا ثم قال في حماس...

-حسنا ، سأغادر الآن.

-و ماذا عن قهوتك ؟

قال بينما يرتدي معطفه...

-أعطيها لصديقتك حين تستيقظ فسوف تحتاجها.

هم بالمغادرة ثم توقف لحظة متأملا صديقتي النائمة و قال...

-تبا لهذا ، عندما أصبح رجل أعمال سأنشئ وكالة سرية خاصة **للتخلص من الشخصيات الإنبساطية**.

قلت بينما أفكر في ما ينتظرني بعد استيقاظها...

-حظا موفقا إذن.

****

في الواحدة بعد منتصف الليل شعرت بوجود سيارتي أسفل المنزل ، إنه أمر يتعلق بالعشرة و التآلف مع الآلات حتي لتشعر **بها و كأنها** جزء منك...

نظرت من الشرفة فوجدت طارق مستندا بظهره علي السيارة بينما يشعل سيجارة ، ظللت بضع دقائق أتسلي بتأمله من

شرفتي قبل أن أجلب هاتفي لأتصل به ، و كالعادة بدأ بالتحدث مباشرة دون أي تحية...

-**إذن ، كيف جرت الأمور مع صديقتك ؟**

-**أخبرتها أنها فقدت الوعي في سيارتك و أنه لولا وجود شاب شهم مثلك لكان وضعها سيئا**.

-**و أين هي الآن ؟**

-**في أحد الفنادق الفاخرة تحدث نفسها أمام المرآة ، بالمناسبة** لم أكن أعلم أنك تدخن.

نظر نحو شرفتي قائلا...

-**أراهم يفعلون هكذا في الأفلام ، كلما ضاقت الدنيا بأحدهم يشعل سيجارة**.

-**و هل نجح الأ**مر معك إذن ؟

سعل بقوة و قال...

-**إلي حد ما ، حين أصاب بسرطان الرئة سأجد حتما ما يلهيني** عن الإنشغال بأكثر مشاكلي سوءا.

ابتسمت رغما عني و قلت...

-ألن تصعد ؟

-لماذا ؟

-**لا أعلم ، ربما نحتسي القهوة و نصاب بالبنكرياس ثم نتعالج ثم نشربها ثانية و نصاب بالبنكرياس ثم** نتعالج.

سحب نفسا ثم زفره بقوة قائلا...

-**لا أرغب في البنكرياس اليوم ، سأذهب إلي المنزل الآن و** أنام.

-**كان بإمكانك الذهاب إلي المنزل و جلب السيارة غدا ، أنت جئت إلي هنا لأنك تريد التحدث**.

ابتسم رغما عنه و قال...

-**لسوف تكتسبين سمعة سيئة في البناية بسببي**.

أغلق **الإتصال و ألقي سيجارته ثم فتح باب السيارة ليجلب** معطفه ، و بعد بضع ثوان دق باب شقتي...

****

قال طارق بينما يرشف من قهوته في شرود...

-**كان الأمر غريبا ، لم يسيئوا معاملتي و هذا في حد ذاته شئ** سئ بل في غاية السوء.

لم أفهم شيئا من كلماته و نظرت له في غباء فقال...

-**أعني أن المعاملة الرسمية و الإحترام الزائد ليسا من من المؤشرات الجيدة علي قوة العلاقة بين الإخوة كما تعلمين ،** لقد كانوا يعاملونني كأنني شخص غريب ، لا شتائم ، لا مزاح **سخيف ، لا قرص للخدود بقوة**.

قلت بينما أحك في فروة رأسي...

-لم يكن لي إخوة يوما لذا أكون كاذبة لو قلت أنني أشعر بما **تشعر به تحديدا ، لكنني فهمت ما تقصده إلي حد ما**.

قال بنفس الشرود و كأنما يحدث نفسه...

-أنتِ امرأة محظوظة يا سمر.

هنا خطر ببالي سؤال خارج نطاق موضوعنا لكنني لم استطع كتمانه كثيرا...

-**طارق ، ما الذي دار برأسك تحديدا حين طلبت منك أن** البقاء **ليلة أمس ؟**

رفع عينيه نحوي مبتسما و قال...

-**دار برأسي أنكِ طفلة صغيرة خائفة ، تمنت ذات ليلة أن تختفي أمها المتسلطة من الوجود ، و حين تحققت أمنيتها في الصباح طارت من الفرح و ظلت تلعب و تلهو حتي أتي الليل ، و حينها لم تجد من يروي لها الحواديت ، و لم تجد من يقبل جبينها** قبل النوم.

أطرقت بوجهي نحو الأرض لبضع ثوان متأملة في كلماته ، و حين حاولت البحث عن رد مناسب لم أجد سوي رد واحد غبي ...

-**نعم و حين بحثت عمن يروي لها الحواديت لم تجد سوي معتوها مثلك**.

ساد الصمت للحظات ظل فيها كل منا يرشف من فنجانه و كأننا في عزاء ، **و حين أنهي طارق فنجانه صفق بيديه فجأة قائلاً** في حماس...

-حسنا ، ما رأيك إذن لو نستكمل الآن حواديت ما قبل النوم كالعادة ؟

-**هل تمزح ؟ الآن ؟**

-**إنه الوقت المناسب ، في أحيان ليست بالقليلة تكون المعاناة سببا رئيسيا في ولادة الإبداع ، و كلما زادت المعاناة** زادت روعة الإبداع.

فتحت فمي كي أعترض لكنني وجدت نفسي أضع فنجاني **علي الطاولة في عصبية لأتوجه أمامه نحو** (غرفة الحكايات) **كما يسميها**...

* * * *

إذن ، كنا نتحدث عن عم طلعت...

العجوز المصاب بنوع فريد من الزهايمر ، ينسي و يتذكر في الوقت الذي يحلو له ، و خاصة إذا كان **مديونا لأحدهم فإن أعراض الزهايمر تبدو عليه جلية واضحة ، بينما يتمتع بذاكرة** فولاذية في ظروف أخري...

و شئ كهذا كان لابد لي من استغلاله ، أنا لم أقم برشوة أحدهم من قبل لكنني فعلتها و انتهي الأمر ، خمسون جنيها مقابل دخول مكتب الدكتورة التزام لعشر دقائق فقط ، كان الوغد نصابا محترفاً رغم أن (رجله في القبر) كما يقولون ، لكن **من يقبل الرشوة قد يفعل أي شئ آخر ، ثق بهذا**...

لم أستغرق وقتا طويلا في العثور علي ملف الفتاة المسيحية ، و لا أريد أسئلة من فضلك في الوقت الحالي عن دوافعي للبحث و التقصي حول تلك الفتاة ، و لسبب **بسيط هو أنني أنا نفسي لم أكن أدرك طبيعة دوافعي وقتها ، فقد كنت أتحرك بلا هدف ، أو ربما كنت أتحرك لهدف ما لكنه لم يكن نابعا من داخلي ، ليست دوافعنا كلها مفهومة علي أي حال**...

أوديت يسري ميخائيل...

كان ملفها حافلا ، لا أصدقاء ، لا علاقات عاطفية ، لا وجود لتفاعل اجتماعي من أي نوع ، لا شئ علي الإطلاق سوي **بعض الملاحظات علي الحالة في نهاية كل جلسة ، هذا شئ** محبط رغم أنه كان لابد أن يكون متوقعاً ، لكنني توقعت قصة ما **ورائها ، غالبا ما يمتلك مرضي اكتئاب ما بعد الصدمة قصصا مسلية و مثيرة نوعا ما**...

قمت بإعادة الملف إلي مكانه شاعرا بالإحباط قبل أن تسقط **منه اسطوانة بيضاء مكتوب عليها بخط أزرق ردئ** (**باسيكاليا**) ، **هكذا بدأ فضولي يشتعل نوعا ما و قمت بتشغيلها علي كمبيوتر المكتب ، كانت الإسطوانة تحوي ملف صوتي واحد يحمل ذات الإسم المكتوب ، و حينما قمت بتشغيله انبعثت من** السماعات موسي**قي اقشعر لها جسدي منذ بدايتها ، كانت تشبه إلي حد كبير تلك الموسيقي الجنائزية التي لطالما سمعتها في الأفلام الأمريكية داخل الكنائس قبل مراسم** الزواج...

هكذا لم أنتظر سماع المزيد ، من الواضح أن الفتاة لا تهدأ أعصابها إلا ببعضٍ من تلك الموسيقي الدينية ، ولا بأس ببعض **الترانيم أيضاً ، تبا لذلك لقد أضعت وقتي و نقودي من أجل محاضرة عملية عن مقارنة الأديان**...

****

هنا لم أتمالك نفسي من الضحك ، ليس لشئ قاله طارق و لكن لأن التيار انقطع قبل أن أقوم بحفظ ولو نصف كلمة مما قال...

-رائع.

جاء صوته في الظلام منزعجاً و قال...

-**لماذا لا استطيع استكمال صفحتين علي الأقل دون أن يحدث شئ لعين يقاطعني ؟**

-**ليست مشكلة سنستكمل عملنا حين يعود التيار**.

-**لا أظن ذلك ، سأذهب للبيت و أنام ، لا يوجد عندي اليوم أمل** في إنجاز أي شئ.

-**لا تيأس يا طارق ما زال أمامنا الليل بطوله**.

ساد الصمت للحظات فأدركت أنه يفكر في شئ ما ثم قال...

-**عندما أكون متحمسا لشئ تعارضينه و عندما يخبو حماسي** يشتعل حماسك ، ما خطبك تحديدا ؟

-لا شئ ، إنه رد فعل تلقائي فحسب.

-**إذن لماذا وضعتِ الفنجان بعصبية منذ قليل إذا كنتِ متحمسة هكذا للكتابة ؟**

-لا أعلم ، ربما لأنني لم أكن أعلم بوجود تلك التطورات التي **حدثت في قصتك ، إنها أعطت نوعا من الحركة و الحياة للرواية لو كنت تفهم قصدي**.

قال في غير اقتناع...

-**امممم ، نعم أفهم**.

-**إذن هل نستكمل ؟**

-الآن ؟

-**نعم ، ربما سنلجأ لبعض الأساليب البدائية لكنني لن أنتظر عودة التيار علي كل حال.**

هكذا بعد أن قمت بإحضار شمعة و قلم و أجندة افترشنا الأرض **و شرعت أنا في الكتابة ، و عاد طارق للسرد في هدوء**...

****

في الأيام التي تلت اقتحامي لمكتب الدكتورة التزام حدثت **أمور كثيرة لم أفهمها ، حتي شعرت أن الجميع يعلم باقتحامي لمكتبها ، الممرضات و التمرجية و بعض المرضي النصف عاقلين، جميعهم ينظرون لي نظرات خبيثة خاطفة و كأنني فعلت شيئا مشينا يعرفونه جميعا ، حتي الفتاة المسيحية تغيرت نظرتها الشاردة كثيرا و صارت تنظر نحوي بصورة مبالغ فيها حتي صرت شبه موقن بأن الجميع يعرف ما فعلته ، هكذا لم أشعر بالذنب كثيرا تجاه قراري بقتل عم طلعت** عندما أراه ، **لابد أن ذلك النصاب العجوز وشي بي ، لا يوجد تفسير آخر غير** ذلك...

و في جلستي التالية بمكتب الدكتورة التزام كنت أشعر أنها ستواجهني بحقيقة علمها للأمر مباشرة ، إذ أن تعبيرات وجهها و نظراتها لي منذ دخولي لمكتبها لم تعد أيضا مثل ذي قبل ، كان وجهها يقول أنها تعرف كل شئ ، هل يحتمل أن أكون قد تركت خلفي أثرا يدل علي دخولي لمكتبها ؟

كانت جالسة علي مكتبها تتنقل ببصرها بيني و بين بعض الأوراق بملفي ، و كنت مستلقيا حينها علي الشيزلونج أرتجف مما هو قادم ، حسبما أظن لا يتساهل الأطباء النفسيين في خصوصية مرضاهم بسهولة ، هكذا تحدثت في هدوء بينما كانت تكتب شيئا و قالت...

-أخبرتك أن تبقي بعيدا عنها.

قلت بينما نظراتي مسلطة علي أحد المصابيح في سقف المكتب...

-أعلم ، لكن الأمر كان فوق طاقتي .

-**صار الجميع يعرف قصتكما**.

-**أعلم ، و عندما أري عم طلعت هذا سأسلخه حيا**.

قطبت **جبينها قائلة في استغراب**...

-ما دخل عم طلعت بالموضوع ؟

هكذا اعترفت لها بكل شئ أمام نظراتها الصموت الغامضة ، و ما ان انتهيت حتي أخذت نفسا عميقا و قالت بنفس البرود...

-حسنا ، بالنسبة لعم طلعت فسأقوم بطرده بعد خروجك من مكتبي ، أما الآن فأريد محادثتك بشأن شئ آخر.

هذه هي نتيجة التسرع ، إنه ذلك التأثير اللعين لقانون (اللي علي راسه بطحة...) ، **هكذا ابتلعت ريقي متصورا وجه عم طلعت عندما يعلم أنني كنت سببا في خراب بيته ، لكنه يستحق نهاية كهذه علي كل حال**...

-**لا يوجد شئ آخر ، أقسم أنني لم أسرق شيئا من المكتب ،** لابد أنه عم طلعت.

قالت متجاهلة كلماتي...

-**هل تعرف أوديت ؟ تلك الفتاة التي اطلعت علي ملفها**.

-**صدقا كان مجرد فضول أحمق ، و أقسم أنه تبخر حين اطلعت علي ملفها**.

أو بالأحري حين استمعت لتلك الاسطوانة المشئومة...

-في الجلسات الأخيرة لم تتحدث عن شئ سواك ، ناهيك عن أنها لم تكن تتحدث أكثر من عدة جمل في الجلسة الواحدة.

-عني أنا ؟

-قالت أنك تتحدث معها بشكل جيد و أنها بدأت في الشعور بالراحة نحوك.

-أنا ؟

-قالت أنها وجدت فيك ما فقدته مع رحيل أمها.

رفعت حاجبي في اندهاش قائلا...

-و الذي هو ؟

مدت رأسها نحوي قائلة في اشمئزاز...

-الأمن و الاطمئنان.

هنا بدأت الأمور تتضح شيئا فشيئا ، لم تكن نظرات الفتاة المسكينة نحوي سوي نظرات إعجاب بمريض نفسي...

-في الواقع ليست هذه المرة الأولي التي أواجه فيها موقف كهذا ، هناك كثيرات في شارعي قمت بمعاكستهم مؤخرا ، كان لابد لي من اختيار مصحة ذكورية فقط.

لم تضحك لدعابتي و ظلت تنظر نحوي بذات العبوس...

-إحم ، إذن أستنتج من هذا أنكِ أخبرتيها بحقيقة مرضي.

-لا.

-لماذا ؟

-لأنها تتحسن.

-لا أفهم.

أخذت نفسا عميقا ثم قالت...

-هل كنت حقا تظنني سأجازف بكشف أسرار مريضتي لك دون سبب جلل ؟

رفعت حاجباي مدركا للأمر في غباء...

-أها الآن أفهم ، إذن فهناك خطة ما.

-نعم ، يمكنك قول ذلك.

-و ما هي ؟

-لا شئ ، فقط دعها تحبك.

-لكنني لا أحبها و لن أحبها ، أنا مريض بالإنفصام يا دكتورة و حتما أعبث بها و أخدعها في لحظاتي الغير واعية.

-لا يهم طالما أنها في طريقها نحو الشفاء.

كانت فكرة متهورة لكن ثقتها في ما تقوله جعلتني أشعر بأن لديها ثقة في ما تفعله أيضا...

-و ماذا عني إذن ؟

-أنت علاجك بسيط للغاية و لكنك تصر علي التمسك بموقفك ، تناول دوائك ، أطلق العنان لبعض رغباتك ، إرتكب بعض الأخطاء **كبقية البشر ، و حينها ستخرج من هنا معافي.**

-سأحاول ، هل لي من طلب أخير ؟

-تفضل.

-لا تقومي بطرد عم طلعت و إلا فلن أجد من يسلي وحدتي بعد ذلك ، و إذا كنتِ مصرة علي طرده....لا تخبريه أنني من وشي به.

(12)

في الصباح التالي وجدت نفسي نائمة علي الأرض في غرفة الحكايات و فوقي غطائي...

كان من الواضح أن النوم غلبني أثناء **الكتابة بالأمس ، و هذا** جعلني أخجل من نفسي للغاية ، أنا التي تحمست بالأمس **لمواصلة الكتابة و أوهمت نفسي باليقظة ، تري ما الذي قاله طارق حين غلبني النوم أمامه ؟ لابد أنه قام بتغطيتي ثم قال تعليقا سخيفا قبل أن يضرب كفا بكف و يغادر مشفقا علي** حالي...

قمت من مرقدي شاعرة بعظامي تئن و تشتكي من النوم **علي الأرض ، مددت يدي نحو حافة المكتب استند عليه كي لا أقع ، و حين استعدت توازني لمحت قصاصة فوق الأجندة الموضوعة علي المكتب مكتوب عليها بخط غاضب أو يحاول أن** يبدو غاضبا (**سأتقاضي ضعف أجري لتلك الليلة ، لن أتهاون في** قرش واحد)...

في البداية ظننته غاضبا بسبب استغراقي في النوم فحسب ، **و لكن حين تصفحت الأجندة أدركت أنه استكمل بعض الأحداث** وحده بالأمس قبل أن يغادر...

هذا و نظرا لأن اليوم هو الجمعة فقد قررت أن أعطي نفسي فرصة للإستيقاظ و عمل فنجان قهوة قبل أن أقوم بقراءة و نقل ما كتبه بالأمس...

****

بعد بضعة أسابيع غادرت أوديت المصحة...

بضعة أسابيع من النظرات و الابتسامات الغامضة ، لطالما كنت أسمع عن لمسة الحب الأولي و كم هي رائعة لا يمكن وصفها ،لكن الأقدار شائت أن تبدأ قصة حبي الأولي و تنتهي دون وعي مني علي الإطلاق ، ربما ليست بالبداية الرائعة لكنها بداية علي كل حال...

لم أرها قبل مغادرتها و لم استطع حتي توديعها ، ربما قمت بتوديعها لكنني لا أعلم ، و الدكتورة التزام اللعينة ترفض الإفصاح عن أي شئ حتي فيما يخص علاقتي بأوديت...

فقط استيقظت ذات يوم لأجدها قد اختفت بلا أثر ، كرسيها المفضل في الحديقة صار فارغا ، غرفتها تنظفها إحدي العاملات في سعادة و كأنها تخلصت من ثقل كانت تحمله ، لا تمتلك كل العاملات هنا الحنان الحقيقي الذي نفتقده بأمهاتنا ، تلك السيدة لديها عائلة بحاجة لهذا المرتب الضئيل الذي تتقاضاه هنا ، لذا ليس لديها الوقت ولا الصبر لممارسة دور الأم الحنون...

برغم كل شئ شعرت بشئ من الراحة لانتهاء مهمتي مع تلك الفتاة ، فمسألتها كانت تشعرني بنوع من المسئولية نحوها ، و أنا أكره المسئولية حقا...

* * * *

قاطعني رنين هاتفي المحمول فنظرت لأري المتصل...

يا إلهي كدت أنسي أن صديقتي المزعجة سالي في القاهرة ، كنت قد اتفقت معها علي قضاء اليوم سويا و لكنني نسيت كل شئ بشأنها ، تري كيف سيمر هذا اليوم ؟ سأحتاج علبة بنادول حتما ، الكثير منه...

هكذا أنهيت مكالمتي معها ثم طلبت رقم طارق علي الفور ، و بعد بضع ثوان جائني صوته ناعسا...

-**كونكِ استيقظتِ باكراً لا** يعني بالضرورة أنني أيضا كذلك.

تجاهلت كلماته قائلة في لهفة...

-طارق ، ما اسم المنوم الذي تتناوله ؟

-**نعم أري أنكِ تعانين بالفعل من الأرق ، لقد أشفقت عليكِ بالأمس من عدم استطاعتك النوم بينما أنا**....

-**طارق بدون تعليقات سخيفة ، إنه ليس لي**.

ساد الصمت للحظات و كأنما يفكر في شئ ما ثم قال...

-**أه ، الآن أفهم ، موعد آخر مع صديقة عزيزة**.

-**نعم لكنه من باب الإحتياط فقط ، إن صبري أطول منك لكنني لا أضمنه اليوم**.

هكذا بعدما رسمت خطة لقضاء اليوم شعرت بالراحة و الاطمئنان ، نظرت إلي الساعة ، و عدت أقرأ في هدوء...

****

بالرغم من ان الحصول علي اصدقاء في المصحة ليس شيئا مستحيلا لكنه كذلك ليس شيئا سهلا ، إن المريض النفسي نادرا مايثق بأحد ، لذا فإن فرصتك للتعارف هاهنا تنحصر في مشاركة الإهتمامات المرضية ، بصورة أكثر وضوحا لابد ان تشارك المريض عالمه الخاص لكي يشعر انك تفهمه و تهتم لأمره و تنتمي لعالمه الخاص ، إنها سيكولوجية يستخدمها الطبيب النفسي المحترف لمحاولة الأقتراب قدر الإمكان من

مكامن المرض النفسي لدي المريض ، و لسبب كهذا ظللت حتي فترة قريبة مؤمنا بأن اكثر حالات المرض النفسي خطورة هم الأطباء النفسيين ذاتهم ، لأنهم يعيشون أكثر من حالة نفسية في اكثر من وقت...

هكذا صادفت ذات يوم شاباً وسيماً علي مشارف الثلاثين تقريبا جالساً يرسم في الحديقة و بجانبه إحدي الممرضات ، إن من تصاحبهم الممرضات اكثر الوقت لابد و أن تتأكد انهم حالات خطرة أو غير مستقرة او معرضة لإنتكاسة او سيكوباتية بشكل زائد او اي مبرر آخر لوجود هذا الشيطان الأبيض المتململ بجانبه ، يخيل إلي ان الممرضة وحدها قد تضيف الإكتئاب الي قائمة امراضه...

لم يكن يرسم في الواقع بل كان يشخبط ، شخبطة أغرب من ان تكون مجرد شخبطة عفوية ، كأنه يعرف مساره جيدا ، يعرف أين يقف و أين يستمر ، كأنه يري هذه الشخبطة واقعا امامه يحاول رسمه بدقة شديدة ، ربما يكون فنانا تجريديا قد اجتاز بخياله المريض عتبة المعقول ، لكن نظرة واحدة إلي ملامحه الهادئة تجعل من الصعب تصنيفه تحت قائمة المرض النفسي ، لطالما حاولت ان افهم الفن التجريدي لكني دائما ما أنتهي لنفس ماينتهي اليه أغلب الناس ، إن الفنانين التجريديون هم أناس احترقت فيوزات عقولهم ، و أما الفن التجريدي فهو الجنون بعينه ، هذا لو كان فنا من الأساس...

كان هادئا ذو ملامح هادئة حتي لتشعر بأنه نسمات الهواء في ليالي الصيف ، و أنا لا أتغزل فيه لاسمح الله لكني أحاول فقط توضيح الصورة ، هكذا إنتهزت اول فرصة يكون فيها وحده لأفتح حوارا معه ، و من الواضح انه يحرز تقدما في العلاج حتي تتركه الممرضة وحيدا بعض الوقت ، كان يبدو انه اكبر مني بحوالي

سبعة اعوام ، لكن في مكان كهذا تتلاشي جميع الفوارق العمرية...

هكذا حاولت ان اقف بجانبه بينما يرسم مبديا إعجابي الزائف...

-رائع.

نظر لي ببراءة ثم ابتسم ابتسامة مغزاها انه يعرف جيدا أنني أنافقه أو أتظاهر بأنني أفهم شيئا من هذا الهراء ، هكذا واصلت كلامي قائلا...

-**حسنا ربما أكون منافقا كما تظنني ، و لكن هلا أخبرتني حقا بما تعنيه هذه** الشخبطة ؟

توقعت أن يقول شيئا عن (صراع الإنسان في العصر البازلتي و علاقته بالدورة الدموية لدودة القز) **إلي آخر هذا الهراء ، لكنه قال بذات الإبتسامة الهادئة التي بدأت تزعجني**...

-كما قلت أنت ، الشخبطة لا تعني سوي الشخبطة.

-**نعم ، لكن لابد أن لها معني مفهوم**.

-نعم ، لكنه معني إنفعالي ، تشعر به ولا يمكنك وصفه **بالكلمات ، لابد أنك تفهمني**.

-**نعم الآن أفهمك ، إنها لوحة خاصة بك لا يمكن لأحد الشعور بها** سواك ، شفرتك الخاصة.

-**شئ كهذا**.

قلت و قد بدأت أشعر نحوه بالإرتياح نوعا ما...

-أعذرني كنت أخشى أن تكون أحد هؤلاء التجريديين ، إن لي رأيا في الفن التجريدي قد لا يعجب خريج فنون جميلة مثلك.

-إذن إطمئن تماماً ، ليس هذا فنا تجريديا ، و أنا لست خريج فنون جميلة ، لكنني تشرفت بمعرفتك يا....

-طارق ، طارق حسين.

مد يده نحوي قائلا...

-أحمد سامي ، طيار مدني سابق.

* * * *

لم تكن سالي بهذا السوء الذي ظننته...

صحيح أنها مازالت تهوي الحديث عن ذاتها بكثرة ، لكنني شعرت بحنين لأيام الشباب حين رأيت وجهها ، و ظللت أتذكر كل مغامراتنا سويا ، و بدأت أتعجب من فكرة كراهيتي لها ، كيف كانت صديقتي المقربة إذا كنت لا استطيع تحملها ، أعني كيف تمكنت إذن من تحملها كل تلك السنين إذا كنت أمقتها لهذه الدرجة ؟ إن من يمقت أحداً لا يتحمله كل هذه السنوات من عمره لمجرد أن صبره طويل...

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنني كنت أتحملها لأنني كنت بحاجة إليها ، كنت بحاجة إلي صديقة أيا كانت ، إن الإنطوائيين أمثالي لا يمتلكون تلك الإنتقائية في اختيار أصدقائهم ، و لهذا يقعون دائما في شرك صداقة هؤلاء المنبوذين من الأخرين ، و الذين لم يجدوا مغفلاً آخر يقبل الحديث معهم و يتحمل هرائهم سواي...

في الثالثة عصرا ذهبنا لتناول الغداء في أحد المطاعم ، كنت شاردة الذهن نوعا ما و بداخلي تساؤل مزعج يراودني كل خمس دقائق ، هل كان أحمد سامي حقا مريضا نفسيا أم أن ذلك الذي ذكره طارق هو شخص آخر بذات الإسم ؟ علي حد علمي لا يمتلك طارق من الأصدقاء ذلك الحد الذي يسمح بتشابه الأسماء...

-حدثيني إذن عن نفسك قليلا يا سمر ، ما أخبار حياتك العاطفية في غيابي ؟

أجفلت فجأة من سؤالها ، ليس لأنني كنت شاردة و لكن لأنها من المرات النادرة للغاية التي تقوم فيها سالي بسؤالي عن أحوالي الخاصة ، هكذا بدأت في تذكر الأمور بصعوبة ، ليست أحداث حياتي العاطفية بالشئ الذي يمكن نسيانه بسهولة ، لكن تصرف سالي المفاجئ بعثر ذكرياتي و جعلني أنسي كل شئ حتي أكاد أنسي إسمي...

-حسنا ، أحببت رجلا...و تركني...ثم...لا...أعني...أنا من تركته...لأنه متزوج...و لديه طفلان.

قالت و كأنما لم تعر اهتماما لكلامي...

-لكن استقلالك بحياتك بعيدا عن أمكِ كان خطوة جيدة منكِ ، صحيح أنها جائت متأخرة لكنها جائت في النهاية.

قلت في شرود بينما أعبث في طبقي بالملعقة...

-نعم ، العبرة بالنهاية.

****

في السابعة مساء دلفت إلي شقتي مرهقة للغاية ، فكريا و جسديا و نفسيا ، فكرة الجلوس مع سالي وحدها ترهقني فماذا عن الجلوس معها فعليا...

هكذا ارتميت علي أريكة الصالون بينما أفكر في الإتصال **بطارق و الإعتذار عن الكتابة هذه الليلة ، لكن فضولي كان يمنعني كالعادة ، حيث أنني كنت أرغب للغاية في معرفة حقيقة الكلام المكتوب عن أحمد سامي**...

هكذا تراجعت عن قراري و قمت من مكاني متوجهة نحو غرفتي ، قبل أن ألمح ببصري أثار ذلك الحذاء علي سجادتي الفا**خرة ، لا يوجد سوي وغد واحد يهوي دخول شقتي دون** مسح حذائه بالخارج...

-**أيها الــ**....

هكذا دون أن أتتبع آثار الحذاء توجهت مباشرة نحو غرفة الحكايات لأفتح بابها في عنف و غضب...

-أخبرتك أكثر من مرة إما أن تمسح حذائك بالخارج أو تخلعه من الأساس.

- لقد اقتحمت شقتكِ **للتو فهل حقاً تجدين في دخولي بالحذاء مشكلة كبيرة ؟**

-**هل تعلم كم أجاهد للحفاظ علي تلك السجادة نظيفة ؟**

-**و هل تعلمين كم أجاهد للحفاظ علي سمعتي كوغد عديم** الإحساس ؟

قالها طارق مواصلا الكتابة علي الكمبيوتر دون أن ينظر لي مما أشعل غيظي أكثر...

-**كيف دخلت إلي هنا من** الأساس ؟

قال بينما يلقي نحوي عصا خشبية صغيرة...

-بالمفتاح.

كانت عصا خشبية من ذلك النوع الذي يتخلف بعد تناول الأيس كريم منقوشا عليها نقط غائرة كتلك التي في مفتاحي بالضبط...

-**و أنا التي اختارت مفتاح الكمبيوتر لأنه لا يمكن تقليده ، أين تعلمت هذا ؟**

-المبدأ أم الفكرة ؟

قلت في نفاذ صبر...

-الإثنان.

-المبدأ تعلمته من د.**هاوس ، الفكرة** **من اليوتيوب**.

رغم غضبي ابتسمت متأملة تلك العصا ، هذا شئ ألمعي و يجب الإعتراف بهذا ، من النادر أن توحي لنا صفحة يوتيوب المسالمة بتلك الأفكار الإجرامية...

-**لا أدري من هذا اللص الذي ينشر أسرار مهنته علي الإنترنت**.

قال بينما يغلق الحاسوب...

-**ربما لص يتطلع لما هو أكبر من مكاسب شخصية**.

نظرت له في غل و قلت..

-**ربما يجدر بي تغيير الكالون قريبا**.

-هل يمكننا البدء بالكتابة و ترك هذا الأمر الآن ؟

قلت متوجهة نحو غرفتي...

-ليس قبل أن أستحم و اشرب قهوتي ، ربما يمكن أن تكون **مفيدا و تعد لنا بعض القهوة بدلا من العبث بمفاتيحي**.

****

لا أفهم سر هذه النقطة حتي الآن...

فلماذا يكون الطيارون وسماء دائما ؟ أعني أنها وظيفة مرموقة ولا يستهان بها حقا لكنني لا أعتقد ان الطائرة قد ترفض التحليق يوما لأن الطيار أصلع أو دميم الخلقة ، و لكن إحقاقا للحق لا يمكن ان نعتبر كل الوسماء ذوي حظ بهذه المهنة ، خاصة إذا بدا عليهم بوادر عدم الإستقرار النفسي...

و لأن هناك الكثير ممن لا يميزون ، و يعتبرون ان المرض النفسي هو نوع واحد يسمي الجنون ، فقد كان هذا كفيلاً بوضع أحمد سامي تحت قائمة مرتدي الكسرولات فوق الرأس و لابسي قمصان النوم الحريمي ...

لذا نجده في ايام معدودة فقد وظيفته ، فقد هيبته و فقد مكانته ، فقد زوجته و فقد اهليته...

كان انطباعي الأول عن أحمد سامي غير واضح المعالم ، و للدقة فإنني لم استطع تكوين انطباع عنه من الأساس ، لذا **اعتبرته شخص غامض للغاية رغم أنه يبدو طبيعيا في تصرفاته** ، لكن المستشفي لم تخلق لتكون حديقة للتنزه و الرسم ، لابد **أن تملك سببا وجيها لوجودك بمكان كهذا ، و أحمد سامي لم يكن يملك هذا السبب**...

أو للدقة كان يملكه و لكن لسبب ما لا يريد البوح به...

-**هل ستنزعج كثيرا** لو رفضت مصارحتك بمرضي ؟ **قلت في اندهاش**...

-**بالطبع لا هذه خصوصياتك ، لكن لا تؤاخذني**..نحن الإثنان **مرضي في مصحة نفسية ، إن الخجل من أمراضنا هو آخر ما** قد نتحدث بشأنه الآن.

-أعلم ، لكن بإمكانك استثنائي ، يكفي أن تعلم أنني تخرجت **ثم تم توظيفي و تزوجت ، ثم ببساطة** أصابني الجنون فتم **تسريحي من العمل كطيار ، و بعد بضعة أسابيع طلبت زوجتي الطلاق فأعطيتها إياه**.

-**هكذا ببساطة ؟**

-**هكذا ببساطة**.

حقا أنا أعشق من يحتف**ظون بألسنتهم داخل أفواههم ، لكن ألا يمكنه التحدث بشئ من التفصيل و ليخرس بعدها إلي الأبد**...

* * * *

-لم أكن أعلم أنه **كان طياراً**.

-**لا أحد يعلم الكثير عن أحمد سامي لأنه قليل الكلام ، و لهذا فهو أفضل أصدقائي علي الإطلاق ، بصرف النظر عن فارق السن الشاسع بيننا**.

-**لكنني أتعجب كيف لرجل متزن كأحمد سامي أن يكون مريضا نفسيا ؟**

قال بينما يرشف من قهوته في هدوء...

-كل هذه التساؤلات مررت بها فيما بعد ، و لسبب كهذا أمرتكِ بالتزام الصمت قبل الشروع في الكتابة.

مرت بضع ثوان قبل أت أدرك ما يقصد بتلميحه هذا ، و أواصل الكتابة في صمت...

****

انتهت امتحانات الترم الثاني في ذات الوقت الذي صرت فيه مؤهلا للخروج من المصحة ، و كنت قد اتخذت قراري بالتحويل **لكلية أخري بمجرد خروجي**...

كانت آخر محاولات الدكتورة التزام معي عن طريق التنويم **المغناطيسي ، و هي المرحلة التي لو كانت بائت بالفشل لاضطرت بعدها للدخول في مرحلة جلسات الكهرباء ، و هو الشئ الذي جعلني استجيب لعلاج التنويم قهرا ، هذه ميزة أن** تدرس أعراض مرضك و طرق علاجه كذلك...

لم يكن التنويم صعبا ، لكنه كذلك لم يكن سهلا ، فقد كانت الدكتورة التزام تمتلك غرفة مبطنة داخل المصحة ، مصممة **خصيصا لتمنع دخول أي مؤثرات صوتية تقاطع عملية التنويم ، و حين يحدث الدخول في حالة التنويم أكون علي وعي بكل ما** يحدث حولي و كل ما أفعله و أقوله ، و لكنني أكون مسلوب الإرادة تماما ، لا أفعل إلا ما تقوله الدكتورة و لا أقول إلا ما **تأمرني به الدكتورة ولا أفكر إلا فيما تأمرني به الدكتورة ، إنها تجربة فريدة لكنها مزعجة ، لأنك تفقد فيها احساسك بالزمن و الإتجاهات ، لا تدرك ماض من مستقبل أو أبيض من أسود**...

هكذا قبيل خروجي من المصحة بأيام صرت بمعجزةٍ ما ذلك الوغد الذي ترينه أمامكِ الآن ، لقد أخرجت الدكتورة التزام من **داخلي ذلك الوغد الذي لا يهتم إلا بأهوائه ، صحيح أن**

شخصيتي و ذكرياتي لم تتغير ، لكن أفكاري و دوافعي و المبادئ التي كنت أتبناها ، كل شئ تغير ، صرت أتهاون في التمسك بتلك المبادئ التي تربيت وفقا لها ، و التي كنت مستعدا لدفع عمري مقابل الدفاع عنها...

إن الأمر يا عزيزتي سمر لا يتعلق أبداً بالخبرة التي تلقاها الفرد بصفتها ذكريات مخزنة في الذاكرة ، بل يتعلق بتلك الخبرة بصفتها إنفعالات عاشها المرء في صغره ، و تغلغلت في داخله حتي صارت جزءاً لا يتجزأ منه ، لأن الذاكرة قابلة للنسيان و التشتت ، بينما الإنفعالات لا يمكن نسيانها ، إنها أشبه بذلك العطر الذي ما أن تشمينه حتي تسترجعين تلك اللحظات القديمة ، لا تعرفين ما هي تلك اللحظات تحديدا ، و لكنك تسترجعين ذات الإنفعالات التي راودتكِ في تلك اللحظات ، سواء كانت مؤلمة أو سعيدة...

هكذا قبل مغادرتي كان بداخلي تساؤل موجه للدكتورة التزام...

-لماذا لم تقومي باستخدام التنويم مباشرة لعلاجي طالما أنه حل جذري ؟

ردت بثقة بينما تدون شيئا في أجندتها...

-لأنه **غالبا لا ينفذ لجذور المرض ، ورقة خادعة ، لكنها ليست** خاسرة تماما.

-**هذا إذن كل شئ ؟**

-**نعم ، هذا كل شئ**.

-و ماذا عن أوديت ؟

هنا رفعت عينيها نحوي و خلعت نظارتها قائلة...

-يقولون (**إفعل الخير و القه في البحر**) ، **لقد ساهمت في علاج** مريضة و لك جزيل الشكر.

-**هذا إذن كل** شئ ؟

-**نعم ، هذا كل شئ**.

-و ماذا عن أحمد سامي ؟

هنا قالت في نفاذ صبر...

-**هلا اهتممت بأمورك الشخصية فحسب ؟**

-فقط كنت أريد معرفة ما مرضه.

-حقا ؟ و لماذا لم تقتحم مكتبي لتعرف ؟

-**حاولت لكن عم طلعت أراد رفع قيمة الرشوة**.

-**حسنا ، هذه المرة لا مزيد من أسرار المرضي** ، و في المرة **القادمة حين تصاب بمرض ما فلتذهب لطبيبة غيري**.

-**هذا إذن كل شئ ؟**

صاحت بصوت عال...

-**نعم هذا كل شئ**.

* * * *

ساد الصمت لثوان حين توقف طارق فجأة عن السرد ، و حين نظرت نحوه وجدته يبتسم في شرود ، فأدركت أنه يتذكر شئ

ما ، إنها عادتي أيضا حين أتصفح ذكرياتي الجميلة أمام المرآة فأضبط نفسي مبتسمة في شرود...

-هذا إذن كل شئ ؟

رفع عينه نحوي بذات الإبتسامة الهادئة و قال...

-ليت هذا كان كل شئ.

أخذ نفسا عميقا ثم نهض من مقعده و شرع يرتدي معطفه...

-إلي أين ؟

-يكفي هذا لليوم.

-لا أفهم لماذا تشعرني كل مرة بأنك ستسرد الكثير ثم تنهي الأمر ببضع سطور ؟

-إسترجاع مثل هذه الذكريات ليس بالشئ السهل لو كنتِ تظنين هذا.

-لا أري بها شيئا مؤلما حتي الآن.

-ربما لأنني لا أروي سوي الومضات.

قطبت جبيني في استغراب و قلت...

-أي ومضات ؟

هنا اقترب نحو المكتب و قال...

-هل تظنين حقا أن بإمكاني استعادة كل التفاصيل الصغير منها و الكبير ؟ أنا لا أسرد سوي تلك الومضات التي تفصل مراحل

حياتنا عن بعضها ، نقاط التحول ، لو كان وعينا يستوعب تفاصيل التغير التدريجي لكانت الحياة أصعب من أن تحتمل.

-إذن ستذهب للمنزل و تنام.

-بالضبط ، أر**يد النوم باكرا للذهاب غدا للإستفتاء ، بالمناسبة بماذا تنصحيني ؟ أوافق علي التعديلات الدستورية أم لا ؟**

-لهذا السبب يسمونه استفتاء.

-أعلم و لكن أعني أنه بصفتكِ امرأة قانون فلابد أنكِ تفهمين في مثل هذه الأمور أكثر من مواطن عادي مثلي.

-ربما كان عليك أن تتعب قليلا و تقرأ التعديلات قبل أن تقرر ، إنها أوضح من الشمس بالنسبة لرجل أمي.

هكذا هز رأسه في غير اقتناع حين أدرك أنه يضيع وقته في الحديث معي ، و ذهب دون كلمة أخري...



الحقيقة أن وراء علاقة العمل هذه راحة
أشعر بها ، راحة تكمن في رؤيتي العالم
معه بوضوح بالغ ، علي حقيقته ، دون أقنعة
العواطف و الرومانسية البلهاء، كأنني أري
كل شئ دون تشويش ، صورة HD غاية في
النقاء ، و رغم بشاعة ما أراه لكن هناك
نشوة غريبة في رؤية تلك البشاعة وجها
لوجه دون غموض...

(1)

في اليوم التالي شعرت بالحماسة تملأ الجو...

و كأن اليوم هو عيد يحتفل به المصريون جميعا ، الكل سعداء و مبتسمين برغم زحام لجان الإستفتاء و طول الطوابير ، و برغم ذلك لم تتغير حالتي عما كانت عليه قبل ثورة 25 يناير ، ذات **الترقب و التشكك و الارتياب ، هناك شئ ما خطأ ، هناك خدعة** في الأمر ، **هناك مؤامرة تحاك من خلف الشعب و أن الثورة مازالت لم تفعل شيئا قط**...

هكذا بعدما انهيت اجرائات الاستفتاء رن هاتفي برقم غريب ، و **ليته لم يفعل**...

-**سالي ، كيف حالك ؟**

في البداية ظننته رقم الفندق الذي تقيم به سالي ، و لكن **لدهشتي جائني صوت ذكوري مهذب قائلا بأسلوب** يذكرني بموظفي خدمة العملاء...

-**عفوا هل أنتِ صديقة الآنسة سالي ؟**

قلت في تشكك...

-إلي حد ما.

-**الآنسة سالي زودتنا برقمك و قالت انها ترغب بحضورك لها الآن ، هي لدينا منذ مساء أمس في مستشفي الوفاء و الأمل** و تعاني من كسر في عظام الساق لكننا قمنا باللازم.

-حسنا أنا في الطريق.

لسبب ما تعاني المستشفيات من مشكلة مزمنة مع تلك الأسماء علي غرار (الوفاء و الأمل) و (**النور و الحياة**) ، ربما **ليست كلها لكن أكثرها يحمل ذات التوليفة عديمة المعني ، لماذا لا يسمونها مثلا** (مني و بسنت) ؟

ما علينا..و الآن قلت لي ماذا أصاب سالي ؟

****

حين دلفت لغرفة سالي بالمشفي كانت في حال جيدة تماما ، عدا أن قدمها مجبسة لكنها مزاجيا كانت في أفضل حال ممكن...

-**سمر ، هل رأيتي ما حل بي ؟**

-ما الذي حدث بالضبط ؟

-انزلاقة صعبة من فوق درجات السلم ، من الواضح أن إجازتي **بمصر لن تكون مثالية**.

-**ستضطرين لتأجيل** عودتك للولايات إذن.

-**نعم و لكن هناك مشكلة تزعجني ، و هذا ما طلبت رؤيتك** بشأنه.

-ماذا ؟

-فقط أغلقي باب الغرفة.

توجهت نحو باب الغرفة لأغلقه في توجس ثم عدت لها لتقول...

-**يمنعون التدخين هنا ، أتشوق لتدخين سيجارة واحدة منذ** أمس ولا يمكنني تحمل ذلك.

-و المطلوب ؟

-أريد منكِ إحضار علبة سجائر و الجلوس معي قليلا بالغرفة ، لن يكتشف أحد ذلك طالما لا يمكنهم الدخول علينا.

-هل جننت يا سالي ؟

-نعم ، حين يتعلق الأمر بالتدخين أجن ، ألا تدخنين أيضا ؟

-بالطبع لا.

-كاتبة روايات ولا تدخنين ؟ حتما تمزحين.

-وما الرابط ؟

-لا يوجد رابط **إنهما شئ واحد ، كاتبة روايات عاطفية تعني إنسانة تحلم بالعاطفة ولا تنالها ، هكذا تصاب بالاكتئاب و تصبح مدمنة تدخين عصبية.**

كدت أن أقول شيئا لكن ردها أدهشني بقوة ، ليس أيضا لأنه رد جارح و لكن لأنه بدر من شخصية سطحية كسالي ، هذا أسوأ مافي الأمر ، أسوأ من الرد ذاته...

-معذرة لأنني لم أكتئب بعد ، ربما بعد كتابي السابع أو التاسع ، **هذه الأمور تستغرق وقتا كما تعلمين.**

-المهم هل ستساعديني في هذا ؟

لماذا أنا محاطة دائما بالأوغاد ؟!!

-حسنا سأساعدك.

* * * *

هكذا بعد عدة دقائق وجدت نفسي خارج المستشفي أبحث عن كشك ما لبيع السجائر ، إنها المرة الأولي التي أبحث فيها عن غرض كهذا ، و أثناء بحثي رن هاتفي حاملا معه مصيبة جديدة حتما...

-صباح (الزفت) يا طارق.

-صباح (القطران) **عزيزتي سمر ، هل هناك سبب لكونك سعيدة هكذا اليوم ؟**

-نعم ، إتصالك بي .

-حسنا وضحت الأمور ، علي كل حال...أنا الآن داخل لجنة **الاستفتاء ، و في الواقع هناك مشكلة تواجهني الآن**.

-**إذن أسرع لأنني أواجه مشكلة أكبر منها الآن**.

-حسنا ، تلك التعديلات المذكورة في ورقة الاستفتاء.

-**ماذا بها ؟**

-**لا أعلم ، يخيل إلي أنها جيدة حقا و تستحق الموافقة**.

-و لكن ؟

-**و لكن لسبب ما يخرج الجميع** من اللجان و ينصحونني بعدم الموافقة.

قلت بينما أحاول عبور السيارات...

-**حسناً الأمر بسيط للغاية ، هل معك عملة معدنية ؟**

-**هل تمزحين ؟**

-في الواقع لا ، هكذا قمت أنا أيضا بالتصويت ، و لسبب بسيط هو أنني وقعت في تلك الحيرة أيضا.

-رائع ، كيف لم أفكر بهذا ؟

قلت بينما أتوجه لكشك سجائر صغير لمحته عيني...

-فقط حاول تجاهل نظرات المحيطين بك.

مرت بضع ثوان لم أسمع فيها سوي صوت الضوضاء المحيطة به...

-و الآن هل تريد شئ آخر ؟

-نعم ، لحظة واحدة فقط أضع الورقة داخل ذلك الصندوق و...ماذا ؟ لحظة واحدة يا سمر لا تغلقي الخط ، و لماذا ألطخ **إصبعي بهذا ؟ بالطبع لا هل جننت ؟ لن أتمكن من إزالة تلك الصبغة ثانية**....قلت لك لن....تبا..**و الآن هل رأيت ما الذي فعلته ؟ هل تعرف كم يساوي ذلك المعطف ؟ أيها الأوغاد ، إن معي محامية علي الهاتف و لسوف أقاضيكم جميعا بتهمة** الـــ.....**تلطيخ أصابع الجماهير و ملابسهم.**

****

في الثامنة مساء جائني طارق بملابس ملطخة و مزاج سئ ، **و بعض الكدمات في وجهه**...

-سخافة ، كل واحد منهم يلتقط صورة لإصبعه في بلاهة و كأنه وسام الشرف.

قلت بينما أضغط بقطعة قطن علي إحدي الكدمات بقوة...

-تستحق ما أصابك.

-آآي ، لقد أفسد معطفي.

-أري ذلك ، و هذا بالمناسبة لا يغير من حقيقة أنك تستحق ما أصابك.

-أعلم أنني أستحق كل مصيبة تحدث لي ، و لكن طالما الأمر هكذا فعلي الأقل يمكنني أن أمتلك حرية إختيار تلك المصيبة.

-أنت توقع نفسك في المشاكل ، هذا عين الإختيار.

هكذا يرفع عينه نحوي في غل ثم يبعد يدي عن وجهه قائلا...

-يكفي هذا ، أنا بخير.

قام متوجها نحو معطفه المتسخ و قال...

-هل بالإمكان تنظيف ذلك ؟

قلت في ثقة...

-لمثل هذا خلقت النساء.

قال دون أن ينظر لي...

-هذا رائع حقا لكنني أقصد هل بإمكان مغسلة ما تنظيفها.

هنا أعطيته ظهري متوجهة نحو المطبخ و قلت بنبرة جافة...

-لا أعلم ، بإمكانك سؤالهم.

و حين دخلت المطبخ جائني صوته من الخارج صائحا...

-تجاهدين لتشعري أنكِ امرأة.

رددت عليه بصياح أعلي قائلة...

-أنا امرأة رغما عنك و عن كل الرجال.

-**حقا ؟ أرسلي تحياتي للأستاذ جلال إذن.**

هنا خرجت من المطبخ متوجهة نحوه بينما كان مازال يحاول **تنظيف معطفه المتسخ**....و صفعته بقوة!!

****

و في غرفة الحكايات ساد بيننا صمت غير مألوف ، مما اضطرني للتظاهر بالمودة...

-أتعشم ألا تؤثر تلك الصفعة علي صداقتنا.

-**هل يمكننا الشروع في العمل دون التحدث عن هذا ؟**

-أنت من استفزني .

-لطالما كنت استفزك ، **ما الجديد في هذا ؟**

-**الجديد أنك تجاوزت الحدود ، تعلم أن هذا الموضوع حساس** بالنسبة لي .

صمت قليلا ثم قال ضاغطا علي اسنانه...

-**فقط فلننس ما حدث ، هل يمكننا الآن العمل في صمت؟**

لم أقل شيئا بل رفعت يدي في أدب كدلالة علي وجود تساؤلات فضولية كالعادة...

-**التظاهر بالأدب حاليا ليس بالطريقة المثلي لكسب رضائي.**

-أنا لا أسعي لإرضائك ، بل إرضاء فضولي .

أخذ نفسا عميقا و قال في نفاذ صبر...

- سبق و أن قلت أنني لا أقبل بمقاطعتي أثناء السرد.

-لم تقل قبل السرد.

نظر نحوي في غل و قال...

-**فلتكن أسألتك قصيرة ، مباشرة ، و يسهل الإجابة عنها**.

-**هل حقا احببت أوديت ؟ أعني بشخصيتك الأولي**.

نظر للسقف كعادته حينما يتعمق بالتفكير ثم قال في هدوء...

-**هل حقا أحببت أوديت ، هذا سؤال كلاسيكي للغاية**.

-**و هذه ليست إجابة**.

قال بنفس الهدوء...

-**هذا لأنني لم أكمل كلامي بعد ، هذا سؤال كلاسيكي لكن** إجابته صعبة.

-لماذا ؟

-لأن الحب يندرج ضمن قائمة طويلة من الإنفعالات البشرية ، و عندما أتحدث عن الإنفعالات فإنني أتحدث عن صابونة زلقة **للغاية يصعب الإمساك بها و تفحصها عن قرب ، ربما كان هذا** مجرد إعجاب كما يقولون.

-**و لماذا لم تفكر جديا في تطوير علاقتك بها دون أن تكبت ذلك بداخلك و تمارسه في غير وعيك ؟**

-لسببين في غاية البساطة ، أولاً لأنني كنت ألعب دائما دور الأحمق الذي لا يجيد التعامل مع الفتيات ، و ثانيا لأنني كنت أتجنب المجازفة تماما ، أتجنبها في كل شئ ، لا أقول طبعا أنني لم أفكر في مصارحتها بإعجابي لكنني حين وصلت لمرحلة التنفيذ اكتشفت أنني لا أعرف كيفية التنفيذ من الأساس ، و هذا جعلني أكبت فكرة مصارحتي لها بداخلي.

-امممم ، حسنا ، هل لي بسؤال آخر ؟

-لا.

****

في الواقع لا أذكر تحديدا ملامح تلك الفترة التحولية لذا يمكنني تجاوزها سريعا فهي ليست بالأمر الهام علي كل حال ، حسبما أذكر كانت إجازة صيف هادئة تخللتها زيارة لعائلتي بالإسكندرية ، طبعا لأنقل لهم أخباراً لم تسعدهم كثيرا عن فشلي في أولي سنواتي بالجامعة ، لكنهم تناسوا الأمر بمرور الوقت علي كل حال...

بالطبع لم أشعر بضرورة لاستمراري في دار العلوم ، و قررت التحويل للمجال الوحيد الذي صرت أفضله رغم أنه يحمل لي ذكريات سيئة نوعا ما ، و رغم أن مجموعي لم يسعفني للالتحاق بقسم علم النفس في آداب جامعة القاهرة ، إلا أنني لم أستسلم ، و قررت تجربة حظي في جامعة حلوان ، و ما أدهشني هو أنني لم أكن الوحيد الذي يطلب ملفه ليقوم بالتحويل من دار العلوم ، في الواقع كانت حوالي نصف الدفعة معي في ذلك الموقف ، و هذا أشعرني بارتياح نوعا ما ، لقد وفرت علي نفسي أياماً لا لزوم لها من العناء ، هكذا قمت بتقديم ملفي بكلية آداب جامعة حلوان ، و تم قبولي في قسم علم النفس ، و كان هذا أفضل خبر سمعته منذ عام تقريبا...

و في الأسبوع الأول من الدراسة ، صادفت (**داليا الشرقاوي**) ، **و هي مثلي قامت بالتحويل من جامعة القاهرة و لكن من كلية الحقوق ، تعرفت عليها قبل بدء الدراسة وسط زحام تقديم الملفات ، و هي فتاة من ذلك النوع الذي لا يرتدي سوي الإسدال الأسود ، ثرثارة قليلا لكنها طيبة للغاية ، من ذلك النوع** الذي يسمونه (**علي نياته**) ، مخطوبة حديثا ، لم تخبرني بذلك **لكنني أدركت منذ الوهلة الأولي ، دبلة في اليد اليمني و مكالمات مكثفة في ذات الموعد يوميا ، إنها العلامات المألوفة لفترة الخطوبة الرتيبة**...

أما إذا تحدثنا عن (بشوي) فالأمر **يختلف ، فهو شخصية هادئة موجزة في حديثها ، و هذا يناسبني جدا كما تعلمين ، متواضع إلي حد ما ، كل هذا بالطبع جيد إذا ما تغاضينا عن طريقة** لقائي به لأول مرة...

كنت في إحدي المحاضرات-نعم كنت أحضر المحاضرات ذات يوم-**في الأسبوع الأول من الدراسة ، و بعد قليل وجدت زميلا لا** أعرفه يجلس بجانبي ناظرا نحوي في سعادة بالغة ، لم أنظر **نحوه لكنني كنت أشعر بنظراته المبتهجة تمزق وجهي تمزيقا ، هكذا التفتت نحوه حين فاض بي الكيل و قلت**...

-**عفوا هل هناك مشكلة ؟**

رد بذات الابتسامة المستفزة...

-الا تذكرني ؟

-اعذرني فأنا أنسي وجوه الناس سريعا.

-كنت معك في المترو بالأمس.

و كأن وجوده بالمترو حدث تاريخي لا يمكن نسيانه ، لو لم نكن في الجامعة لقلت أنه محتال يحاول سرقتي ، محتال مخبول ، **هذا أشبه بالبخيل الذي لا يجيد الجمع و الطرح**...

-**اه ، عفوا لم أنتبه جيدا ، أخبرتك أنني أنسي سريعا**.

هكذا كما ترين يا عزيزتي سمر ، صرت بالتدريج إنساناً عادياً ذو **أصدقاء و علاقات اجتماعية سوية ، صرت شابا آخر ، بلا ازدواجية ، بلا هلاوس ، فقط ظللت مواظبا علي بعض العقاقير لفترة لا بأس بها حتي استقرت كيميائية مخي و كفت الأعراض عن الظهور**...

ربما كان من الممكن الآن أن يتزوج **الأمير الأميرة و يعيشوا في تبات و نبات و ينجبوا صبيان و بنات ، لكنكِ تعلمين أن الأمور لم تنته عند هذا الحد ، هناك بعض الدراما من أجلكِ يا سمر ، ربما ليست كمسلسلاتك التركية لكنها واقعية علي الأقل**...

****

-قابلت أوديت مرة أخري ؟

هرش ذقنه قائلاً في إنزعاج...

-**ظننتكِ لا تحبين حرق الأحداث**.

-أسلوبك الردئ وحده كافِ لحرق الأحداث ، أنت فاشل في **وضع الألفاظ التشويقية**.

-**إنها مذكراتي الخاصة أكتبها كيفما أشاء**.

-**و أنا قارئة تريد شيئا يستحق قرائته**.

-**ليست كل الناس مدمنة للدراما مثلك ، كفي عن التعميم**.

-و ما مشكلتك مع الدراما ؟

-لا توجد مشكلة ، هل بإمكاننا استكمال الكتابة الآن ؟

-ليس قبل أن تجيب عن سؤالي.

أخذ نفسا عميقا و قال في نفاذ صبر...

-هل تعلمين ذلك الشعور المحبط الذي يراودكِ عقب انتهائك من قراءة رواية جيدة ؟ حين تصطدمين بالواقع من جديد ، و تدركي أن مشاكلكِ مازالت كما هي ، و أن الأبطال لم يخرجوا **من الرواية ليجعلوا من العالم مكانا أفضل ، لسبب كهذا أجد أن التعود علي الواقع مهما بدا مؤلماً لكنه أفضل الحلول ، هكذا لن نشعر بالفارق بين الجنة و الجحيم ، ببساطة لأننا لم نر الجنة** يوماً.

نظرت له صامتة لبضع ثوان و قلت...

-لم أر من **يقيم وزنا لآلامه بقدرك ، كيف تعيش هكذا ؟**

حك ذقنه قائلا...

-نعم ربما أعاني نوعا من الماسوشية في نمط حياتي لكن الأمر لا يتعلق بذلك حقا ، بل لأنه لا يوجد ما قد يؤلمني أكثر من **الحنين لذكري سعيدة ، فإنني لا أبتسم أبداً للكاميرا ، و إن كنت** أسعي للسعادة حقا فمن الأجدر أن التقط صوراً لأسوأ لحظاتي **و أشدها ألماً ، و أنا لا أتفلسف بل أعني ذلك حرفياً.**

-لا ، أنت بائس حقا و تحاول تبرير بؤسك ببعض الهراء الفلسفي.

-ربما ، لكن هذا لا ينفي حقيقة أن لكل منا من الذكريات السوداء ما يكفي لجعله سعيدا في بعض الأوقات التي قد

نظنها صعبة ، فذكرياتنا الأكثر صعوبة هي التي تصنع لنا محكات الألم ذاتها ، و بالتالي كلما زاد الألم يوما كلما هانت المواقف التالية عليه لو كانت أقل ألما ، واجهي الحقيقة يا عزيزتي ، إننا نحيا سعداء بفضل ذلك الهراء الفلسفي.

فغرت فاهي لثوان قبل أن أقول...

-من الواضح أن مشكلتك أسوأ من كونها مرض نفسي.

-شكرا علي الإضافة القيمة ، هل بإمكاني مواصلة السرد الآن ؟

* * * *

أقول أن صداقتي بداليا و بشوي تطورت كثيرا حتي وصلت لدرجة العلاقة السطحية ، نعم السطحية هي تطور بالنسبة لمن هو مثلي ، صحيح أنها لم تصل إلي حد الصراحة و تبادل الأسرار لكنها كذلك لم تكن فاترة تماما...

في ذلك الحين لم أكن أعرف شيئا عن اشتراكات المترو و قد كنت بحاجة ماسة إليها ، و من حسن حظي أن داليا أخبرتني عنها باكرا ، إذ أن داليا تسكن في حلوان علي بعد محطتي مترو من الجامعة ، لكنها برغم ذلك قامت بعمل اشتراك مترو من باب تسهيل الأمور..

حتي الآن أعتبر محطات المترو كلها منزلي الثاني ، أعرفها كلها و أحفظ ترتيبها عن ظهر قلب ، و أشعر بالتميز حين أصادف المستجدين ممن لا يعرفون اتجاهات خطوط المترو أو أسماء المحطات ، أو هؤلاء الذين مازالوا يتشبثون بالقضبان الحديدية خوفا من أن يفقدوا توازنهم من حركة المترو السريعة ، بالتدريج يتعلم أصحاب الاشتراكات أمثالي الوقفة المثالية داخل المترو

دون الحاجة للتشبث بالقضبان التي يعلم وحده كم يد **تمسكها في اليوم الواحد**...

و الخلاصة أنني في أول أشهري الدراسية شعرت بنوع من الإستقرار الكلي ، **و كأنني أنظر لنفسي من بعيد و أقيم الأوضاع ، لدي أصدقاء مثل الآخرين ، لا توجد هلاوس ولا شخصية أخري ، إذن صرت شابا طبيعيا**...

لكن كما قلنا فإن عدد الصفحات الباقية من الكتاب يخبر القارئ بوضوح أن هذا الوضع لم يدم كثيرا...

بدأ الأمر في ذلك اليوم الذي كانت لدي فيه نية حضور إحدي محاضرات الساعة الثامنة ، و كانت تواجهني مشكلة مع هذه المحاضرات لأنها تتطلب مني الخروج من بيتي بعد الفجر مباشرة...

كانت المادة التي سأحضر لها هي (أدب) ، **و هي ليست بالمادة الذي أتشوق لحضورها كثيرا نظرا لذكرياتي السابقة** مع دار العلوم ، إن من يختار مجال علم النفس يختاره لدراسة **علم النفس ولا شئ غير علم النفس ، و لهذا تصيبه تلك المواد الإضافية بغصة في حلقه**...

لم أصادف داليا أو بشوي في ذلك اليوم ، لذا قررت العودة إلي المنزل في ذلك اليوم بعد انتهاء محاضرة الثامنة و التي لم تكن مثيرة للإهتمام كثيرا ، كل المحاضرات كذلك حسبما أظن حتي **لو كانت في صميم علم النفس ذاته فلا داعي للتظاهر بحب الدراسة هاهنا**....

كانت المسافة الفاصلة بين المدرجات و مبني ادارة آداب لا يستهان بها ، لذا خطر ببالي أن أذهب لشئون الفرقة الأولي ربما صدرت (**كارنيهات**) الدخول ، لكنني كنت ساذجا بالطبع **حين ظننت أمرا أسطوريا كهذا سهل الحدوث**...

-**بعد شهر**.

-**كنت هنا منذ شهر و قلتِ لي** بعد **شهر**.

هكذا نظرت لي فتاة الشئون المتوحشة في احتقار و توعد لأجد نفسي مضطرا للخروج من غرفة الشئون دون كلمة أخري...

و أثناء خروجي لاحظت داليا قادمة من بعيد فحاولت الهروب **سريعا لأنني لم أكن بحاجة لمزيد من الصداع في هذا اليوم ،** لكنني فشلت للأسف و لاحظت وجودي سريعا...

-إلي أين ؟

-المنزل.

-الآن ؟

-**توجد محاضرة أخري لكنني اكتفيت لهذا اليوم ، هل مازلتِ** قادمة لتوكِ ؟

-**لا أنا هنا منذ الصباح**.

-معقول ؟ لم ألاحظك داخل المدرج.

-لم أكن بالمدرج كنت في سنتر الجامعة.

هنا نظرت نحوها في تشكك قائلا...

-**ماذا تفعلين في السنتر ؟**

-**صديقة جديدة ، تهوي الجلوس بالمقاهي ، تعلم هذه الأمور**.

-**تبدين غير سعيدة بينما تتحدثين عنها**.

-**نعم ، لثلاثة أسباب وجيهة ، أولا لأنها تهوي الصمت بشكل مبالغ فيه ، ثانيا لأنها مسيحية ، أما ثالثا و هو الأهم فلأنها** قادمة خلفك.

و حين استدرت خلفي لأري ، حينها فقط ، دوت في أذني موسيقي ذات طابع كنائسي...

****

قال طارق بينما يرتدي معطفه...

-**عيد الام بعد غد**.

-ثم ؟

-**ماذا ستجلبين للسيدة الوالدة ؟**

قلت بينما أغلق الكمبيوتر...

-أنت حقا تستمتع بكونك وغدا.

-**هذا يعني إذن** (**لن أجلب شيئا**).

-لماذا تسأل علي أية حال ؟

-**لا أعلم ، فكرت أنه ربما نذهب لمكان ما و نشتري لأمهاتنا** سويا.

-هل ستذهب للإسكندرية حقا ؟

-لا ، سأرسلها بالبريد السريع ، بالضبط كما ستفعلين حين تعجبك هذه الفكرة التي تبعدك عن المواجهة.

-موافقة ، في أي ساعة نلتقي إذن ؟

قال متجها نحو باب الشقة...

-أنا أستيقظ متأخراً هذه الأيام ، ربما بعد انتهاء فترة عملك.

قطبت جبيني مفكرة و قلت...

-ألاحظ أنك تنام جيدا هذه الأيام بدرجة مبالغ فيها ، هل توقفت كوابيسك أم أنك صرت لا تهتم ؟

-لا ، توقفت **الكوابيس فعلا.**

-ما الذي يجبرك إذن علي مواصلة الكتابة ؟

هز كتفيه قائلا...

-لا أحد يرفض ثلاثون جنيها في الساعة مقابل بعض الثرثرة لو كنتِ تفهمين قصدي.

-خمسة عشر.

-أيا كان.

-إذن هذا كل ما أمثله لك الآن ؟ صنبور نقود مفتوح ؟

-لا أحب التعامل بمثل هذه التشبيهات القاسية حقا ، يمكنني القول أنني أعتبره تعويضاً عن كل ما نهبه مني الأطباء

النفسيون علي مدار أشهر سابقة ، للمرة الأولي أثرثر مقابل الحصول علي المال و ليس العكس.

-نعم ، و هذا تشبيه غير قاس.

مط شفتيه لثوان ثم قال مغادرا...

-أظن ذلك.

(2)

كان اليوم التالي شبه نسخة من السابق ، عدا أنه كانت لدي جلسة صباحا و بعض الملفات بالشركة انهي العمل عليها... عصرا ذهبت مجبرة إلي سالي بالمستشفي و بحوزتي علبة سجائر أخري لأقوم بواجبي نحوها كصديقة... ربما أكون قاسية في هذا لكنني تمنيت شفائها سريعا كي ترحل عن **البلاد سريعا ، إن لي عذري في هذا... بالطبع لم يلتزم طارق بموعده بشأن شراء هدايا عيد الأم ، و** جاء في الثامنة مساء كعادته ، و لكنه لم يكن طارق الذي أعرفه...
كان متحمسا لشئ ما علي غير العادة ، و هو الذي لم يتحمس لشئ منذ بداية معرفتي به...

هكذا قال فور دخوله من الباب..

-**هل الكمبيوتر مشحون ؟**

قطبت جبيني قائلة في شك و ارتياب...

-**ليس أكثر منك حسبما أظن ، لماذا تسأل ؟**

اتجه نحو المطبخ قائلا...

-**قومي بشحنه بينما اعد القهوة ، لسوف نصعد الليلة إلي** السماء.

تبعته إلي المطبخ قائلة...

-**نعم و هذا تعبير مجازي يشير إلي...**؟

أشار بإصبعه لأعلي قائلا...

-**هل ترينني أحمل مكوك فضاء في جيب معطفي مثلا ؟ أقصد** السطح ، (الروف) ، **هل تذكرين تلك المطربة الفاضلة التي** قالت (ضع النقط فوق الحروف قبل أن.....

صحت في وجهه قائلة...

-طارق.

-**حسنا حسنا ، الليلة يوجد حضيض قمري**.

-يبدو الإسم مشوقا حقا لكني سأكون شاكرة للغاية لو شرحت أكثر.
-**ظاهرة نادرة ، سيكون القمر قريبا من الأرض و سيبدو أكبر من حجمه المعهود ، كيف لم تلاحظي هذا ؟**

-لأنني لم أخرج من المنزل منذ عدت قبل المغرب.
-**جيد ، و الآن تأكدي من شحن بطارية الجهاز جيدا لأن ليلتنا** ستطول نوعا ما.

-و من أخبرك أنني وافقت من الأساس ؟

-**هل حقا تنوين إضاعة فرصة كهذه ؟ قد يمر عمرك كاملا دون رؤية شئ كهذا**.

-**الجو بارد الليلة ، لن أصاب بالإنفلونزا من أجل حضيضك هذا**.
-**أنا لا أفهمك حقا ، أنت كاتبة روايات رومانسية ، كيف لا تهتمين بما يحدث لأهم عناصر الرومانسية ؟ القمر**.

-**أنا محامية كذلك ، أتعامل مع المجرمين و تجار المخدرات في** المحكمة ، لكل مقام مقال يا طارق و لست أنا الأنثي التي **تنتهز أدني الفرص لإظهار روعة حسها الأنثوي**.

لم يظهر أي ردة فعل تجاه كلماتي بل استمر بإعداد القهوة فوق الموقد قبل أن يقول دون أن ينظر لي...

-حسنا ، سأصعد وحدي.

****

و فوق سطح البناية وقف طارق يتأمل في ذلك القرص الأبيض المعهود ، بينما جلست خلفه أتجمد من البرد لاعنة في سري الظروف التي جعلتني أتعلق برفقة مخبول كهذا... **في الواقع لم يكن القمر قريبا لهذه الدرجة التي أوحي لي بها ،** فقط كان يبدو إلي حد ما أكبر **حجما عن المعتاد ، و برغم هذا** كان طارق متحمسا...

-**هل سنبدأ العمل أم ستظل محدقا للسماء حتي ينشق القمر** ؟

تجاهل سخريتي قائلا...

-**بهذا القرب يمكن ملاحظة كروية القمر بوضوح ، شئ رائع**.

-نعم.

-**أخبريني يا سمر ، إلي أي جزء تحدقين دائما حين يكون القمر هلالا ، الجزء** المضئ أم المظلم ؟

قلت محاولة إخفاء اصطكاك اسناني ببعضها من البرد...

-**المضيء بالطبع ، الجميع يفعل هذا**.

-كما توقعت.

-توقعت ماذا ؟

-**أمثالك هم من يحبون رؤية** (البورتريه) **من بعيد دون الاهتمام بمسودة اللوحة و طريقة رسمها ، علي الجانب الآخر يهتم**

أمثالي بتلك **التفاصيل الغير ظاهرة و أجدها تعطي الحياة** معني .

قطبت جبيني في غير فهم فقال موضحا...

-أنا أحب النظر للجانب المظلم رغم صعوبة ملاحظته ، النظر للجانب المظلم يعطي إدراكا معقولا لكروية القمر كما أنه **يشعرني بالتميز عن غيري**.

-**طارق هل تجد الوقت مناسبا للتفلسف الآن ؟**

-إنه الوقت المناسب للتفلسف.

-**إذن أعذرني سأذهب للتفلسف وحدي في الدفء لأنني لست حقاً من هواة التفلسف علي ضوء الحضيض القمري**.

نظر لي في نفاذ صبر و خلع معطفه قائلا...

-**دفئي نفسكِ بهذا**.
ارتديت معطفه غير عابئة بما قد يصيبه في هذا البرد ، طالما أنه يريد ذلك **فليتحمل نتيجة أفعاله**...

-لم أكن أعرف أنك تضع عطرا.

-**هذا لأنني أضع القليل جدا ، بما يكفي لأشمه وحدي**.
اكتفيت برفع حاجباي في تعجب و قلت...

-**حسنا ، هل نبدأ الآن ؟**

-نعم...لا ، انتظري لحظة.

مد يده داخل جيب المعطف الذي ارتديته ليخرج بفلاشة صغيرة و يولجها بالجهاز قائلا...

-ملف الصوت هذا ، قومي بتشغيله عندما أخبركِ بذلك ، اتفقنا ؟
-حسنا.

****

كي أكون صادقا فإنني لم أتعرف عليها فورا ، فقد كانت في تلك اللحظة تبدو مسيحية للغاية ، تعرفين كيف تبدو المسيحيات حين يرغبن في أن يظهرن كمسيحيات...

بيد أنني كنت أفضلها بهيئتها السابقة في المصحة ، بنظرتها الشاردة و شعرها المنكوش الذي كان يمنحها لمحة من الضعف الأنثوي ، الآن أراها أفعي تحاول اجتذاب الأنظار...

فور أن أنضمت لنا مدت يدها في مرح للتحية قبل حتي أن تقدمها داليا لي أو تقدمني لها...

-أعرفك يا طارق ، أوديت صديقتي ، أوديت هذا طارق.
مددت يدي لأرد تحيتها في صمت و توجس مفضوح فقالت في مرح أنثوي لزج...

-هل صديقكِ أخرس يا داليا ؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة متظاهراً بأن الدعابة راقت لي ، وحده الله يعلم ماذا حدث بيني و بين تلك اللعينة بينما كنت مغيبا...

تبا لكِ يا التزام ، لم نتفق علي هذا...

رن أحد الهواتف بأغنية شبابية رقيعة مما دلني علي أنه حتما ليس هاتفي و من الصعب نوعا أن يكون هاتف داليا لأنها مازالت لم تسمع عن الهواتف الملونة بعد...

هكذا نظرت أوديت لهاتفها و قالت مبتعدة...

-أعذروني لحظة.

و ما إن ابتعدت عنا حتي شعرت بيد تجذبني بعنف قائلة-داليا و ليست اليد طبعا...

-مامشكلتك بالضبط ؟

-ماذا ؟

-كأنك أصبت بالصمم فجأة حين جائت أوديت.

قلت متأملا إياها من بعيد و هي تتحدث بالهاتف بينما تعبث بالصليب المعلق في رقبتها...

-أصاب بتوتر من التعامل مع المسيحيات ، إنها نوع من الـ...فوبيا العقائدية.

-هل تكره المسيحيات حقا ؟

نظرت نحو أوديت ثانية و قلت في تردد...

-ليس بالضبط و لكن....نعم ، أكرههم ، أكرههم للغاية.

-لماذا ؟

التفت نحوها قائلا...

-و هل هناك سبب يجعلني أحبهم ؟

كادت أن تقول شيئا قبل أن تلاحظ أوديت قادمة نحونا فالتزمت الصمت...

-أنتم مدعوون الليلة يا رفاق.

-إلي ماذا ؟

-حفل افتتاح محلنا الجديد (**فينوس**).

تصنعت داليا الفرح كما توقعت و قالت...

-**ألف مبروك ، محل ماذا هو ؟**

-**ملابس نسائية**.

نظرت أوديت نحوي قائلة...

-**لم أسمعك تقول شيئا يا طارق ، ألن تبارك لي ؟**

-**إسم تقليدي للغاية ، حسبما أظن كل محلات الملابس** بنفس الإسم.

-**أنا أيضا رأيت هذا ، لكن أمي أصرت عليه**.

قطبت جبيني محاولا اخفاء دهشتي فقالت متداركة للأمر...

-**أو للدقة زوجة أبي ، إنها من يدير المحل حاليا**.

أخذت نفسا عميقا و قلت في نفاذ صبر...

-أتعشم أن أتمكن من الحضور ، عن إذنكم.

-إلي أين ؟

-المنزل.

-الآن ؟

قلت بينما أرمق داليا بنظرة نارية...

-نعم ، الآن.

****

-رائع ، بدأت الأحداث الدرامية في الظهور.

-نعم ، أي شئ من أجل شغفكِ الخاص يا سمر.

-برغم أنه من الصعب أن أصدق أنها سببت لك ارتباكا.
قال طارق محاولا التظاهر بالصمود في هذا الجو البارد...
-من المخجل أن هذا ما حدث فعلا ، و لكن ليس لشئ إلا لخوفي من الفضيحة.

-أي فضيحة ؟

-فضيحة كوني مريضا سابقا بمصحة نفسية ، شئ كهذا كاف لتدمير حياتي الجديدة بعد الخروج من المصحة ، و كانت ورقتي الوحيدة الرابحة هي أن أوديت كانت مريضة بالمثل ، هكذا كان بيننا شبه اتفاق ضمني بأن يحتفظ كل منا بلسانه داخل فمه.
-إذن لم تقل أوديت شيئا.

-هل تريدين حرق الأحداث حقا ؟

-حسنا سأستمع في هدوء.

****

في المساء لم استطع اتخاذ قرار...

أعني أنني كنت متخذا قراري منذ البداية بعدم الذهاب للحفل لكن جزءا مني كان يريد الذهاب بقوة لسبب ما...

المصيبة أنني لم أكن أملك خطة محددة ، كيف سأتعامل مع أوديت ، هل يمكنني مثلا قطع علاقتي بداليا و بذلك أتخلص من أوديت ؟ وما الذي يجبر مسيحية علي ترك التجمع المسيحي

المعهود في كل قسم لتعقد صداقة بفتاة مسلمة بل و ترتدي إسدالاً كذلك ، لو أردت رأيي فهذه مثالية صعبة الوجود مالم تكن **مستحيلة ، ولو كنت أكثر تشككا لقلت أن صداقة أوديت بداليا شئ مقصود و متعمد**...

هكذا قررت مواجهة الأمر مهما كانت النتائج ، طالما أنه في جميع الحالات قد أخسر صداقتي بداليا ، يمكنني مصارحة أوديت بوضوح أنني لا أقبل بصداقتها من داليا ، فقط أدعوا الله أن تكون الخ**سائر محدودة في نهاية الأمر**...

ارتديت قميصي الأسود و بنطالي الأسود و معطفي الأسود و غادرت المنزل متوكلاً علي الله و متمنيا في ذات الوقت أن أعود لغرفتي و أنام سبعة قرون ، لكن للأسف كان هناك ما يدفعني دفعا للذهاب ، أنا أدرك أنني ظللت لفترة طويلة من حياتي أثق في ما تمليه علي ذاتي ، و كانت النتيجة هي تاريخ مرضي مشرف في مستشفي الأمراض العقلية ، لكن هذا لا يمنع أنني مازلت أنساق خلف دوافعي القوية الغير مفهومة...

أثناء سيري توجهت نحو حارة جانبية كي أختصر الطريق للشارع الرئيسي ، فقط لأجد الملاك الحارس للشارع بانتظاري...

-(إثبت ياد).

-**حمصمص باشا ، أين أنت يا رجل منذ أسابيع ؟**

قال مترنحا بينما رائحة فمه تقتلني...

-**ليس هذا**..**هك**..من شأنك..**هك**.

ألم يسمع عن اختراع اسمه غسول الفم ؟

-**حسنا قد لا تذكرني جيدا الآن لكن ربما لو أخفضت هذه المطوأة الأنيقة سنجد مجالا للتذكر سوياً**.

ظل محدقا **لوجهي في غباء واضح ، فقط لو يدرك كم يجعله شعره المنكوش شبيها بأينشتاين لــ...لــ...لظل يسأل من هو أينشتاين هذا و ربما ظنني اشتمه**...

-**هات** 200 **جنيه**.

قلت مبتلعا ريقي بينما المطواة تضغط علي رقبتي...

-**اسمع يا أخ حماصة ، أقدر حقا أزمتك المالية في الوقت الحالي ، لم أسأل عنك أحد بالشارع مؤخرا إلا و قال شيئا عن عذرائيل و عن النقود التي اقترضتها منه ، لكن حتما لابد من وجود طريقة أخري للتفاهم**.

هنا و قبل أن يقول كلمة أخري ، رن هاتفي الخلوي...

****

قلت محاولة كتم ضحكتي...

-**هل تعلم ؟ منذ بداية سردك للمذكرات و أنا أنتظر سماع هذا**.

-(إشمعزة) ؟

-**أعني أن علاقتك الآن بحماصة كما لاحظت جيدة لدرجة أنكما** تتبادلان المنازل سويا ، و من الصعب علي شخص مثلك أن تتوطد علاقته بشخص كحماصة دون المرور بالمرحلة الصعبة ، لقد كنت بالنسبة له في البداية مجرد فتي مدلل (إبن ناس) ولابد من سرقته.

-كانت علاقتي به جيدة منذ البداية ، فقط عندما يصبح حماصة مخمورا أو أيا كان ما يسبب له هذا لا يدرك شيئا عما يفعله و يقوله.

-كيف خرجت من هذا الموقف إذن ؟

-سؤال جيد.

****

في محطة حلوان لاحظت نظرة التعجب الممتزج بالإشمئزاز **علي وجه داليا عند رؤية حماصة ، دعك من أن منظره و هو يعبث بإصبعه داخل أنفه ليس مشهدا محببا لفتاة...**

-من الكابتن يا طارق ؟ صديقك ؟

-بإمكانك قول هذا ، و أكون شاكرا إذا احتفظتٍ بتساؤلاتك لوقت آخر.

لم يكن الأمر بيدي ، كان لابد من مساومة هذا الكائن الهمجي بأي شئ حتي ولو لم يكن موجودا ، لذا اضطررت لإخباره أننا **ذاهبان لفرح فاخر (من بتاع الناس النضيفة) ، و أن هناك بوفيه و حشيش ، الكثير من الحشيش ، لابد من الحشيش و إلا** فالويل لي...

و لكن نظرا لأنه لا يوجد هناك شئ من هذا فإنني مضطر الآن للتخلص من هذا المسعور في أقرب فرصة و بأي طريقة...

هكذا قطع ثلاثتنا الطريق في صمت مريب حتي وصلنا للمكان كما وصفته أوديت ، و لو أردتِ رأيي فإن من يصر علي استخدام **كلمة محل لوصف مكان تجاري بثلاث أدوار لهو شخص يحاول** أن يبدو متواضعا...

-**ماهذا المكان ؟**

-لا أعلم يا حماصة ، من الواضح أننا أخطأنا بالعنوان تقريبا. التفت متسائلا **نحو داليا التي ردت بثقة علي افواهنا الفاغرة و كأنها صاحبة المكان**...

-**لا إنه هو المحل ، إسمه** (**فينوس**).

هنا-و نظرا لحجم الحفل-قدرت أنه من الحكمة مصارحة حماصة **بحقيقة الأمر ، لذا التفت نحوه قائلا في تردد**...

-حسنا ، اسمع يا حماصة....

لكنه كان قد اختفي من جانبي علي كل حال و علي الأرجح أنه بالداخل الآن (**بيقلب رزقه**) **أو يبحث عن الحشيش ، ليست مشكلتي الآن علي كل حال و من الجيد أنها جائت من جانبه و** اختفي ...

-**داليا ، هل أنتِ حقا متأكدة من رغبتك في مصادقة هذه الفتاة** ؟

-ربما لم تكن رغبتي قوية في البداية ، لكنني الآن صرت أملك **سببا للاحتفاظ بصداقتها**.

نعم أفهم دوافعها جيدا ، لن يضر أحدا أن يصادق المرء واحدا من (ولاد الناس) **بين الحين و الآخر**...

كان اول ما لفت نظري لدي دخولي المكان-للدقة أول ما لفت أنفي -**هو الروائح الحريمي الفاخرة التي تملأ الجو ، فليبارك الله جميع شركات العطور الباريسية التي لم تعلن افلاسها بعد ظهور محلات العطور المركبة**...

لفت انتباهي أيضا بعض الأطفال يجرون خلف بعضهم في دائرة حول مانيكان معلق عليه فستان سهرة لا يستر شيئاً تقريباً ، و

قدرت أن منظم المكان كان مخبولاً حتي يضع مانيكان وسط المحل بدلا من وضعه في أحد **الأركان ، حتما ستسقط هذه** القطعة منكسرة عما قريب...

بعد دقائق من التجول في المكان فقدت أثر داليا وسط الزحام ، و شعرت بشئ يتسلق بنطالي في إصرار ، هل يعقل أن توجد فئران في هذا المكان الأنيق ؟

لكني عندما نظرت للأسفل وجدت طفلا لا يختلف عن الفئران **كثيرا حجما و مضمونا ، ماذا تريد أيها الوغد الصغير ؟**

-**ماذا تريد يا صغيري ؟**

رد و ظل يشد البنطال ، حمدا لله أنني أرتدي حزاما لهذا الشئ...
-**هل أنت ضائع من أمك يا عزيزي ؟**

ظل مستمرا في شد البنطال بصمت مستفز ، و حينها قدرت أنه لا يريد شيئا بل هي(حركات غلاسة من بتاعة العيال) ، و **هذا شئ استفزني حتي فكرت أن أشوطه بقدمي ليطير إلي مروحة السقف فيتفتت و يسقط أشلاء ، إنني أحب الأطفال** حقا و لكن كل شئ و له حدود...

-ماذا تريد يا إبن الــ....

-طارق.
نظرت لمصدر الصيحة فوجدت أوديت في مواجهتي تنظر لي في غضب ، لو لم أكن مخطئا لقلت أن الشيطان الصغير هو...

-**هل جننت ؟ إنه أخي**.

كان لابد أن أخمن من البداية...

هكذا قلت متصنعا اللطف بينما ألثم خد الفتي برفق...
-لطيف للغاية ، يشبهك في كل شئ.

كان بالفعل يشبهها كثيرا لكنني لم الأحظ هذا إلا الآن ، ذات العيون المحدقة المذعورة دونما سبب ، من الواضح أن الذعر متوارث في هذه العائلة...

و علي كل حال فإنها لم ترد سوي بنظرة احتقار ، إنني أتلقي عددا لا بأس به من الإهانات اليوم...

-هل تعرفين أين داليا ؟

-كانت معي منذ قليل في مكتب زوجة أبي.

-و ماذا تفعل داليا في مكتب زوجة أبيك.

قالت بينما تدفعني من ظهري دفعا...

-تلقي عليها التحية ، كما ستفعل أنت الآن.

قلت في نفاق واضح...

-ليديز فرست.

بدا لي مثل هذا التصرف غريباً ، خاصة أننا لسنا في الثمانينات لو كنت تفهم قصدي ، حين كانت الفتاة تقدم صديقها لـ(بابي و مامي و جدو و خالتو و عمتو) و الأمة العربية بأكملها في فخر غريب ، لكن أوديت حالة استثنائية علي كل حال ، فربما كنا نحن أول أصدقائها في الحياة لدرجة أن تقدمنا لزوجة أبيها باعتبارنا صيد ثمين تفخر به أمام الجميع...

هكذا مشيت خلفها في صمت محاولاً تبين تلك الموسيقي الخافتة المنبعثة من لا مكان ، أقسم أنني أعرفها لكنني لست في حالة **تسمح بالتذوق الموسيقي الآن**...

مكتب زجاجي أسفل السلم ، منتهي الذكاء في استغلال الأماكن فلماذا الغباء في تنسيق تماثيل العرض ؟

-**أمي هذا طارق صديقي بالجامعة ، طارق هذه مدام موريان**.
مددت يدي للتحية فاغرا فاهي كالمعتوه ، لا أعرف كيف أصف هذا حقا لكن لو كانت هذه زوجة أبيها فأوديت مصابة بشيخوخة مبكرة حتما ، إن جمالها من ذلك النوع الذي تتسائل معه كيف تحيا هذه السيدة هكذا دون أن يخطفها أحد ؟ كيف لها أن تترك هكذا وسط العامة ؟ بل و كيف يتمكن الناس من النوم راضين مرتاحين و هم يعلمون أنها موجودة بهذا العالم ؟ بل و كيف....
-طارق.
أفقت من شرودي علي صيحة أوديت قائلا...

-**آه آسف ، ألف مبروك يا مدام روميان**.

-موريان.

-ماذا ؟

-إسمي موريان.

-**آه ، نعم بالضبط هو هذا**.

لثوان أصابتني صدمة من طبقة صوتها ، إذ أنه لم يكن علي نفس مستوي جمالها ، لم يكن ناعما للغاية كما كنت أنتظر...

لكنه كذلك لم يكن كصوت (جمالات كفتة) ، **إن هناك ذلك النوع** الإذاعي المجسم من الأصوات حتي لتشعر كأنه تفاحة تتمني **قضمها ، صوت تتمني قضمه فعلا**...

لكنني نسيت كل هذا حين ابتسمت ابتسامة كادت معها عيناي أن ترسم بداخلها قلوبا حمراء كما تفعل الشخصيات الكرتونية ، و لسبب كهذا ختمت تلك المقابلة الموترة سريعا قبل أن أصاب **بسكتة مخية**...

خرجت من المكتب مجففا عرقي بمنديل ورقي لأجد داليا من بعيد تحملق في أحد الفساتين ، مسكينة لم تنظر لورقة السعر بعد...
هكذا ذهبت إليها مسرعا كي أبعدها عن هذه الكيانات الضارة...
-**غير مسموح لكِ يا ذات** الرداء الأسود.

-أين كنت ؟

-**القي التحية علي فينوس ذاتها**.

-**آه ، أري أنك قابلت زوجة أبيها**.

قلت واضعا يداي في جيوب معطفي...

-**إن أبيها لذو ذوق جيد علي كل حال ، لا يمكننا إنكار تلك الحقيقة**.

مطت شفتيها و عادت تتأمل الملابس في صمت ، لا تحب أي امرأة أن تمدح أمامها أخري مهما كانت الفروق بينهما ، لكنني بالطبع لست خبيرا كي أدرك هذا...

- سأغادر.

-الآن ؟

-**لم يعد هناك داع لوجودنا**.

فكرت لثوان ثم قالت في استسلام...

-**نعم ، أنت محق ، هيا بنا**.

لم يفتني بالطبع قبل المغادرة أن أتبين كنه الموسيقي الخافتة ، ولا أظن القارئ بحاجة لكثي**ر من الذكاء ليدرك الموسيقي التي أتحدث عنها**...

****

-**هل أقوم بتشغيل الملف الآن ؟**

-**و هل أمرتك بتشغيله ؟**

-**لا و لكنني ظننت أنه الوقت المناسب لتشغيل الموسيقي التي تتحدث عنها**.

-**و ما أدراكي أنها الموسيقي التي أتحدث عنها ؟**

قلت في نفاذ صبر...

-طارق من المؤسف لي إخبارك أنك فاشل في صنع التشويق **، إن كل شئ هنا متوقع**.

-حسنا ، **قومي بتشغيل المقطوعة اللعينة**.

هكذا ما إن قمت بتشغيلها حتي انبعثت من الجهاز تلك الموسيقي الجنائزية **التي تحدث عنها ، لكنني كنت أشعر أنني أعرفها أو سمعتها مسبقا ، خاصة بعدما بدأ عزف عود بالتغلغل** داخل الألحان...

-**هل تعلمين ؟ قبل أن أستمع لهذه المقطوعة كنت أمقت عزف العود للغاية ، و أري فيه دفئاً مبالغ فيه لدرجة الكآبة ، لكن مؤلف هذه المقطوعة استطاع حقا اظهار السحر الحقيقي للعود مع تلك الموسيقي الكنائسية.**

-**أعرف هذه المقطوعة ، إنها الموسيقي التصويرية لفيلم (الكيت كات).**

-بالضبط.

-إذن لم يكن الأمر عقائدياً خالصاً كما ظننت.

قال بينما يأخذ معطفه من حولي...

-**للأسف لا ، إتضح أنني أملك ذات النظرة نحو المسيحيين ، النظرة المباشرة لديانتهم حتي يتصور المرء منا أنهم يقضون حياتهم في إشعال الشموع و الركوع أمام الصليب ،** فقط لو **كنت استمعت للمقطوعة كاملة منذ البداية لأدركت أنها مجرد** معجبة أخري بالمقطوعة.

قلت متأملة إياه و هو يرتدي معطفه...

-**لدي معاطف سوداء مثل هذا أيضا ، أرتديها أحيانا حين أشعر** بفقدان ثقتي بذاتي ، مثلا لدي ذلك المعطف الجلدي ذو القوة **السحرية ، حين ارتديه امشي** بثقة و أتكلم بثقة و افكر بثقة ، و تتملكني حالة من التفلسف في كل ما أفعله و أقوله و أفكر **فيه ، هل لذات السبب أيضا تتمسك بارتداء معطفك هذا ؟**

قطب جبينه في استغراب و قال...

-**لا ليس الأمر معي بهذا التعقيد حقاً ، فقط أرتديه لأن به جيوباً كثيرة تحمل كل أغراضي.**

هززت رأسي في إحراج بينما أغلق شاشة الكمبيوتر حين غادر هو دون كلمة أخري...

(3)

في اليوم التالي أدركت أن موعد جلسة جلال قد اقترب كثيرا دون أن أشعر ، و في الواقع لم يصيبني التوتر كما كنت أخشي أن يحدث ، أعني أنني متوترة لكن ليس بالشكل الذي توقعته ، خاصة بعد أن تأكدت من خطأ نظرية طارق الحمقاء بشأن جلال ، لم يتعلق الأمر يوما بي ، و جل مافي الأمر أن جلال لم يكن **يريد أكثر من محامي يعرفه معرفة شخصية ، هذا يعطي الأمور إذن طابعا مهنيا مطمئنا بعيدا عن العواطف**...

بعد انتهاء عملي بالشركة ذهبت لسالي في المستشفي **ثانية و في حقيبتي علبة سجائر أخري**...

و لسذاجتي ظننت أن كسور الساق تستلزم تواجدا مستمرا **بالمشفي كباقي الإصابات ، لكنني حين وصلت وجدت سالي تعد نفسها للرحيل بينما مازال الجبس حول ساقها**...

-إلي أين ؟

-**إلي أي مكان آخر بعيدا عن هنا**.

-لكن ساقك مازالت...

-**فلتذهب ساقي إلي الجحيم ، هل أحضرت معك سجائر ؟**

مددت يدي داخل الحقيبة قائلة...

-**نعم أحضرتها**.

-رائع.

هكذا و اختصارا للمناقشة الطويلة التي حاولت فيها الظهور بصورة الصديقة الوفية التي تقف بجانب صديقتها وقت الأزمات ، يمكننا القفز لمشهد آخر يظهر فيه طارق قادما بسيارتي

لمدخل المشفي بينما يحاول إخفاء انزعاجه ببعض اللطف المصطنع ، خاصة بعد أن بادرته سالي بكلماتها قائلة في مرح...

-**بطلي المراهق ، لماذا لم تنقذني هذه المرة من كسر الساق** كما فعلت وقت إغمائتي.

قال طارق ناظرا نحوي في تردد...

-ربما لأنني...لم أكن برفقتك **هذه المرة**.

نظرت سالي نحوي قائلة بذات المرح...

-**هل هو جاد هكذا دائما ؟**

قلت بينما اناوله يد حقيبتها...

-**لا يا عزيزتي ، فقط هو لم يفهم المزحة ذاتها**.

هكذا بدأت بمساعدتها في دخول السيارة بساقها المجبسة تاركة طارق يضع أغراضها في حقيبة السيارة و يغلقها بعنف و نفاذ صبر واضح...

****

هكذا بمجرد وصولنا للمنزل ليلا توجهت نحو المطبخ لأتحاشي نظرات طارق قائلة...

-خذوا راحتكم ، سأصنع لكم بعض الشاي.

لكن خطتي كانت فاشلة علي كل حال ، إذ أنني وجدت طارق بعد لحظات مستندا بكتفه علي حافة مدخل المطبخ مفكرا في شئ ما...

-أعلم أنك **منزعج من وجودها لكن كن رحيما بها إنها مصابة** بكسر.

-هل تعلمين ؟ ربما كان علم الباراسيكولوجي محقا.
قطبت جبيني في تعجب قائلة...

-بار ماذا ؟

-سالي ليست مزعجة علي الإطلاق ، بل و ربما تتحدث بصورة أقل مني و منك ، لكنه ذلك الشعور المزعج حين يكون المرء برفقتها ، و كأنها تشع كميات من الطاقة السلبية ، ربما يكون ذلك الهراء عن هالات الطاقة الحيوية صحيحا.
قلت بينما أضع السكر في الأكواب...

-لا أعرف ماهي الهالات الحيوية ولا أريد أن أعرف ، و كل ما أعرفه هو أن تلك الجالسة بالخارج امرأة مصابة و بحاجة إلي رعاية أيا كانت درجة **إزعاجها**.

قال بينما يخرج علبة المنوم من جيب معطفه...

-أنا أتفهم ذلك حقا و أقدر جهودك لمساعدتها.

أمسكت يده قائلة...

-ماذا تفعل ؟

-أساهم في مساعدتها ، سأريحها من آلامها قليلا.
-بل تريد إطفاء مصابحها الحيوية لمجرد أنها تزعجك بعض الشئ ، أنت وغد بارد عديم الإحساس.

أزاح يدي قائلا في لا مبالاة...

-قولي شيئا جديدا.

-**طارق ما الذي يزعجك بشأنها الآن إنها جالسة تشاهد التلفاز في هدوء**.

-**نعم و لكنها لن تظل كذلك حين ندخل غرفة الحكايات**.
-**سينشر الكتاب في جميع الأحوال و سيقرأه الجميع**.

-**إذن بإمكانها قرائته معهم أما الآن فلا**.

أ**مسكت يده ثانية قائلة في إصرار**...

-**طارق ، لن أسمح لك بفعل هذا الآن إنها مصابة ، حاول العثور علي طريقة أخري لحل مشاكلك بعيدا عنها**.
هكذا أعاد علبة المنوم إلي جيبه ناظرا لي في غل ثم قال...
-**حسنا ، طالما أنكِ اخترتِ هذا ، ارتدي واحدا من معاطفكِ** السحرية لأنني لن **أفرط في معطفي هذه المرة**.
هكذا أدركت تلميحه سريعا بينما تركني وحدي بالمطبخ مغادرا الشقة...

هكذا بمجرد صعودي لسطح المنزل لم أجد أحداً علي الإطلاق ، و هممت بالعودة لأسفل حين ظننت الأمر مزحة سخيفة من طارق ، لكنني قبل أن أعود أدراجي أتاني صوته من وسط الظلام **قائلا في هدوء**...

-**هل تعلمين أن هناك الكثير من النجوم التي لا نراها مباشرة ؟**

كان جالسا علي الأرض مستندا بظهره إلي أحد الجدران و ناظرا نحو السماء كالمنوم مغناطيسيا...

-**هل هذا تشبيه آخر من تشبيهاتك أم أنك تعني شيئا حقيقيا ؟**

-لا ، أتحدث بجدية فقط دققي النظر ، ستجدين أن تلك النجوم **اللامعة التي ترينها في نظرة خاطفة نحو السماء ليست**

الوحيدة الموجودة ، هناك نجوم أخري كثيرة لا تكشف عن نفسها إلا لمن يكرس نظره لتأملها فترة أطول.
نظرت لأعلي قائلة في لا مبالاة...

-**علي كل حال السماء لن تهرب سأتأملها لاحقا ، أما الآن** فإنني ....
-**خطأ ، هذا هو ما نقوله لأنفسنا دائما** (السماء رائعة حقا ربما **يجب أن أتأملها يوما بإمعان) ، لكن الحقيقة أن هذا اليوم لا** يأتي أبدا.

قلت في نفاذ صبر...

-ما المطلوب مني إذن ؟ أترك كل شئ و اجلس لتأمل النجوم بجانبك ؟ لقد كذبت علي سالي من أجلك و خرجت من المنزل بأعجوبة.

هنا ترك السماء ليتأمل هيئتي في تعجب قائلا...

-**ما الذي أخبرتيها به تحديدا ؟**

-**أخبرتها أنني ذاهبة لمقابلة أحد الموكلين و اضطررت لإخفاء الكمبيوتر في حقيبة أوراقي.**

-**كان المنوم ليكون أسهل إنجازا و اسرع.**

-**محال ، إن لدي مبادئ لن أتخلي عنها مهما حدث.**

-**إبعثي لها تحياتي.**

-من ؟ سالي ؟

-لا ، المبادئ.

أخذت نفسا عميقا و قلت...

-ربما يجدر بنا البدء الآن.

****

في صباح اليوم التالي بدت أحداث حفل أمس كأنها حلم ، أوديت و مدام موريان و حماصة و داليا ، كل هذا بدا و كأنه حلم...
و عند استيقاظي كنت أشعر بصداع شديد جعلني أشبه بإصبع **ديناميت جاهز للإنفجار بأبسط احتكاك ، و لسبب كهذا لم أكن** علي استعداد مطلقا لاستقبال الأستاذ شريف في منزلي...

من هو الأستاذ شريف ؟ كيف لا تعرف شريف الأنفوشي ؟ ربما يبدو لك الإسم غريبا لكن الشخصية حتما تعرفها ، فقط ابحث في علاقاتك الإجتماعية عمن يمكن تصنيفه كصديق للعائلة ، و ستجد حتما ذلك الرجل المرح الفخور بكرشه المتدلي و **بضحكته العالية السمجة ، و الذي يظن انه يحمل ترخيصا من السيد الوالد بتصنيفك كحمار أو للدقة** (واد يا حمار انتا) ، وجدته ؟ رائع ، يمكننا الإستمرار إذن...
كما قلت لك لم أكن مستعدا **لاستقبال هذا الرجل تماما نظرا لحالتي وقتها ، ولا أظن أنني مستعد لاستقباله في جميع** حالاتي لكن الصداع زاد الأمور سوءا...

-لا تؤاخذني يا أستاذ شريف كنت نائما.

-ما هذا الأدب و الاحترام ؟ "و الله و عرفت تربي يا حسين" ابتسمت ابتسامة خفيفة قائلا في سري "يا فتاح **يا عليم**..."
-لحظة واحدة سأحضر لك شيئا تشربه.

-إسمع يا "واد يا حمار انتا" ، لست غريبا لتضايفني ، فقط جئت **لأطمئن عليك كما وصاني أبيك منذ أيام في الهاتف**.
- **نا بخير حال و الحمد لله**.

-**ألا تريد شيئا ؟ نقود ، طعام ، سجائر ، حشيش ، أخبرني يا** بني أنا مثل والدك ، **قهقهقهقه** (**ضحكة سخيفة و سمجة**).

قال بينما يخرج سيجارة ليشعلها...

-**صحيح أخبرني ، هل تجيد الكتابة علي الكمبيوتر ؟**

-**و من لا يجيد ؟**

-**أنا لا أجيد ، ههههههههه** (ضحكة اخري أسخف).
-لماذا تسأل ؟
-**كنا نفكر بتنفيذ فكرة طرحها احد الأعضاء بالجمعية منذ عامين** تقريبا ، نريد **إدخال بيانات صندوق الجمعية إلي كمبيوتر**. **و الجمعية التي يقصدها هنا هي** (**جمعية تنمية المجتمع** المحلي) ، **و كان أبي يشغل فيها منصب أمين الصندوق قبل سفره ، ربما سمعت هذا الإسم في منطقتك فهو اسم واحد في جميع الأحياء ، فجمعيات تنمية المجتمع هي خليط من عيادة و حضانة و مركز شباب و مكاتب أخري لا تدري طبيعة نشاطها تحديدا**...

-**منذ عامين و فكرتم في تنفيذها الآن ؟**

-**نعم ، كما تعلم صار الجميع هذه الأيام يتحدث بلغة الكمبيوتر**. عندما فكرت بالأمر مباشرة لم احتمل فكرة العمل بمكان واحد **مع هذا الرجل اللطيف ، و لكن عندما نظرت له من** زاوية أخري- الأمر لا الرجل طبعا- **وجدتها فرصة جيدة لكسر نمط حياة الوحدة** و الخروج من عزلتي ...

هكذا نظرت له محاولا التظاهر بالجشع و قلت...

-**كم ستعطيني ؟**

-**مئتان و خمسون في الشهر**.

-**ثلاثمئة ، جزء منها نهاية كل اسبوع**.

حك ذقنه مفكرا و قال...

-إتفقنا ، متي تصبح مستعدا لاستلام الأوراق ؟
قلت في غباء و قد نسيت أمر العمل ذاته...

-أي أوراق ؟

مد يده قائلا في سخرية...

-**لا تشغل بالك ، إذهب لتستكمل نومك الآن ، سنتحدث لاحقا**.

كدت أن أبادله التحية متنفسا الصعداء لمغادرته قبل أن يرن هاتفي برقم غريب تجاهلته في البداية بينما الأستاذ شريف **يدخن سيجارته ناظرا لهاتفي في فضول مزعج ، لم يتصل بي أحد منذ اسبوعين تقريبا فلماذا أختار هذا اليوم بالذات؟**

هكذا قررت إرضاء فضوله و تخييب أمله ، فحتما سيكون المتصل أخطأ في طلب الرقم...

-ألو.
-**هل تعلم شيئا ؟ لم أكن أتصور أنك بهذه الوقاحة و الانحطاط**.
ثم أغلقت الخط...

كنت أعرف صوت أوديت جيدا ، لكنني لم أسمعها تتحدث بهذه العصبية من قبل ، هل فعل حماصة شيئا مشينا ف الحفل و

أخبرهم أنني من قام بجلبه ؟ ستكون نقطة لا بأس بها خاصة و أنني أبحث جاهدا عما قد يفسد العلاقة بيني و بين اوديت قبل حتي أن تبدأ...

السؤال هنا هو من أين جلبت رقمي ؟

كان الأستاذ شريف قد لاحظ نظرة الغباء الشارد التي ارتسمت **علي وجهي فاكتفي بتأملي بذات الفضول بينما يدخن سيجارته ، متي سيرحل هذا الرجل ؟**

-أستأذنك لحظة واحدة يا استاذ شريف.

-خذ راحتك.

توجهت نحو الشرفة لأجد حماصة أمام مدخل بيته يلصق علي ظهر التوك توك الخاص به ملصقا علي غرار (بختي مال من كتر الصحاب الشمال ، الصاحب اللي يضر للخلف در...) **هل يخيل لي وحدي أن جميع سائقي التكاتك يعانون من مشكلة ما في الإحتفاظ برفاقهم ؟**!

هكذا حين رآني ابتسم ببرائة كاشفاً عن أسنانه السوداء النخرة ، كان من الواضح **أنه لا يذكر شيئا عن ليلة أمس تماما و هذه نقطة جيدة ، فقط فلأحرص علي تجنبه المرات القادمة حين يكون مخمورا**...

****

نظرت لطارق حين توقف عن السرد فجأة فوجدته يحك ذقنه في شرود و قال دون أن ينظر نحوي...

-**هل تعرفين مامشكلتك حقا ؟**

خلعت نظارة القراءة قائلة بصوت عصبي **خفيض**...
-هل تجد هذا وقتا مناسبا للتحدث بشأني ؟ ما خطبك هذه الليلة بالضبط ؟

-لا أعلم ، ربما لا أستطيع مقاومة التظاهر بمعرفة كل شئ و أي شئ.

-هذا حقيقي ، و الآن فلنعد لموضوعنا.

تجاهل كلماتي كعادته و قال...

-هل تعرفين الميكانزمات الدفاعية ؟ يسمونها أيضا الحيل الدفاعية لكنني أفضل مصطلح ميكانزمات من باب (الفزلكة) و **التظاهر بالعلم**.

-لا أعرفها ولا أريد أن أعرفها.

تجاهلني للمرة الثانية و قال...

-إنها محاولات لا شعورية مننا لنتوافق مع الآخرين و نحمي ذواتنا من الانهيار ، ما تعانين منه هو إفراط في استخدام إحدي تلك الد**فاعات النفسية**.

-أنا لا أعاني من شئ أيها الوغد المهووس.

-هذا هو ما أتحدث عنه ، إنه يسمي (بالتكوين العكسي) ، **تعتمدين عليه دائما لا إراديا لكبت مشاعرك الحقيقية و استبدالها بأخري تناقضها ، مثلا أنا وغد مهووس ، و سالي صديقة مزعجة تعاني من نرجسية عارمة ، و أمك ا**مرأة **متسلطة ، و جلال رجل آخر كبقية الرجال**...و برغم ذلك لا تتخذين موقفا واضحا بشان أحد منا ، بل إنك تزدادين التصاقا **بصداقتي و تحاولين التظاهر بكراهية سالي و تعانين من حنين**

جارف لحنان أمك و تعشقين جلال حتي الآن.
هنا صفقت بيدي ساخرة و قلت في لا مبالاة...

-رائع ، **ممتاز ، تهانئي ، لقد توصلت لسري الكبير يا طارق.**
هنا انطفأ حماس طارق و قال في إنزعاج...

-**حمقاء جاهلة.**

أعدت ارتداء نظارتي قائلة...

-معتوه.

* * * *

في اليوم التالي كنت في محاضرة مبادئ إحصاء لدكتورة أخري متسلطة آراها للمرة الأولي ، و حين سألت عنها أحد الطلبة أجابني إجابة وافية للغاية و كأنما تعقب سيرتها الذاتية...

-**إسمها ليليان أحمد فؤاد ، أربعون عاما تقريبا و غير متزوجة ، تكره الرجال و لسبب كهذا ستلاحظ أن لديها اضطهاد واضح** تجاه الذكور في دفعتنا.

رائع ، دكتورة إحصاء تضطهد الذكور ، هذا ما كان ينقصني بالضبط...
مايثير غيظي حقا أن المرء منا حين يختار الانتساب لقسم علم النفس إنما يختاره لدراسة علم النفس ولا شئ غير ذلك ، لهذا أنزعج كثيرا حين أصادف أمامي تلك المواد الإضافية اللعينة علي غرار الأدب و الإحصاء و غيرها ، خاصة و أنني بطبعي حمار كبير للغاية في الإحصاء و في كل مايتعلق بالعمليات الحسابية بوجه عام...

كان المدرج فارغا تقريبا و هذا دلني علي أن الدكتورة (**سمعتها سابقاها**) كما يقولون...

لكن كل هذا لم يكن يزعجني بقدر ما أزعجتني نظرات اوديت الجالسة بالطرف الآخر للمدرج ، كان من الواضح أن لديها ما تريد قوله لكنني لم أكن علي استعداد لسماع اي شئ حتي لو كنت مخطئا...

هكذا ما أن التفتت الدكتورة لرسم شئ ما من ذلك الهراء الإحصائي لملمت أوديت أشيائها و جائت ترتمي بجانبي في خفة و سرعة...

لم أنظر نحوها و أخذت نفسا عميقا ثم زفرته ثانية في نفاذ صبر واضح...

-**إذن ، هل تظنينها مسيحية** حقا كما أظن ؟

-**اسمها ليليان أحمد فؤاد ، لا يمكن أن تكون مسيحية مالم تكن قد غيرت دينها بنفسها**.

-**هيئتها و ملابسها تقول أنها مسيحية ، يكفي أنها لا ترتدي** حجابا.

-**الحجاب ليس مقياسا ، و إلا كانت كل المسيحيات الآن يرتدين** الحجاب.

نظرت نحوها قائلا...

-**هل تعلمين ؟ قد يصبح وجهك أجمل في الحجاب ، لماذا لا** ترتدينه طالما أنه موجود في دينك ؟

رفعت حاجبها في غيظ قائلة...

-**هل تحاول الهروب حقا من التحدث بفعلتك ؟**

-**فعلت أشياء كثيرة مؤخرا كوني أكثر تحديدا.**

-**كيف تصل بك الوقاحة لدرجة أن تبعث بباقة ورد لزوجة أبي ؟**

-أنا ؟

-لا تحاول الإنكار.

-**متي حدث هذا ؟**

-صباح أمس.

-**مستحيل ، لم أفعل شيئا من هذا.**

-**لا تقلق إنها سعيدة جدا بالباقة.**

-**بالأمس ظللت نائما حتي العصر ، قبل أن يأتيني أحد الضيوف المزعجين.**

هنا نظرت نحوي في حيرة واضحة و كأنها صدقت كلماتي سريعا...

-**أقسم أن هذا ما حدث.**

نظرت أمامها قائلة في هدوء...

-**لو كنت صادقا حقا فقد تفيدك زيارة سريعة للدكتورة التزام.**

-**إلي ماذا تلمحين يا أوديت ؟**

عاودت النظر نحوي ثانية قائلة في استعطاف...

-طارق ، سأسألك سؤالا واحدا و من فضلك كن صريحا معي.

-لا يوجد سبب للكذب.

-**هل حقا لا تذكر أي شئ مما حدث بيننا ؟ ألا** أمثل لك حقا أي شئ سوي فتاة المصحة المجنونة ؟

تظاهرت بالتفكير لبضع ثوان متأملا وجهها قبل أن أقول في هدوء...

-**أوديت ، لم تنقرض الفتيات المسلمات لأفكر في الإرتباط من مسيحية لو كنتِ تفهمين قصدي ، إن ماحدث بيننا أيا كان قد حدث لأنني لم أكن في وعيي.**

-**و هل أنت متأكد الآن أنك في وعيك ؟**

-ماذا تقصدين ؟

-**أعني ماذا لو كانت شخصيتك الحالية ليست هي الأساس الذي كان من المفترض أن تكون عليه ؟**

-أوديت ، لا أدري حقا مانوع العلاقة التي كانت تربطني بكِ **عندما كنت مريضا ، لكن ما أعلمه هو أن الدكتورة التزام كانت** تعبث بعقولنا سويا ، **لقد كنا تجربة مثيرة تقوم بها من أجل أن تثبت لنفسها أنها طبيبة نفسية ماهرة ، أفيقي من أحلامك يا** أوديت ، الشخص الذي كان يحبك قد مات و رحل.

****

-**كان هذا قاسيا حقا.**

قال في شرود دون أن ينظر لي...

-**نعم ، لم أتعامل مع أوديت يوما بأسلوب أفضل من هذا.**

-لكنني أتسا**ئل حقا ، ما السبب الذي جعلك تقبل هذه التجربة** ؟ أعني ما الذي جعلك توافق علي أن تظل مريضا لفترة حتي تشفي أوديت ؟

فكر قليلا ثم قال...

-**هل تعرفين مطاعم السوشي ؟**

-**ماذا بها ؟**

-**برأيك ما الذي قد يجعل مثل هذه المطاعم موجودة في بلد كمصر ؟ بل ما الذي يجعل لها زبائن م**ن الأساس ؟

-**ربما لأنهم يريدون تجربة شئ جديد ؟**

-بالضبط ، لقد كان الامر بالنسبة لي كتجربة السوشي لأول مرة.

-**و هل أعجبك مذاقه ؟**

-**للأسف لم أعلم مذاقه قط ، و لكن دعينا نستكمل حديثنا**.

****

طبعا لم أعر اهتماما لكلام أوديت و لم أهتم مطلقا بالذهاب للدكتورة التزام حتي ولو ثبت لي أنني مازلت مريضا ، إن **عودتي للمصحة وحدها كافية لتجعلني في أسوأ حال ممكن**...

لكنني قررت استغلال صداقتي ببشوي لأقوم بتجربة ما يسمونه بالشكوي ، ذلك الإختراع الإجتماعي الذي لم أقم **بتجربته قط لسبب بسيط هو أن شكوتي تمنح الآخرين حقهم** في ممارسة ذات الأمر معي ، و أنا بطبعي أكره الشكوي و **شاكيها**...

هكذا كان حديثي معه مقتضبا إلي حد ما ، صديقي العزيز بشوي ، هل تعلم كيف يتخلص المرء من صداقة تورط فيها ؟

-لماذا ؟

حككت رأسي قائلا...

-إنها داليا ، تعرفت مؤخرا علي صديقة مسيحية سخيفة إلي حد ما أسمها اوديت ، صدقني ليس الأمر ذو طابع عقائدي كما تظن أنت تعرفني جيدا ، لكنني لا أستطيع إجبار داليا علي تركها لذا أحاول قطع الأمر من جذوره بمقاطعة داليا ذاتها.

هنا قال محدقا لشئ ما خلفي...

-ما هذا ؟ لا أصدق .

-ماذا ؟

-أوديت معنا في الجامعة.

-نعم أنا قلت هذا منذ قليل.

-لا ، **أقصد أوديت هذه.**

نظرت خلفي فوجدتها أوديت التي أعرفها أيضا ، ياللمصيبة...

-دودي.

-بيشو.

هكذا بالطبع كان وضعي حرجا حتي صرت أتحدث كعربة ينفذ منها الوقود...

-رائع..تعرفان بعضكما...**إذن لن أضطر لتمثيل مسرحية التعارف الاجتماعي السخيفة هذه ، اوديت هذا بشوي-بشوي هذه** أوديت...**هل تريدان شيئا ؟ سلاموا عليكوا**.

فيما بعد اكتشفت انهما كانا يذهبان لكنيسة واحدة منذ الطفولة ، هذه إحدي المصادفات التي لم أتمكن فيها من لوم أحد و هذا-بأمانة-**أثار غيظي أكثر**...

هكذا بالطبع لم أجد بداً من الذهاب لعيادة الدكتورة التزام ، لا أنكر أنني ف**كرت بالذهاب لطبيب آخر أكثر كفاءة لكن الأمر ليس بهذه السهولة ، صدقا يستغرق المرء وقتا حتي يألف فكرة سرد أدق خواطره و اسراره لشخص ما ، و لا يهتم المريض حقا بعدد الشهادات التي حصل عليها طبيبه بقدر ما يهتم بقدرته علي الوثوق به و ارتياحه له**...

-**هل ستنام علي الشيزلونج حقا ؟ أنا مندهشة**.

قلت متأملا سقف الغرفة في شرود...

-**قبل اليوم كنت مريضا نفسيا فحسب ، و لكن لم تكن لدي** متاعب من وراء مرضي ، الآن فقط أشعر بالراحة لدي **استرخائي فوق هذا الشئ ، إن من يشعر بالراحة فوقه لابد و أن يكون مثقلا بالهموم و ليس مريضا فحسب**.

-و ما**هي المتاعب التي تواجهها الآن ؟**

هكذا حكيت لها كل شئ منذ اقتحمت اوديت حياتي اقتحاما و حتي ذهابي لعيادتها ، ولا أنكر أنها كانت مهتمة بسماع قصتي كما لم أراها من قبل...

-سامحني يا طارق ، لو كنت أعلم أن هذا سيحدث لكنت اتخذت احتياطاتي ، لقد حاولت جعل الأمر في نطاق العلاج فحسب ، لا تتوقع مني ايجاد سبيل لعلاج مريضة ما و اتجاهله.

قلت بصوت هادئ محاولا ألا أبدو عصبيا...

-كان بإمكانك استخدام الطرق المعتادة في علاجها.

-و هل تظنني لم أحاول ؟ تلك الفتاة كانت ظروفها سيئة للغاية.

-الناس يموتون كل ساعة ، في الواقع أجد رد فعلها مبالغا فيه للغاية.

-لا يا طارق ، ليت الأمر بهذه البساطة بالنسبة لأوديت ، لقد كانت أمها تعني لها الكثير جدا ، أكثر مما تتصور.

****

وفقا لما ذكره فرويد عن مراحل التطور النفسي للفرد فإن أول مراحل التطور النفسي للطفل تبدأ من سن شهر و حتي 18 شهر ، و تسمي بالمرحلة الفمية ، و من ضمن ما يميز هذه المرحلة عدم التمايز بين الطفل و أمه ، أي أن الطفل ببساطة لا يدرك ذاته إلا من خلال أمه ، فهو يظنها صورته و نفسه و كل شئ بالنسبة له ، باختصار يظنها هو ، و لهذا تكون الأم هي موضوع الحب الأول للإنسان...

لكن كل هذا لا يدوم للأبد كما نعلم جميعا ، إذ يواجه الطفل في نهاية السنة الأولي مخاوف الفطام الوشيك التي يشعر من خلالها أن الوحدة بينه و بين أمه آخذة في الإنهيار التدريجي ، و هذا يعني تدمير موضوع الحب الأول و إفنائه ، الأم ، و لهذا تتميز تلك المرحلة بازدواجية العاطفة للموضوع المحبوب المكروه في ذات الوقت...

يبدو هذا قاسيا بالطبع و لطالما كنت أري الطفولة أقسي مراحل حياة الإنسان و لكنها للأسف تدل علي أننا نسير في الطريق الصحيح نحو نفسية سليمة مستقبلا ، كما أن جميع مراحل التطور النفسي لا شعورية ، و لهذا لا نذكر الكثير من ذكريات **الطفولة البائسة و إلا صارت الحياة جحيما ،** نعم..**الطبيعة قاسية لكنها أيضا رحيمة...**

بالطبع تلي تلك المرحلة مراحل أخري أكثر أهمية (المرحلة **السادية الشرجية و المرحلة القضيبية الأوديبية و مرحلة** الكمون) ، **و أغلبها كما ترون ليست بالأسماء المحببة للنفس** لكنه العلم كما يقولون...

السؤال هنا هو هل مرت أوديت حقا بهذه المراحل كما ينبغي لها ؟ أم أنه كان لها أم مسكينة عانت أعواما قبل أن تظفر بدميتها الصغيرة لتمشط لها شعرها و تخشي عليها من نسمة الهواء و تعلمها أن العالم بالخارج ليس سوي بعض الديناصورات التي تلتهم بعضها البعض ، و أنه لا أمان في هذا العالم إلا في أحضانها...

ألم أخبركم من قبل ؟ حتي الخوف يورث...

****

-**يبدو هذا مثيرا حقا بالنسبة لمجال دراستي ، و لكن مادخلي أنا بكل هذا ؟**

-**دخلك أنك كنت موجودا في الوقت و المكان الخطأ ، المسكينة ظلت طيلة حياتها بلا أصدقاء تقريبا ، لم تعرف في حياتها أحدا سوي امها التي ماتت لتتركها وحيدة ، بالنسبة للفتاة فإن ذاتها قد ماتت ، أوديت تشعر و كأنها هي نفسها ماتت و صارت بلا روح ، هل تفهم ما أعنيه ؟**

اعتدلت جالسا فوق الشزلونج و قلت في غباء...

-و هل تراني أشبه أمها إلي هذا الحد ؟

هنا فقدت الدكتورة التزام وقارها و صاحت في غضب...

-آآآآه إرحمني يارب العالمين ، الحنان يا عديم الإحساس ، الفتاة تبحث عن الحنان فحسب.

-لكنني لست حنونا.

-لست أنت بالطبع ، إنه نصفك الآخر الذي تأبي الإفصاح عنه ، **يخيل لي أنك تعتبر الإحساس جريمة**.

مططت شفتي مفكرا و قلت...

-ليس لهذه الدرجة حقا ، فقط أري البكاء و الرومانسية و كل تلك الأشياء اللزجة أقرب ماتكون للأنثي ولا يصح لي كرجل الاقتراب منها.

أخذت نفسا عميقا و قالت...

-إسمع يا طارق ، حاول أن تبتعد عن أوديت بقدر ما تستطيع ، لا أريد أن تحدث لها انتكاسة سريعة كما حدث لك ، أما أنت فستعاود أخذ عقارك القديم حتي تتخلص من الهلاوس.

قلت في شرود...

-لا أخفي عليكِ أمرا يا دكتورة التزام ، مازلت بانتظار ذلك الصباح الذي استيقظ فيه لأجد نفسي مازلت طفلا ، و أن كل ما عشته كان حلما سيئا.

-لست وحدك من ينتظر ذلك اليوم ، إن أمنية البدء من جديد لشئ م**ألوف لدينا جميعا ، و من المؤسف أنها لو تحققت لارتكبنا ذات الأخطاء بل و اكثر منها فداحة.**

****

هنا قمت من مرقدي لأنصب قامتي في ألم و قلت...

-هل مازال هناك المزيد ؟ إن ظهري يؤلمني من الجلوس علي أرضية السطح.

-هل يخيل لي أن فضولك بشأني قد تبخر أم أن هذا حقيقي ؟

-الفضول لمن هي في ظروفي الآن ترف بالغ.

-أي ظروف تلك ؟ صديقتك المزعجة صارت فجأة ظروفا ؟

-لا أقصد صديقتي ، بل أقصد جلال.

-ماذا به ؟

-موعد جلسته اقترب للغاية ، أنا متوترة.

-إهدئي يا سمر إنها قضية خلع تافهة مررت بها كثيرا.

-لا ، الأمر هنا يختلف.

-آه ، أفهم قصدك ، قضية جلال تختلف عن غيرها فقط لأنها قضية جلال.

-هل تظن حقا أنني أفعل الشئ الصحيح ؟ ربما كان يجدر بي رفض توكيلي في تلك القضية.

-بالعكس ، كلما كان الأمر مهنيا أكثر كلما صار موضوعيا و بعيدا عن التجارب الشخصية.

فكرت قليلا ثم هززت رأسي في إقتناع قائلة...

-هل رأيت ؟ لهذا السبب مازلت أحتفظ بصداقتك رغم أنك وغد ، و ليس بسبب هرائك النفسي و مينامكزاتك هذه.

-ميكانزمات.

-نعم.

-علي كل حال دعينا ننته من تلك الصفحة فحسب ، أعلم أنني أطلت في السرد اليوم و لكنني لا أضمن قدومي في الفترة القادمة.

-لماذا ؟ هل وجدت عملاً جديدا ؟

-لا ، و لكن قدمي لن تطأ منزلك ثانية طالما سالي موجودة فيه.

-ماذا تقصد ؟ لن تأتي حتي تشفي ساقها ؟

-بل و حتي تغادر البلاد كلها.

* * * *

في صباح اليوم التالي كنت بين النوم و الاستيقاظ...

كنت أعلم أن هذا نتيجة عودتي لتناول العلاج ، هذه إحدي الأعراض الجانبية التي قد لا تكون مذكورة في النشرة الداخلية لكنني أشعر بها دوما لسبب ما...

و كالعادة لم أسلم من هلاوس النصف نوم هذا ، لكنها هلاوس صحية علي كل حال و تراود كل من يعاني من النوم المتقطع...

بعيون نصف مفتوحة لمحت شبشبي أمام الفراش يعترض علي شئ ما...

لكنني لم أفهم منه شيئا كالعادة لأنني غفوت ثانية متجها نحو حلم جديد...

حلم يبدأ بعزاء ؟ بماذا ينتهي إذن؟!

____

كان العزاء مقتضبا للغاية...

من الواضح ان اصدقاء العائلة و اقربائهم محدودون للغاية او ان الاستاذ شرقاوي والد داليا رحمه الله كان ينتقي معارفه بعناية...

فكلهم من فئة مثقفة ، كيف عرفت ذلك ؟ لأنهم يبدون كذلك...

كان برأسي صداع مزعج و مازالت اعتراضات الشبشب تدوي **في عقلي ، إن المعترض يقدم وجهة نظر مفهومة و منطقية و مختصرة ، لكن فردة الشبشب تثبت فشلها كسياسية ناجحة ليلة بعد ليلة ، ربما تحتاج بعض** تلك الكورسات التي أجد **إعلاناتها تملأ الجامعة ، كورسات مهارات الاتصال و ماشابه ، لم أقتنع بمثل هذه الترهات من قبل و لم و لن أدفع فيها قرشا لأحضرها فكيف سأدفعها من أجل فردة شبشب ، أضف إلي ذلك أنهم لن يسمحوا لي بالدخول مرتديا شبشب حمام** برتقالي اللون...

ظللت **جالسا استمع القرآن منتظرا في صبر احدهم ليدور بصينية القهوة لتنقذني من هذا الصداع ، لكن من الواضح ان هذا** (الأوبشن) **غير متوفر لديهم ، ما أستغربه هو كيف تراودني هذه الأفكار السخيفة بدون أن أفكر لحظة في حالة داليا الآن ، لم أرها منذ جئت...منذ جئت؟ و لكن كيف** جئت ؟ أنا لا أذكر **متي ولا كيف جئت إلي هنا**...

ليست اوديت موجودة ولم أرها حتي الآن لا هي ولا داليا ، إذن كيف استطعت الوصول هنا وحدي ؟ بشوي يجلس بجانبي لكنه ليس بشوي ، أعني أنه في اللحظة الحالية بشوي ، لكنه ليس بشوي من حيث الشكل و الهيئة ، لكنه الآن بشوي و هذا يكفي ...

لماذا تشعر بالغرابة؟ من علمك أن كل شئ لابد أن يدوم علي حاله؟

——————————————————

مازالت فردة الشبشب تبدي اعتراضها علي شئ ما...

لو صح تخميني فهي تبدي اعتراضها علي التصرف الغير حضاري السائد...(**اللعب في المناخير**) **، و كيف أن الحضارة** الحديثة وفرت لنا مايسمي بالمناديل ، و تقترح اختراع مايسمي (**بالمنفخة الأوتوماتيكية**) **، انا لم اعارضها حتي الأن ولا احتاج ان اعارضها فهي تقرأ أفكاري و تعترض عليها ايضا** متبعة مبدأ(خلقنا لنعترض) ، **إنها علي حق ، إنها تعترض علي كل مايمكن الإعتراض عليه ، ولا يمكنك معارضة اعتراضاتها لأنك تعلم في داخلك أنها محقة ، علي الأقل هي تعترض فماذا** فعلت أنت ؟!

——————————————————————————

و أخيرا تسلل ضوء النهار من خلف زجاج النافذة و توقف الشبشب عن الإعتراض...

ربما مازال يعترض حتي الأن و ربما هو لا يكف عن الإعتراض اساسا لكنني استيقظت و اصبحت السيطرة علي المحيط خاضعة لسيطرة وعيي و عقلي ، فلا تحدثني من فضلك عن شباشب تتكلم او عن استاذ شرقاوي توفي او عن بشوي الذي ليس بشوي ، فكل هذه من أثار النوم المتقطع و لا تواجه الا انصاف النائمين أمثالي ، فقط ادعوا الله الا يتحقق هذا الهذيان و إلا صار الأمر مبالغا فيه...

علي الأريكة المواجهة لفراشي رأيت ظلا لشخص جالس ، لطالما يلعب معي ضوء النهار الخافت هذه اللعبة فأنهض فزعا و أضئ الحجرة لأجد كومة الغسيل و قد شكّلها خيالي بأكثر من صورة...

هكذا أضأت الحجرة منتظرا رؤية كومة الغسيل المعهودة ، و لكن للأسف كان هناك من يجلس هذه المرة بالفعل...

-أوديت ؟ كيف دخلتِ منزلي ؟

لم ترد ، بل لم تنظر نحوي من الأساس ، كانت تنظر للأرض بذات الشرود الذي كانت عليه في المصحة ، ثم بدأت تدندن فجأة بنغمة هادئة أعرفها جيدا...

الباسيكاليا اللعينة...

كنت موقنا أنها معي في الحجرة ، صوتها واضح و عطرها يملأ المكان ، هكذا هي الهلاوس تجبرك علي تصديقها ، لا تتعلم منها أبدا ، و كل نوبة هلوسة هي النوبة الأولي ، إنها بالضبط كالأحلام تضعك فجأة في وسط المشهد ، فلو حلمت أنك رئيس

الجمهورية لن تندهش كثيرا بل ستتعامل بناء علي ذلك و ربما تشعر بالملل كذلك...

هكذا دفنت وجهي في الوسادة قائلا بصوت مكتوم...

-**أوديت كفي عن الدندنة و اتركيني و ارحلي**.

لا فائدة ، و كأنني لم أقل شيئا ، بل و كأنها هي الحقيقة و أنا الهلوسة ذاتها...

هكذا ارتديت خُفي الذي كان يعترض منذ دقائق و توجهت نحو الصالة تاركا إياها تدندن وحدها...

لكن من الواضح أنها كانت مصرة علي إزعاجي هذا الصباح ، إذ أنها لم تكن في غرفتي فحسب بل كانت في كل مكان تدندن بذات الهيئة حتي صار صوتها أكثر علواً و تجسيما في أنحاء البيت كله حتي في الحمام ذاته ، آلاف النسخ من أوديت ، هذا هو الجحيم بعينه...

هكذا اتجهت للمطبخ بعدما سددت أذناي بقطعتي قطن لم تجديا نفعا ، هذا منطقي طبعا فالصوت إنما هو في رأسي ليس إلا...

ملأت البراد بالمياه لعمل شاي ثم شرعت في البحث عن اللبن الذي اكتشفت بعد ذلك أن أمي صنعت منه زبادي و تجاهلت كلماتي كالعادة عن أنني لا أحب الزبادي...

هكذا حاولت إنقاذ ما يمكن إنقاذه من اللبن قبل أن يتحول **بأكمله إلي زبادي و وضعت الكوب فوق الغسالة الأوتوماتيك التي تعمل في صمت و هدوء كالعادة ، لتكتشف أن الماء قد وصل لدرجة الغليان منذ دهور و أنك مازلت** (مسطولاً) لم تفق من نومك بعد...

تملأ الكوب بالماء و تنظر ورائك لتجد ان كوب الزبادي الذي مازال لبناً او اللبن الذي لم يتحول لزبادي اصبح حتي منتصفه فقط ، دائماً تنسي ان تضع الكوب علي سطح ثابت ، الم **يعلموك في المدارس ان الغسالات الأوتوماتيك تهتز بشدة في** برنامج العصر؟

هكذا تصب ما تبقي من الكوب مع الشاي لتكتشف مذاقا أخر لم يكتشفه عبقري غيرك..الشاي بالزبادي ، ما أروعك...

تتنفس في الكوب دافعا البخار للخارج ليكوّن شبورة علي عدسات نظارتك ، الم يعلموك في المدارس ان التنفس في **الكوب هو شئ مقزز؟**

ثم يرن منبه هاتفي في الظلام ، الظلام ؟

نعم الظلام ، و أزيدك من الشعر بيت ؟ مازلت جالساً في فراشي رافعا يدي فوق فمي و كأنني أتلذذ بشرب كوب شاي بالزبادي...

ابتسمت رغما عني عندما تصورت لوهلة أن أمي ستأتي من الإسكندرية خصيصاً لتغيظني بصنع بعض الزبادي...

بل إن آخر كلماتها لي قبل السفر كانت...

(**و لما انتا تاخد الغسالة الأتوماتيك أنا أغسل علي إ**يدي مثلاً؟!)

من الواضح أن حاجتي لمضاد الهلاوس صارت ملحّة أكثر من أي وقت مضي...

هكذا بعد تلك اللحظات من استكشاف الغباء جائني صوت أحدهم يناديني من الشارع ، نهضت من فراشي مسرعاً باحثاً عن خفي المعترض ، فقط لأتذكر أنني لا أرتدي خفي باستمرار

لدرجة ألا أخلعه الا **وقت النوم ، كان هذا فيما مضي ، حيث كانت أمي تنهرني دائما حين أجول في المنزل بدون خفين في** قدمي (**يسمونه شبشب كذلك لكنني أحاول إرضاء الطرفين ، عشاق اللغة العربية و عشاق تفاصيل الأحداث ذاتها ، و ربما كذلك عشاق الإثنين معا**)...

الأمر واضح إذن ، أنا أعاني من حنين جارف لعائلتي و تحديدا **لأمي ذاتها ، حتي تلك العادات السيئة التي عدت لممارستها صرت أحن لإنزعاج أمي منها**...

كان هناك فيلم كارتون لا أذكر إسمه يتمني فيه الأطفال اختفاء أبائهم و امهاتهم ، فيستيقظون ذات يوم ليجدون أن...

-يا طاااااااااارق.

أفقت من شرودي ثانية و توجهت نحو الشرفة لأجد حماصة و معه شخص ما يرتدي (**يونيفورم**) يذكرني بعمال المصانع...

-ما الأمر يا حماصة ؟

-**هذا الرجل كان يسأل عنك.**

نظرت إلي الرجل بعين متشككة نصف مفتوحة فوجدته مذعورا يحاول إخفاء ذعره بابتسامة رسمية مصطنعة...

-**هل أنت ممن يجمعون أكياس مساحيق الغسيل مقابل بعض الجوائز الرخيصة ؟**

قال محاولا إخفاء توتره...

-**شركة فيدكس للشحن الجوي السريع ، هل أنت السيد طارق حسين ؟**

-أظن ذلك.

-**معي طرد من أجلك و أريد توقيعك بالإستلام ، و بسرعة من** فضلك.

بدأ يفقد أعصابه ، هذا واضح ، إن مصادفة إثنين منكوشي الشعر صباحا ليس بالشئ الرائع...

هكذا استلمت الطرد و كدت أن أدعوه لكوب من الشاي من باب المجاملة لولا أنه-لسبب ما-**غادر مسرعا كأن الشيطان** يلاحقه...

-**صباح الخير يا حماصة**.

-**صباح الخير يا** (طارق باشا) ، **هل كل شئ علي ما يرام ؟**

رفعت الطرد الصغير المستطيل قائلا...

-لم أتأكد من ذلك بعد.

قال عائدا لجحره في البناية المواجهة...

-كن حذرا.

كنت أفهم ما يعنيه بقوله هذا ، إن المريض النفسي ليس بالشخص الأمثل لاستلام طرود محبة و إخلاص من معجبيه ، لذا تزداد الآن احتمالات وجود قنبلة نووية بداخل الطرد أكثر من أي وقت آخر...

أغلقت الباب خلفي متأملا **هيئة الصندوق في توجس ، كان سميكاً أشبه بعلبة مستطيلة أو**...كتاب

كان كتابا بالفعل ذو غلاف أنيق مكتوب عليه (**شخابيط**)...

فتحت الكتاب لأجد في الصفحة الأولي إهداء غامض مكتوب بخط أنيق أو يحاول أن يبدو كذلك...

____

إلي رفيق الوحدة و الألم...

أهديك كتابي الجديد و دعوة متواضعة لحضور حفل إفتتاح الجمعية ، ستفهم كل شئ حين نلتقي...

بانتظارك

أحمد سامي

بالطبع كان أول سؤال خطر بذهني حينها هو : من أحمد **سامي هذا ؟**

هكذا تجاهلت هذا التساؤل مؤقتاً حتي رأيت تلك البطاقة السوداء بين صفحات الكتاب ، بطاقة صماء أنيقة للغاية لم يكتب عليها سوي عبارة واحدة بخط بارز...

(**الجمعية السكولوجية لدراسة و علاج الأمراض النفسية** المستوطنة)

هكذا دون عنوان أو رقم تليفون أو أي شئ يمكن للمرء فهمه و كأن من واجبي أن (**أشم علي ضهر إيدي**) **كي أفهم ، إن من أرسل تلك الدعوة لهو شخص يحاول أن يبدو غامضاً**...

لكن هذا هو أغرب ما قرأته يوما ، إن من أبسط قواعد علم النفس أنه لا يوجد مرض نفسي مستوطن فمعظم الأمراض **النفسية قابلة للعلاج إما عاجلا أو آجلا ، دعك من أن إسم الجمعية وحده أغرب و أغرب ، و لكن منذ متي كانت الغرابة شيئا مريبا في عصر كهذا ؟ إن الخروج عن المألوف صار كالعدوي ينتشر في كل مجال حتي صارت التقليدية ذاتها شيئا** نادرا ، **غريبا و شاذا ، و ممقوتا أحيانا**...

(4)

كان اليوم التالي هادئاً للغاية دون أية مفاجئات ، و قدرت أنني سأرتاح قليلا من مذكرات طارق حتي أنتهي من قضية جلال علي الأقل و ينتهي التوتر الذي أعيشه في الوقت الراهن...

لكن الوغد كان مصرا علي إزعاجي بقراءة مذكراته **اللعين** ، **خاصة و أنه يعلم كم أنني فضولية و لن أتمكن من تجاهل قراءة مذكراته لسبب لا أدريه أنا نفسي ، أنا بالفعل لا أدرك الكثير عن** نفسي ولا أظن أحداً كذلك...

هكذا بينما كنت أعمل في الشركة بهدوء جائتني منه رسالة نصية علي غير العادة...

عزيزتي سمر ، لم أستطع الإ**قلاع عن إزعاجكِ بمذكراتي ليوم** واحد...**إلي آخر هذا الهراء ، لذا أرسلت لكِ بعضا مما كتبته بنفسي أمس في منزلي ، ولسوف نستمر علي هذا المنوال** لفترة من الزمن حتي ترحل صديقتك المشعة...

آه و بالمناسبة...**لسوف أتقاضي أجر ما أكتبه هذا أيضاً ولا تسأليني لماذا**...

الوغد دائما

طارق

بالطبع كانت رسالة كهذه كفيلة بإثارة إنزعاجي و فضولي في ذات الوقت ، و لسبب ما لا أدريه ، أخرجت الكمبيوتر من

حقيبتي و وضعته علي مكتبي و بدأت أتظاهر بالإنهماك في العمل...

****

بعد تسلمي لطرد أحمد سامي استغرقت حوالي ساعة أنقب **فيها بذاكرتي عن شخص يحمل هذا الإسم ، بالرغم من أن عدد معارفي لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، هكذا خطر ببالي أن أتصل بدار النشر التي نشرت هذا الكتاب لأحصل منهم علي بيانات الكاتب ، بالطبع كان جزء مني يدعوني لتجاهل الأمر برمته ، بينما جزءاً أخر فضولياً كان يركل جزئي المتجاهل في** مؤخرته قائلا : **فلتصمت قليلا أيها الأحمق ، هناك أمر هام بشأن هذا الكاتب**...

-**دار الزهور للنشر ؟**

-**تحت أمرك سيدي**.

-**هناك كاتب اسمه** (أحمد سامي) قام بنشر كتاب من خلالكم مؤخراً.

-**نعم سيدي**.

-**هل بإمكاني الحصول علي أي من بياناته ؟ أعني رقم هاتف ،** عنوان مكتب ، أي شئ للتواصل.

-**في الواقع هذا غير مسموح و لكن بإمكانك حضور حفل التوقيع في التاسعة مساء في فرع الدار بالدقي.**

-إممم..**لست حقا من هواة حضور حفلات التوقيع لذا أرجوا منك** أن...ألو ؟ ألو ؟

هكذا أرتديت ملابسي استعدادا للخروج وتناولت قرصا من دوائي عاقدا النية علي تصحيح بعض الأمور أولا...

(**فينوس**) من جديد...

إن من وضع هذا الإسم فوق بوابة المحل كان يعرف حقا ما يفعله ، و كأنك تدخل محارة فينوس ذاتها لتجدها مستلقية إما نائمة أو تمشط شعرها أو تنظف أذنيها بظفر إصبعها الصغير...

فقط يكمن الإختلاف هنا أنك ستجدها جالسة داخل مكتب زجاجي محاو**لة التظاهر بالإنهماك في العمل**...

-**طارق ، ما هذه المفاجأة السعيدة ؟**

-**مازلت تذكرينني ، هذا جيد**.

-أنا لا أنسي الوجوه السمحة أبدا ، ما أخبارك إذن ؟

-**ليست جيدة تماما لكنها كذلك ليست سيئة**.

فجأة دخل المكتب طفلان ولد و بنت في حجم الفئران تقريبا **أحدهما أعرفه جيدا**...

-لم أكن أعلم أن لأوديت أخت أيضا.

-**ريمون و إيفون ، إنهما توأم**.

للمرة الثالثة أري نظرة الذعر المرتسمة في عيونهم الواسعة ، يضحكون و يبكون و لكن في النهاية يبقي الذعر هو سيد التعابير ، هذا تعبير ثابت للوجه في العائلة كلها لا أدري ممن ورثوه تحديدا لكنه **تعبير أنثوي للغاية لا أظنه يورث إلا من أنثي ، إن تاريخ الأم مع أوديت ليجعل هذا الإحتمال أكثر رجحانا**...

هكذا داعبت بيدي رأس الفتاة كما يفعلون مع أي كلب (كانيش) و قلت...

-ريمون ، إسم جميل لفتاة أجمل.

هنا قالت مدام موريان في تردد...

-آ...**إيفون هو إسم الفتاة.**

قلت مبتسما في بلاهة بينما يدي شاردة تعبث في رأس الفتاة...

-آه آسف ، هذا يعني أن الولد أسمه ريمون و الفتاة اسمها إيفون ، و أوديت اسمها أوديت طبعا ، هذا..إحم...يمنح الأمور معني ، بالمناسبة أين أوديت ؟

-في البيوتي سنتر ؟

-عفوا ؟

نظرت لي في نفاذ صبر بدا لي ساحراً و قالت...

-مركز تجميلي ، في نهاية الشارع المقابل للمحل.

هززت رأسي متظاهراً بالفهم ثم هممت بالمغادرة قبل أن تلحقني بكلماتها قائلة...

-بالمناسبة ، شكرا علي الباقة ، إن لك ذوق جيد في الورود.

هززت رأسي ثانية دون تعبير واضح ثم خرجت من مكتبها ملتقطاً أنفاسي بصعوبة كالعادة ، لم أجرب المخدرات من قبل لكن الجلوس مع تلك المرأة حتما يشبه جرعة زائدة من **المخدرات ، هذا أقرب تشبيه خطر ببالي...**

كما تري بالطبع كان لابد لي من الذهاب الي المكان المقصود حتي افهم ما كنهه تحديدا...

هكذا ما أن وجدته شرعت في البحث عن اوديت في كل الأدوار وسط نظرات أنثوية لست ادري أهي نظرات اشمئزاز ام احتقار ام تقزز ، و حين وجدتها كانت جالسة تحرق شعرها تحت احدي تلك (الحلل) التي تجلس تحتها السيدات لتقرأ في مجلة ما بينما يتم سلق رأسها جيدا...

توكلت علي الله و جلست بجانبها متخذا احدي تلك الحلل فوق رأسي و قلت دون أن أنظر لها...

-إمرأة طيبة هي أليس كذلك ؟

نظرت نحوي في إستفهام فقلت موضحا...

-مدام موريان.

أعادت بصرها نحو المجلة قائلة في سعادة...

-أحيانا أشعر أن الرب عوضني بأم أفضل من الأولي.

بدا لي كلامها قاسيا لكني لم أعلق...

نظرت نحوي قائلة و كأنما قرأت أفكاري...

-ربما تظنني قاسية حتي أقول شيئا كهذا ، لكن الحقيقة لابد و حتما أن تكون مُرة ، لقد كانت أمي قطة شرسة لم تعلمني شيئا سوي الخوف من كل شئ و أي شئ.

كنت محقا إذن في ظنوني عن الخوف الموروث...

-هذا طبعا مقارنة بمدام موريان التي جعلت منكِ كما أري قطة منزلية مدللة.

هنا أغلقت المجلة و ابتسمت قائلة في شرود...

-زوجة أبي علمتني كيف أستمتع بحياتي بلا خوف ، صحيح أن أبي تزوجها منذ بضعة شهور فحسب لكنها حين علمت بأمري أصرت علي إخراجي من المصحة و إعادتي للحياة بأسلوبها ، كانت تؤمن أن المصحة لن تفعل شيئا سوي زيادة حالتي سوءاً.

مططت شفتي قائلا...

-أعترف أن لديها بعد نظر في هذا الصدد.

هنا ابتسمت ابتسامة خفيفة و قالت...

-الآن أشعر أنني أكثر ثقة من ذي قبل ، أعرف كيف أجعل نفسي جميلة ، أعرف كيف أتحدث بلباقة ، أشعر أنني أخري.

هنا خطر ببالي سؤال ما لم أستطع التراجع عنه...

-و ماذا عن الموسيقي ؟

قطبت جبينها لثانية ثم ادركت ما اتحدث عنه سريعاً و قالت...

-تلك الموسيقي كانت أمي تحبها للغاية ، بل و كانت تنام عليها أيضا ، و حين كانت تريد الدكتورة التزام أن تنتزع مني الكلمات كانت تقوم بتشغيلها لتجعلني أشعر بالأمان و أتحدث بحرية نوعاً ما ، الحقيقة أنني مازلت أسمعها لأشعر بالدفء.

هرشت رأسي قائلاً...

-إن مشاعركِ تجاه المرحومة متضاربة إلي حد ما.

-لا ليست كذلك ، و لكنني أنتقي من ذكرياتي معها أجمل ما فيها.

نظرت لها في تأمل شاعراً نحوها بمزيج من الشفقة و الإعجاب ، لقد مرت أوديت بأسوأ مما مررت **به تقريبا و لكنها عادت أقوي من ذي قبل و مازالت قادرة علي ترتيب أفكارها**...

-هل تعلمين اجمل ما بتلك الموسيقي ؟

قالت دون أن تنظر لي...

-نعم ، البارد يحتضن الدافئ.

-لكن البارد لن يمنح الدافئ حياة أبداً.

هنا نظرت لي نظرة لم أفهمها حتي اليوم قائلة...

-أعلم ، الأ**مر يتعلق بالثقة ، بالإيمان ، باليقين ، أن تؤمن بأنك حتي لو بقيت عارياً في مهب الريح ، فإن الريح نفسها** ستدفئك.

هكذا التزمنا الصمت لثوان ننظر فيها لبعضنا ، ثم بعد لحظات بدا لنا **المشهد غريبا و نحن نتحدث في مثل هذه الأمور تحت تلك الأشياء الضخمة ، خاصة أن تلك** الحلة جعلتنا أشبه بكائنات **فضائي**ة ذات رؤوس **ضخمة ، و قد كان هذا كفيلا بسحق كل عواطفي المحتملة تجاهها ، هن يأتون هنا كي يخرجوا من هنا جميلات و لا يحق لك مقاطعتهم في طور الغسيل و الشطف ، و** ربما العصر كذلك...

بعد دقائق استأذنتني أوديت و ذهبت لمكان آخر داخل ذلك المكان المريب ، هكذا قمت بجولة ما داخل المكان و قد كونت

إستنتاجاً أن بهذا المكان يوجد كل شئ يهم النساء تقريبا ، فلن أندهش كثيراً لو وجدت قسماً لضبط الزوايا و الإتزان...

كنت اعتقد ان هذه الأماكن موجودة بالأفلام فقط ولا وجود لها ولا لمرتاديها ، هل يوجد من يمكن ان يدفع نصف مرتبه الشهري في مكان كهذا ؟

خطر لي أنني لو كنت أنثي ما كنت لأدفع قرشاً واحداً مقابل بعض المحارة و الصنفرة...

جلست في الإستقبال أطالع إحدي تلك المجلات المليئة بوصفات البشرة و الشعر و خلافه م**تظاهرا بالإهتمام فقط** لتفادي نظرات الموظفة الشمطاء...

إممم قناع الملكة نفرتيتي لجمال الوجه و نضارته ، فلابد أن الملكة كانت تملك من الوقت ما تضيعه في صنع أقنعة البشرة...

هل كتبت هذا الهراء علي اوراق البردي الوقورة ؟

بعد حولي ربع ساعة لمحت أوديت قادمة من نهاية الردهة ، أفعي بكامل زينتها تسحر أنظار الحمقي أمثالي...

هكذا ما أن توقفت أمامي حتي وقفت ناظرا نحوها في بلاهة ، و حين لاحظت نظراتي تلك قالت...

-ماذا ؟

ظللت أبحث لثوان عن كلمات تصلح للرد عليها فقلت...

-**أنا أحترم المعاناة حقا ، إنها تمنح صاحبها شيئا من** ال...**الحكمة الجنونية أو الجنون الحكيم ، لا أدري لكنها تضيف**

شيئا مميزا لأسلوب تفكيره و تصرفاته ، ولا أبالغ لو قلت ملامحه أيضا.

ابتسمت قائلة في شك...

-ما الذي تريده مني الآن يا طارق ؟

-لا أعلم ، حقا لا أعلم.

-**هل تريد مني تركك و شأنك ؟**

-لا أعلم.

-**هل تريد أن نصبح** أصدقاء ؟

-لا أعلم ، لا يمكنني اتخاذ موقف.

اتسعت ابتسامتها و قالت...

-**لكنني أعلم ، تريد أن تكون برفقتي فحسب ، ولا يهم لماذا ولا** بأي صفة.

هززت رأسي قائلا بذات الشرود...

-**شئ كهذا**.

مدت يدها في مرح و قالت...

-**إذن دعنا نبدأ كالجميع ، دعنا نبدأ كأصدقاء ، و اترك ا**لأقدار تقرر **ما ستؤول إليه علاقتنا**.

كالمسحور مددت يدي مصافحا إياها ، لسبب ما لا أدريه أنا مجبر في كل هذا ، لكنني أريد الخوض فيه...

ببساطة أنا أريدها ولا أريدها...

* * * *

في الثالثة مساء قابلت طارق في مقهي بينوس...

-**أليس بإمكانك الإتصال بي حين تكون هنا ؟**

-لا **أري دافعا لخسارة رصيدي طالما أنكِ ستدركين وجودي هنا**.

-**لا ، هذه المرة لم آئت من أجلك**.

-حقا ؟ إذن من أجل من ؟

قلت بينما أشير لنادلة المقهي...

-**ذهبت للمنزل لأرتاح بعد يوم طويل متعب ، لأكتشف أنني نسيت وجود سالي**.

قال في برود بينما يرشف قهوته...

-**اها ، هذا أيضا ميكانزم آخر تتراجع فيه الذكريات المؤلمة نحو** اللا شعور.

تجاهلته محاولة ألا أفقد أعصابي و قلت...

-**صارت تدخن بشراهة و صار الدخان لا يفارق شفتي و كأنني** أسكن في (غرزة) ، **لقد اكتسبت اللعينة بعض العادات الأمريكية المقيتة حتي صرت لن أندهش كثيرا لو طلبت مني** أن نشرب (كاس) سويا.

قال مفكرا...

-**نحن لن نشعر بقيمة الوحدة حتي نمر بتلك المواقف السوداء ، أنا أحقد عليكِ يا سمر**.

مرت لحظات من الصمت قبل أن يلفت انتباهي علي الطاولة هاتف أسود من ذلك النوع ذو السمك الرفيع للغاية ، هكذا أمسكته دون استئذان لأتفحصه قائلة...

-**مبروك الها**تف الجديد ، لقد تحسن ذوقك مؤخراً.

-**هذا ليس هاتفي**.

قلت في غباء...

-**هاتف من إذن ؟**

-**أحمد سامي ، لقد ذهب للحمام منذ خمس دقائق قبل قدومك ولا أدري لماذا تأخر هكذا**.

أحمد سامي !! **أين سمعت هذا الإسم ؟؟**

****

قال أحمد سامي :

لا أنكر أن هناك نشوة في أن تكون كاتبا ، يقرأ الناس آرائك **الخاصة في الحياة و يعجبون بها ، هذا يمنحك بعض الغرور الداخلي و الكثير من الثقة و الاعتداد بالنفس ، و إن كنت في الواقع لا أري فرقا كبيرا بين الغرور و الثقة بالنفس**...

و قد كنت أشعر بتلك النشوة في حفل توقيع كتابي الأول ، خاصة و أنني كنت قد خرجت لتوي من المصحة و كنت تواقاً **لنشر هذا الكتاب الذي قضيت أغلب أوقاتي في المصحة** أكتبه...

لكن نشوتي زالت نوعاً ما حين رأيت طارق قادما نحوي ، كان من الواضح أنه لا يتذكرني من الأساس و قد جاء الحفل ليعرف من هو أحمد سامي ذلك الأحمق الذي حاول يائساً أن يتظاهر بالغموض ، هكذا بالطبع كان وجوده في الحفل كرسالة مفادها (لا تحاول أن تبدو غامضاً خاصة حين تنوي أن تصبح كاتباً)...

-الآن أذكرك.

قلت بفظاظة...

-**هذا شئ يسعدني حقا و لكني لم أدعوك لهذا الحفل**.

-**عندما خرجت من المصحة كنت مذعورا مثلك هكذا من أي شخص يعرف حقيقة مرضي** السابق ، لكنني الآن صرت أفضل.

قلت بينما أوقع نسخة لأحدهم...

-**أفترض الآن أنك تريد معرفة كل شئ عن الجمعية السيكولوجية**.

-**علي الأقل عنوان و موعد ، لا تثر فضولي بشأن شئ غير** موجود.

-أنا لم أفعل ، بالعكس لقد كنت مصراً علي أن أكون غامضا بصدد ذلك الأمر خاصة مع شخص مثلك يصعب إثارة فضوله نحو شئ ما.

-إذن كنت تعلم أنني سأسعي خلفك.

قلت مبتسماً في هدوء بدا لي أنا نفسي مستفزاً...

-**لو لم أكن غامضاً لما اجتذبت انتباهك**.

سادت لحظات من الصمت ظل فيها طارق يطرق الطاولة بأصابعه كدلالة علي كتمانه لغضبه...

هكذا أخرجت من جيبي بطاقة سوداء و كتبت علي ظهرها شئ ما قائلاً...

-**لن نتحدث هنا فشرح الأمر يطول ، قابلني الليلة التاسعة** مساء في معرضي.

هكذا أخذ البطاقة متسائلا بداخله عن سر ولعي بالبطاقات السوداء ، ثم نظر لي في اشمئزاز و غادر في صمت...

حينها أدركت حقاً كم لا يحب هذا الفتي أن يكون مقروئاً...

****

كان من الواضح أن طارق مستمتع بالاستماع إلي أحمد سامي **، بل مستمتع بكونهم أصدقاء ، إن أحمد سامي هو الوحيد الذي** استطاع بمعجزة ما أن ينال احترام طارق بالكامل...

طبعا من تحصيل القول أن أقول أنني كنت الشريرة الوحيدة في هذه الجلسة التي تكره ملاكا كأحمد سامي ، و ربما **الوحيدة في العالم كله**...

لكن الأمر يتعلق بفكرة الوسطية التي لطالما اتبعتها ، إن المبالغون في الطيبة لا أرتاح لهم ربما أكثر من المبالغون في الشر ، إن الناس يخطئون و هذا عهدي بهم...

قال طارق لأحمد سامي...

-**لكنني لا أفهم كيف تتمكن من قراءة** شخص لم تتبادل معه سوي بضع كلمات ؟

-ربما ليس الأمر بهذا العمق يا طارق ، لقد سألت الدكتورة التزام عنك قبل مغادرتي للمصحة و قد أفادتني بشأنك كثيرا ، و قد كانت محقة.

هنا حشرت نفسي بينهما قائلة...

-لكنني أتسائل يا أستاذ أحمد ما الذي غير موقفك هكذا فجأة حتي توافق علي نشر أسرار مرضك في كتابنا هذا ؟

حانت منه نظرة نحو طارق ثم قال مبتسما في ثقة...

-إن الحقيقة التي يدركها كل مريض نفسي بعد فترة من علاجه ، أنه واجه خبرة متميزة للغاية لا تستحق أن يخجل منها لهذه الدرجة ، بل إنه يشعر بالتميز مع مرور الوقت ، صدقيني يا آنسة سمر إن المرض النفسي يترك داخل المرء ما يشبه ندوب **المحاربين**.

نظر نحو ساعته ثم صافحنا قائلاً...

-و الآن أستأذنكم فلدي موعد هام ، أنا واثق أن لدي طارق المزيد من التفاصيل المثيرة بشأن الجمعية ليسردها لكِ.

هكذا استدار مغادراً قبل أن يتوقف للحظة باحثا عن شئ ما بجيوبه و قال لنا...

-إن كان لديكم وقت فسأسعد كثيراً بحضوركم لمعرضي هذه الليلة ، سيكون هناك معروضات جديدة اتعشم ان تنال إعجابكم.

المزيد من البطاقات السوداء ، هذا الرجل لم يكن يمزح حين قال أن لديه ولع بالبطاقات السوداء...

(معرض النحات أحمد سامي) ، **كم شئ يجيد فعله هذا الرجل** ؟!

****

قال طارق :

حين تحاول التخصص في مجال ما تكتشف فعلياً كم أن حرية التعبير هراء مبتدع...

أنت لا تري في الموناليزا أي نوع من الإبداع ، بل و تجدها قبيحة ذات ابتسامة مستفزة ، لكنك ستجد أيضا رقماً فلكياً ممن سيخبرونك بمدي غبائك و قلة خبرتك الفنية...

بل إنني علي يقين تام بأنه لولا بعض الحمقي ممن يسيل لعابهم امام تمثال اثري صغير و يشهقون انبهاراً بمعبد أثري متهدم لكان ابو الهول الآن قطعا من الدقشوم المستخدم لرصف طريق اسكندرية الصحراوي...

لقد استمدت الآثار المصرية قيمتها من إنبهار الأجانب بها ، و هذا يندرج ضمن جملة الحقائق التي علي علينا الإعتراف بها لأنفسنا علي الأقل ، لكننا لن نفعل أبداً...

دار كل هذا بخاطري أمام إحدي اللوحات في معرض أحمد سامي ، كانت واحدة من تلك اللوحات التي حتماً تتحدث عن صراع الإنسان في العصر البازلتي ، و كل اللوحات عموماً- لسبب لا أدريه- تتحدث عن صراع الإنسان في عصر ما...

بعد دقائق شعرت به يقف بجانبي متأملا لوحته قائلا...

-**أراهن أنك تسخر بداخلك من هذا الهراء**.

-نعم ، و لكني لن أخبرك بذلك كي لا أجرح مشاعرك.

تجاهل سخريتي قائلا...

-هل تريد الحقيقة ؟ لقد رسمت هذه اللوحة في لحظة شرود لا أكثر ، بالضبط كما تقوم أنت ببعض الشخبطة أثناء شرودك في صفحات ملزمة المراجعة النهائية.

-ألهذا أسميتها شخابيط ؟

-بل ولو دققت النظر أكثر لاكتشفت أنها جزء من تصميم كتابي الأخير.

فكرت قليلا ثم نظرت نحوه قائلا...

-إذن هكذا هو الأمر ؟ الكتاب كله مجرد أفكار راودتك في لحظات شرودك ؟

قال و قد أدرك أنه أثار فضولي ...

-في لحظات الشرود تنفرط أفكارك كحبات عقد انقطع خيطه ، لا سيطرة علي خواطرك و كأن عقلك في تلك اللحظات يعمل منفردا بلا شخص يجلس خلف عجلة القيادة ، و لهذا السبب أسميت الكتاب بنفس إسم اللوحة ، فكلاهما ببساطة قائم علي أساس واحد.

هززت رأسي في غير اقتناع و قلت...

-بماذا كنت مريضا بالضبط يا أستاذ أحمد ؟

قال و قد أدرك أنني لن أهدأ مالم أعرف سره الذي يخفيه...

-هل جربت مرة أن تفقد هويتك ؟

-تقصد بطاقة الهوية ؟

-**لا لا ، أقصد هويتك كشخصية منفردة ، كنظام سيكولوجي** منفرد.

عقدت حاجباي في غير فهم فقال...

-**هل جربت أن تستيقظ يوما لتجد أنك لا تذكر من أنت ؟**

هنا ضغطت علي اسناني قائلا في غيظ...

-كان بإمكانك إخباري ببساطة أنك فاقد للذاكرة.

-**ليس تحديدا ، أنا** أذكر كل شئ ، و لكنني ذات يوم وجدت **نفسي قد تغيرت ، تغيرت كثيرا**.

-**كيف هذا ؟**

-صرت فجأة لا أعرف أي لون أفضل ، لا أعرف أي نوع طعام **أفضل ، لا أعرف ماذا أكره و ماذا أحب ، حتي اتجاهاتي السياسية لم أعد متأكدا منها و لم أعد أشعر بذات الحماس لتشجيع فريق الأهلي**.

هرشت ذقني و قلت متجها نحو إحدي اللوحات في نهاية الرواق...

-**تقصد أن شخصيتك زالت**.

قال متحركا معي نحو اللوحة...

-بالضبط.

-**هكذا فجأة ؟**

قال في حماس من وجد من يهتم بمشكلته...

-نعم ، أعني أن هناك ما حدث لأصبح هكذا لكنني لا أذكر التفاصيل ، أعلم أن هناك ما حدث لكن حين أحاول التذكر تبدو الذكري مشوشة للغاية و كأنها حلم راودني ذات ليلة و استيقظت ناسيا إياه تماما.

قلت بينما أتأمل اللوحة عن قرب أكثر حتي كدت ألصق أنفي بها...

-نعم ثلاثة أرباع أحلامي تكون بهذا الشكل بل و من النادر أن أستيقظ يوما متذكرا أحلامي.

قال و قد لاحظ اهتمامي الزائد باللوحة...

-علي كل كان هذا هو مرضي و مأساتي التي ما زلت أعاني منها حتي الآن ، لقد شوش تفكيري تماما حتي سأمتني زوجتي و طردتني شركة الطيران.

أشرت نحو اللوحة قائلا...

-أين رسمت هذه اللوحة ؟

-في المصحة ، فتاة كانت تجلس دائما في الحديقة علي بعد خطوات مني.

كنت أعرف الملامح جيدا ، هذه أوديت ولا شك لكنها لم تكن يوما بهذه السعادة لدرجة أن تغمز بعينها في مرح هكذا...

-أعرف هذه الفتاة ، لكنها لم تكن مبتسمة يوما هكذا.

-أعلم ، و لكني لم أرسم يوما لوحة حقيقية ، أنا أنتقي اللحظات الحزينة و أغير الواقع بداخل لوحاتي.

-تقصد أنك رسمتها تغمز بعينها فقط لأنك رأيتها هكذا أجمل ؟

-أجمل و أسعد ، أردت رؤيتها سعيدة.

وضعت يداي في جيبي معطفي قائلاً...

-بخصوص سعادتها فلا تقلق بشأن هذا ، إن لي مع تلك الفتاة قصة مثيرة سأحكيها لك فيما بعد ، ما أريد معرفته الآن يتعلق بتلك الجم**عية.**

قطب جبينه قائلا في غباء...

-أي جمعية ؟

كنت أعلم أنه سينسي ، كان يتظاهر بالتمنع عن ذكر مرضه و الآن أنساه حماس التحدث عن مرضه كل شئ ، إن المرء لا يقاوم لذة الشكوي...

****

-هل تعلم ؟ لفت إنتباهي فعلا في اسلوب سرد أحمد سامي أنه يهتم بأفكار الطرف الآخر و نظرته نحوه أكثر من أي تفصيل آخر ، لقد كان يروي تفاصيل لقائكما في حفل التوقيع من زاويتك أنت أكثر من اهتمامه بذكر آراءه الخاصة ، أي كاتب هذا الذي لا يهتم بوضع بصمته الفكرية ؟

قال دون أن ينظر نحوي...

-أحمد سامي رجل موضوعي للغاية ، لا يملك تحيزات مسبقة نحو أي شئ **في أي شئ ، لا أنكر أن مرضه الغريب هذا جعل منه شيئا مميزا للغاية.**

-ألهذا السبب اخترت صداقته ؟

نظر نحوي قائلا...

-الصداقة ظاهرة اجتماعية بحتة لا إرادة لنا فيها ، بل هي شئ تلقائي للغاية.

-نعم لكن أعني أنك حتما وجدت بينكما اهتمامات مشتركة أو شئ من هذا القبيل.

-نعم هذا صحيح ، إن أكثر الإهتمامات التي نشترك فيها سوية هي أننا لا نهتم بأي شئ ، ولو احترق العالم بأكمله فلن يعنينا الأمر كثيرا.

هززت رأسي قائلة...

-إذن هل ستذهب للمعرض الليلة ؟

-لا أري ما يمنعني من الذهاب.

تأملت البطاقة السوداء مفكرة ثم قلت...

-إذن خذني معك.

و قلت في سري : قضاء أخف من قضاء...

****

كان المعرض يحوي من المنحوتات ما يثير شهية أي مهووس بهذا الفن ، لكن في نهاية إحدي ردهات المعرض كان هناك شئ كفيل بجذب الإنتباه عن المعرض بأكمله...

-تواليت في معرض للمنحوتات ؟

أخذ طارق نفسا عميقا ثم قال متجها نحو هذا الشئ...

-من الواضح أن رأس أحمد سامي امتلأت بما فيه الكفاية من هراء الفن الحديث.

هكذا توجهنا نحوه و ما أن توقفنا أمامه حتي تطلع كل منا داخله في اشمئزاز لنجد أنه فارغ ، فقط كان منحوتا في قاعه **ما يشبه العين البشرية ، و التي ما أن نظرنا نحوها حتي انطلق منها** فلاش أصابنا بالعمي لثوان قبل أن نسمع صوت أحمد سامي من خلفنا قائلا في ثقة...

-**هذه إحدي القطع التي افتخر بها**.

قال طارق محاولا الاحتفاظ بأعصابه...

-**و عن أي عصر يتحدث هذا الصراع تحديدا ؟**

قال مبتسماً...

-**لا توجد صراعات هاهنا ، هذا التركيب ببساطة يجسد أحط و** أس**وأ الرغبات البشرية في نظرة الإنسان لعورة أخيه الإنسان**.

رفع طارق حاجبيه ناظرا نحوي و كأنما يتفحص تعابير وجهي أولا بعد سماع هذا الهراء ، ثم نظر نحو أحمد سامي قائلا في برود...

-**و بالنسبة لذلك الفلاش هل هو جزء من رمزية النحت ؟**

-**لا بل هي كاميرا حقيقية مزودة بجهاز استشعار لالتقاط تعابير** وجه الزوار.

-**هذا رائع إذن فحتما لن تري سوي تعابير الاشمئزاز علي وجوه الزائرين و حينها ستقول في سرك أنك عبقري لأنك نجحت في توصيل فكرتك بهذه الدقة و هذا العمق**.

-**بالضبط ، الآن أنت تفهمني**.

هكذا استأذننا بعد ثوان ليذهب نحو جماعة أخري من منكوشي الشعر غير المستحمين بينما قال طارق متأملا إياه من بعيد...

-حان الوقت لقطع علاقتي بهذا الرجل ، لقد صار ملوثا بهراء البشر و ألعن.

****

قال طارق متأملاً في إحدي المنحوتات العجيبة:

في اليوم التالي استلمت عملي بجمعية تنمية المجتمع ، و قد لاحظت أن العمل بالجمعية نهارا شبه خامل تماما ، إذ أن النادي و العيادات و أغلب مكاتب الجمعية لا تفتح أبوابها إلا ليلا ، و كانت هذه بداية سعيدة بالنسبة لي كوني سأعمل نهارا في هدوء تام لا يقطعه إلا بضع استدعاءات من الإدارة كل ساعتين او ثلاث لتسليمي بعض المستندات كي أقوم بحوسبتها ، مع بعض المزاح السخيف من الأستاذ شريف...

لا أتصور كيف كان أبي يتحمل رفقة رجل كهذا...

هكذا قضيت حوالي شهرين مستغرقا في عملي بالجمعية ، في الواقع كنت مستغرقا في وحدتي بهذا العمل و ليس بالعمل ذاته ، أنا أشتهي الوحدة حيث أجدها و قد كان هذا العمل بالنسبة لي مجالا خصباً لاستعادة حياتي الإنعزالية السابقة ، لدرجة أنني بدأت أنسي كوني طالبا بجامعة...

بالطبع نسيت كل شئ عن الجمعية التي دعاني لها أحمد سامي و نسيت أحمد سامي ذاته ، تخللت تلك الفترة بعض المكالمات من الجميع علي غرار (لماذا لا يراك أحد ؟) ، ثم استسلم الجميع بمرور الوقت و صارت المكالمات شبه منعدمة...

لكن مرحي ، لقد جائت إمتحانات الترم الأول ، جاء وقت الخوف **الجماعي ، حين يصبح الجميع أصدقاء فجأة دون سبب واضح**...

هكذا حين لمحتني داليا قالت...

-**مازلت حياً إذن**.

-أظن ذلك.

-**إذن ، كيف بليت في الإمتحان ؟**

-**أمقت هذا** السؤال.

ظلت صامتة قليلا ثم ابتسمت بعدما تأكدت من أنني مازلت كما أنا...

-مرحبا بك مجددا يا طارق.

-**أين البقية ؟**

-**خرجوا من لجانهم قبلي و ذهبوا لحلوان ، سنلحق بهم**.

-و لماذا ؟

-من الواضح أنك بحاجة لإعادة برمجة من جديد كي تتذكر أنك طالب في جامعة.

-**لا أفهم لماذا أذهب لحلوان إن طريقي مختلف**.

قالت في نفاذ صبر...

-**مكتبة دهب ، ملزمة المراجعة للمادة القادمة ، ثم نجلس قليلا** علي (**بعزق كافيه**).

-نجلس علي من ؟!!

-آه صحيح أنت لم تعاصر ذلك المقهي ، فاتتك أجمل أيام في الجامعة أيها المغفل.

-أكون مغفل حقا حين أجلس في مقهي بهذا الإسم.

-أنت لم تره بعد ، هذا أفضل مقهي في حلوان و إسمه هذا ليس لشئ إلا جذب الإنتباه.

-رائع.

لا أدري إلي أين تصل المحلات في أنماط لفت انتباه زبائنها ، إن الأمر فاق الحدود و قد يمتد لما هو أبعد ، فلن أتعجب لو وجدت مستشفي (أم مرزوق) للولادة مستقبلاً...

هكذا وجدت نفسي مجبراً علي الذهاب معها ولا أدري لماذا ، ربما أردت ترك انطباع جيد في نفوس الجميع قبل انتهاء هذا الترم ، **إن للصداقة متطلباتها و إن ضريبتها لغالية ، تحتاج منك إرسال و استقبال ، و أنا طيلة حياتي كنت ألعب دور المستقبل** فقط ، و لطالما كانت علاقاتي ذات اتجاه واحد فقط ، الأمر الذي **جعل الجميع يأخذ عني فكرة** (التناكة) و الغرور ، فقط أنا مقتنع **بأن العواطف تجعلني غير مستقر نفسيا و لذلك لا استطيع-** غالبا-**مبادلة الأخرين المشاعر ايا كان نوعها ، لقد وجدت الراحة عندما أخليت مسؤليتي من الإرتباطات ، أخليت مسؤليتي من** كوني **انسان واع لتصرفاته ، أخليتها من الصداقات ، أخليتها من الإرتباط بأنثي ، إن راحتي وجدتها في الإلتزام بعدم الإلتزام** بشئ......

كان المقهي فاخراً بحق رغم إسمه المريب ، كان بشوي موجوداً ، أوديت موجودة ، شخص ما ثالث لا أعرفه أيضا موجود...

-طارق هذا أحمد خطيبي ، أحمد هذا طارق أحد زملائي.

صافحته بحرارة مشفقاً عليه من مستقبل مظلم برفقة داليا...

-أهلا و سهلا منور و الله.

-إنه نورك.

كان صوت فيروز يملأ المكان قادماً من لا مكان ، و خطر ببالي أن منسق هذا المكان هو شخص يفهم حقا...

لم أكن وقتها معتاداً علي الجلوس بالمقاهي خاصة الفاخرة منها ، و ربما كانت هذه أول مرة أجلس فيها بمقهي في حياتي ، لهذا كنت متوتراً إلي حد ما أتصبب عرقا من وجهي و يداي ، إن يداي تتعرق بوجه عام تحت أي ظرف ، لكن تعرق وجهي و احمرار اذناي هما مؤشر واضح علي التوتر ، ناهيك عن نظرات أوديت التي لم تنقطع منذ جئت و في الواقع لا ألومها ، لقد وعدتها يوما أن نكون أصدقاء ثم اختفيت بعدها و هي كما تري ليست بالبداية الجيدة ، و لكن منذ متي كنت مشهورا بوفائي بالوعود ؟ إنني غير قادر علي الإحتفاظ بدجاجة ناهيك عن الإحتفاظ بصديق...

لاحظ بشوي الهدوء الذي خيم علي المكان حين جئت فقال متصنعاً الحماس...

-حسنا أخبروني ماذا ستشربون ؟

فيما بعد تعجبت حين أدركت أن المكان ليس به نادل بل هو من نوع (إخدم نفسك بنفسك) أو Help your self ، و هذا أراحني إلي حد ما فأنا أكره ذلك المخلوق الذي يقف بدفتره مترقباً لأي حركة بالمكان...

بمناسبة الحديث عن الراحة ألا يوجد حمام هنا ؟

-خذني معك يا بشوي سأذهب للحمام.

كنت موقنا أن أوديت ظنت أنني أحاول جاهداً الهروب من نظراتها ، حمقاء لا تعلم أنني محصور بالفعل...

بالفعل كان هناك حمام فاخر ذو صابون سائل و مجفف هوائي ، تلك الأشياء التي استغرقت دهرا حتي تعلمت كيفية استخدامها...

هكذا بعدما لبيت نداء الطبيعة عدت إلي بشوي الذي كان عائدا و في يده مشروب أخضر تسبح فيه أسماك صغيرة...أسماك ؟؟ ثم ما لبث أن ألقاه في وجهي...

و قبل أن أفهم شيئاً اكتشفت أنني من الأساس لم أتحرك من مكاني منذ جئت ، لكن الجميع متجمع حولي و كأنني فتاة أنقذها شاب وسيم من الغرق لتوه ، ملابسي مبتلة و علي وجوه الجميع نظرات قلق ممزوجة بالغباء ، لقد كنت أهلوس و من الواضح أنهم حاولوا إفاقتي بالماء و بعطور نفاذة من التي أمقت رائحتها...

فقط أوديت هي الوحيدة التي امتزج قلقها بترقب ، هي تعرف أنني كنت أهلوس ، تعرف كل شئ ، تعرف ربما أكثر مما أعرفه أنا عن نفسي...

لكن الكارثة الكبري بعيداً عن كل هذا تكمن في ذلك البلل الدافئ بسروالي ، الهلاوس لا تعترف بالزمان ولا المكان الفعلي لتلبية نداءات الطبيعة المزعجة ، و من الواضح أنني لن أتحرك من مكاني حتي يجف البنطال...

* * * *

-**ألا تري أنك قفزت سريعاً للغاية هذه المرة ؟ إن شهرين بأكملهم لم**....

قاطعني بينما يتفحص شئ ما باهتمام قائلا...

-لحظة واحدة.

كان يراقب أحمد سامي من خلف إحدي القطع ، بينما كان أحمد سامي في الجانب الآخر يشرح شيئا ما للزائرين الملتفين حوله...

هكذا قال طارق بينما هو مستمر بالمراقبة...

-**ما زلت لا أفهم هذا الرجل ، هل يخيل لي أنه مستمتع بما** يفعله حقا ؟

-و ما المشكلة في ذلك ؟

نظر نحوي قائلا في تعجب...

-**ما المشكلة ؟ هل حقا لا تدركين ما المشكلة ؟**

هززت رأسي نافية في تردد فنظر نحو الأرض في إحباط ، ثم فجأة دفع القطعة **المنحوتة بيده متعمداً لتسقط علي الأرض متفتتة ، و لأجد عيون الجميع توجهت نحونا في ذعر**...

لم أستطع الكلام ، لم أجد حتي الوقت لأسأل طارق عن سبب **ما فعله ، لم يكن طارق يوما عصبيا حتي يقدم علي فعل متهور كهذا ، إنه البرود يمشي علي قدمين ، أكاد أجزم علي أنه** افتعل **العصبية معي ليجد سببا مقنعا لكسر تلك القطعة ، إن** طارق لديه خطة ما حتما ، لابد و أن يكون لديه واحدة و إلا **سيكون موقفنا حرجاً للغاية**...

هكذا ظهر أحمد سامي بذات الإبتسامة فقط ليقول في هدوء...

-خيراً حدث ايها السادة إنه صديقي ، الصداقة لا تقدر بكنوز الدنيا كما تعلمون.

هكذا ببساطة و كأنه هشم طقم أكواب مستورد ، لا تبدو حتي علي وجهه أدني علامات الضيق و هذا بالطبع جعل طارق يزداد حنقاً و يغادر المكان في صمت...

إن هناك حربا نفسية تدور بين هذين المخبولين و أنا لا أفهم منها شيئاً علي الإطلاق...

(5)

في الأيام التالية ساءت أحوال البلاد للغاية و بدأ الناس يفقدون حماسهم نحو الثورة ، أو علي الأصح بدأوا يفقدون ثقتهم بالجيش ، هذه هي المرة الأولي التي يوضع فيها الجيش بموقف كهذا لذا كانت قراراته في ذلك الوقت شبه متخبطة ، الجيش يطالب الشعب بالعودة لأعمالهم و الشعب يطالب **الجيش بمحاكمة رموز النظام أولاً و قبل أي شئ ، هكذا بدأ أبريل بزلزال خفيف لا يكاد أن يشعر به أحد لكنه كان عنواناً لشهر مشحون ، و منذ آخر مرة في معرض أحمد سامي لم أر** طارق و لم أكن في مزاج يسمح لي برؤيته علي أية حال ، **حتي تساؤلاتي الفضولية نحوه** انطفأت و خبت ربما مؤقتاً علي **الأقل ، و كل هذا** التوتر طبعاً لأن جلسة جلال **اليوم ، اليوم** الموعود الأحد 3 أبريل...

كنت جالسة في قاعة المحكمة و كأنني للمرة الأولي أمارس **مهنتي ، كنت خائفة و أرتجف لكنني كنت أقنع نفسي بأنني آهلة لذلك ، و أقول بداخلي أن كل هذا التوتر سينتهي بمجرد إنتهاء القضية...**

وبعد قليل حضر جلال و جلس بجانبي بينما كنت أرتب أوراقي...

-**هل كل شئ تمام ؟**

-أظن ذلك.

-لا يوجد (أظن ذلك) **لابد أن نفوز بالقضية لقد اخترتك لهذا.**

نظرت نحوه في صمت ثم قلت...

-سنفوز بإذن □ .

مرت بضع لحظات كأنها الدهر ظلت فيها عبارته يتردد صداها برأسي ، و صرت خائفة بشكل جدي ، ما الذي دفعني **للموافقة علي فعل هذا ؟**!

بعد دقائق وجدته ينظر للمقاعد الموازية لنا قائلا...

-**هاهي قد جائت اللعينة و معها**....

قلت و أنا لم أرفع عيني عن الأوراق...

-**و معها من ؟ زوجها الجديد ؟**

-لا ، أسوا من **ذلك بكثير**.

و حين رفعت عيني لأنظر نحوهما فقدت القدرة علي التفكير ، و النطق ، و الحركة ، و أي شئ...

****

و في المساء التقيت طارق من جديد ، في بينوس كافيه...

-**أمي تتحداني يا طارق ، ذهبت في صف الخصوم**.

-**لا تظلمينها ربما كانت مثلك لا تعرف من هو دفاع زوج الموكلة** ، ثم إنه لا يوجد محام يعرض خدماته علي الناس لابد أن الزوجة **هي من ذهبت مصادفة لها ، خاصة و أنها**-لاتؤاخذينني-معروفة **بمهارتها في الفوز بذلك النوع من القضايا**.

-**لقد طلبت تأجيل الجلسة علي كل حال ، صحيح أنني بدوت حمقاء أمام الجميع لكنني تخليت عن هذه القضية تماما**.

-و جلال ؟

-كان متفهماً للأمر رغم انزعاجه.

مط شفتيه في غير اقتناع قائلاً...

-حسناً ، أظننا انتهينا من هذا الأمر الآن.

-نعم ، أشعر أنني تخلصت من هم كبير للغاية ، أريد أن أحتفل.

-ما أخبار سالي بالمناسبة ؟

-تخلصت من الجبس بالأمس.

-رائع.

قلت في شرود...

-نعم رائع.

****

قال طارق :

مرة أخري بين النوم و اليقظة ، و ضوء النهار يتسلل من زجاج النافذة ، لا يوجد شباشب تعترض هذه المرة...

لكن هناك من يتكلم ، هناك من يتناقش معي و أناقشه ، لا أعلم من ولا يهمني أن أعرف في اللحظة الحالية ، هناك موسيقي تتردد ، من فيلم مصري قديم ، مألوفة هي لكني لا أدري من أين تأتي ، عيناي مفتوحتان و وعيي صاف لدرجة مخيفة ، لا أري سوي أرجل الأريكة المواجهة للسرير لكنها لا تتكلم ، يمكنها أن تتكلم لكنها صامتة تشاهد فقط دائما و لهذا فإن لها رهبة خاصة ، نظراتها أبلغ من ألف كلمة ، إن الخف كان

ثرثارا **يوما ما و لكنه اليوم لا يجد مايعترض عليه ، دعك من أنني** لم أخلعه داخل حجرتي قبل النوم لكنه موجود ، رغم كل شئ **هو موجود ، الأن تبدأ الأغنية ، الأن تذكرت ذلك اللحن ، جمالات** كفتة...

(**وجع قلبي ، و أحبه و أموت ، و روح قلبي مشعلقة فيه**) و علي الرغم من ذلك مازال النقاش دائراً لا يتأثر بحشرجة **صوتها الرائع**...

(ضربني الحلو بالشلوتى ، في راس قلبي و قال إخي ، إخي إخي إخي)

و كأن النقاش يدور منفردا بمكان آخر بعيدا عن الأغنية ، و لكنني موجود بالمكانين ، أدرك هذا و ذاك بمنتهي الوضوح و الشفافية ، إن الأغنية لها رهبة هاهنا...

(بنااااام للصبح و بشخر)

و لها طابع يختلف...

(**عشان في النوم أشوف طيفه مفيش فايدة**)

انها أعظم ما أنجزته البشرية...

(قالتلي امه اتبخر)

من تحدث عن هيفاء وهبي هاهنا ؟

(**بعين عفريت ماسك سيفه و نار قايدة**)

إن جمالات كفتة لتفوق نساء الأرض جمالا...

(**بشبشبله مابيفكر و** غلبي يطول)

لا أفهم فيم أتناقش بالضبط و لكنني أبدو مهتما و أدافع كمن له حق يطالب به...

(و بكتبله بقلم باركر يرد يقول ، إخي إخي إخي إخي)

أو كمن يحاول إثبات وجهة نظر...

(**ياعيني ، إخي**)

و لكن محاوري انسان بارد يرد في غير اكتراث محاولا أن يبتعد عن الموضوع لأبدو كالمغفل...

(ياروحي ، إخي)

كيف يجرؤ أن يكلمني بهذا الأسلوب علي سريري و في غرفتي...

(**ياسيدي ، إخي**)

سأنهي النقاش و أريه لمن الكلمة هاهنا...

(وجع قلبي)

****

لم أجد رداً يليق ، فقط ظللت ناظرة نحوه في صمت مما دفعه لتوضيح الأمر...
-عم فتحي النجار أسفل نافذة حجرتي ، **إتضح لي حينها أنه يسمع بعض الأغاني الغريبة ، إنها أذواق كما تعلمين**.

-**هل تريد مني كتابة هذا الكلام الفارغ ؟**

-وما المشكلة ؟ إنها ظاهرة تحدث للكثيرين بين النوم و اليقظة ، لا أظن القراء سيجدون صعوبة في....

-إسمع يا طارق ، لن أكتب سوي ما ينتمي لمرضك ، أما هذه تخاريف لا ترقي حتي لمرتبة الهلاوس.

كنا في هذه الأثناء جالسين في غرفة الحكايات بينما سالي نائمة في غرفتي...

هكذا حك طارق ذقنه قائلا...

-إذن تريدين هلاوس فقط.

-نعم.

****

مرت الأيام الأولي من أجازة نصف السنة في هدوء ، داخل مكتبي الرائع ذو مروحة السقف التي قد تبدو للبعض مزعجة **لكن لإزعاجها إيقاع ثابت يساعدني علي التركيز...**

صرت أقضي أكثر أوقاتي بهذا المكتب حتي بدأ الأستاذ شريف يشعر بالقلق و نصحني بأخذ أجازة لفترة لكنني اخبرته أن كل **شئ بخير...**

صرت أتمني أحيانا لو يحيطني ظلام دامس سرمدي فلا أعرف شرق من غرب ولا أسفل **من فوق ، إنها إحدي أكثر أمنياتي غرابة و أشدها رغبة لي بها ، و هي تلخص ببساطة رغبتي** في الإنمحاء من الوجود ، أعرف أنني عدت مريضاً و ربما أسوأ **مما سبق ، للأسف أعرف هذا جيداً...**

بالطبع زادني الإنعزال مرضاً ، إن الإنعزال و الوحدة عمود **أساسي و رابط مشترك بين أغلب الأمراض النفسية ، و حيثما**

يوجد إنعزال توجد هلاوس ، و كأن وعيك يتعطش إلي أي نشاط اجتماعي فيقوم بصنعه في خيالك بدلاً من الواقع...

بعد بضعة أيام من انتهاء الإمتحانات استيقظت ذات مرة لأري كتب الجامعة و الملازم مازالت علي مكتب حجرتي ، فوضي الدراسة لم أتخلص منها بعد ، هذا شئ محبط ، هكذا ذهبت لأصنع لنفسي بعض القهوة عازماً علي التخلص من تلك الفوضي ، و بينما أنا في المطبخ قمت بتشغيل التلفاز-نعم قمت بنقل التلفاز للمطبخ-لأجد أحد المذيعين يتشاجر معي دونما سبب واضح ، هذا روتين صباحي اعتدته علي كل حال ، أمس كان أحد المذيعين يلقي نشرة الصباح ممسكاً بالصاجات راقصاً في سعادة ، لقد اكتسب المذيعين عادات سيئة مؤخراً...

هكذا أنهيت قهوتي و ذهبت لغرفتي كي أنظف تلك الفوضي ، و بينما أكنت أفعل ذلك صادفني ذلك الكتاب ، كتاب أحمد سامي الذي قد أرسله لي منذ حوالي شهرين ، لم أكن يوماً من هواة القراءة لذا لم أهتم يوما بقراءة حرف منه ، لكن فكرة أن هذا الكتاب كان موجوداً لدي كل هذا الوقت و لم أعره اهتماماً جعلتني أفتحه ، علي الأصح (أفر صفحاته) من باب الإطلاع ، و وقعت عيني علي فقرة ما...

(إن أغلبية الناس لا تحتاج الي خطيب الجمعة كي تعرف الجائز و الغير جائز ، لا تحتاجه كي تعرف ما لها و ماعليها ، لكننا لن ننكر الطاقة النفسية للخطبة التي تشحن المصلين بالإيمان و توطد ثقتهم بالإسلام ، و لولا هذا لقال الخطيب : الحلال بين و الحرام بين..إذن أقيموا الصلاة)

أعترف بأن كلماته أعجبتني ، هو إذن يحاول التأكيد علي أهمية الجانب الروحي في الدين أكثر من الجانب العقلي ، هذه مفردات أدركها من خلال دراستي و لكنه تناولها من الجانب العقائدي و بشكل أدبي أكثر جاذبية ، و إنني لأتسائل كيف كان

هذا الرجل مريضاً ، يبدو لي منظم الأفكار يدرك جيداً ما يقول و يفعل...

مررت بيدي بضعة صفحات أخري حتي وقعت من بين الصفحات تلك البطاقة السوداء ، بطاقة الجمعية السيكولوجية ، حينها فقط شعرت بحاجتي لتلك البطاقة ، جهة أخري لا تحمل لفظ (مصحة) **في بدايتها ، هذا أكثر وقاراً ، هكذا بحثت عن هاتفي** لأتصل بالأستاذ شريف ، إن الوقت مازال باكراً لكنه مناسب **للتحدث مع شخص كهذا ، سيكون نائماً و لن يجد فرصة لإلقاء بعضاً من مزاحه السخيف**...

هكذا بعد دقائق جائني صوته ناعساً ، لم أطل معه في الحديث و طلبت منه آخر ما كان يتوقعه مني...

-**هل يمكنني أخذ أجازة لفترة ؟ ربما يومان أو ثلاث لا أعلم**.

-أرجوك أن تفعل.

هكذا وجدت نفسي بعد بضع ساعات في مترو حلوان العزيز ، كان الوقت عصرا و الحرارة بحلوان قاتلة ، حتي أنني لم اتعجل **الذهاب لأوديت طلبا لها أكثر من طلبي لبرودة المكيف المنعش في محلها ، و علي كل حال فإن رؤية مدام موريان وحدها جعلت المكيف عديم القيمة**...

-**مساء الخير**.

-طارق ، مفاجأة سارة.

-**لا أعلم لماذا لا أسمع هذا الكلام سوي منكِ يا مدام موريان ؟**

-**هل تقول أنني منافقة ؟**

-لا و لكن ، حين يراني الجميع بعد غياب لا يذكرني سوي بأنني وغد إنعزالي يمقت الآخرين و يتعالي عليهم.

-و هل أنت هكذا فعلاً ؟

نظرت لها في صمت لثوان ثم قلت...

-لا **أعلم ، أنا لا أعرف عن ذاتي الكثير.**

-إذن اطمئن ، كل مافي الأمر أننا لم نرك منذ فترة ، ربما اشتقنا **لملامح وجهك قليلاً.**

لا أدري لماذا أراها الآن سخيفة أو متصنعة للأنوثة ؟ لقد تكون لدي منذ زمن ارتباط شرطي بين الجمال و السخافة ، حتي صرت أشعر أنهم يعوضون سخافتهم بجمال زائد يلهيك عن أسلوبهم السمج...

-إذن ، أين أوديت ؟

-في النادي ، اجلس قليلا لترتاح.

و كأن الجلوس معها يمت للراحة بصلة...

-هل ستتأخر ؟

-لا أظنها ستتأخر ، قل لي ، ما أخبارك ؟

سؤال كلاسيكي للغاية لا يليق بجمالها للأسف ، لماذا ليست ذكية ؟ لماذا لا تمتلك أسلوباً يليق بهذه الروعة ؟
-بخير ، إلي حد ما.

قالت بينما تكتب شئ ما في دفاتر الحسابات...

-هل مازلت تري هلاوس ؟

هنا رفعت رأسي نحوها مندهشاً ، ربما توقعت أن تشي أوديت بأسراري و لكن ليس لمدام موريان ، هذا غير منطقي ، حين تريد الوشاية بلص فأنت تذهب لقسم الشرطة و ليس للمطافئ لو كنت تفهم قصدي...

لكنها سرعان ما أدركت دهشتي قائلة في ذكاء يليق بها هذه المرة...

-**ماذا ؟ هل تظن أوديت تخفي عني شيئا ؟**

-**لا ، فقط لم أتوقع منها إخبارك بشئ كهذا**.

-**نعم كنت تتوقع منها إخبار داليا أو بشوي أو أي من هؤلاء الذين تخشي علمهم بهذا**.

هززت رأسي في تردد فقالت...

-طارق أنا أعلم كل شئ ، لذا لا تتردد أبداً في مصارحتي بشئ **ما عن أوديت ، أنا الآن أقرب الناس إليها**.

-**هذا واضح**.

هكذا مرت بضع دقائق من الصمت لم استطع بعدها كتم تساؤلاتي أكثر من ذلك...

-**هل لي بسؤال صغير ؟**

-تفضل.

-**لماذا لا تحلقين ذقنك و شاربك ؟ لقد صارا ناميين للغاية**.

* * * *

-**هل قلت لها ذلك حقاً ؟**

-قلتِ أنكِ تريدين هلاوس.

-نعم لكني لم أتصور أبداً أن تصل الأمور إلي هذا الحد ، لابد أنها صفعتك علي وجهك.

-في الواقع كان يجدر بها فعل ذلك ، لكنها لم تفعل.

-ربما لأنها تعرف أنك مريض.

-لا ، بل لأن أوديت جائت و أنقذتني.

****

-ذقن و شارب ، امممم.

كانت أوديت في ذلك الوقت تحاول التحدث بهدوء لكنها في ذات الوقت كانت مستعدة للإنفجار بوجهي في أية لحظة...

كنا في هذه الأثناء نتحدث في وسط المحل بينما مدام موريان تراقبنا من خلف مكتبها الزجاجي بنظرة صامتة لا أدري أهي نظرة عتاب أم احتقار أم توعد ، لماذا لا تقبل النساء الكلام المباشر الصريح ؟!

-أوديت أعلم أنني أخطأت و قد اعتذرت لها ، ليس بيدي فعل شئ آخر.

-لماذا جئت علي أية حال ؟

-كنت أريد الإعتذار لكِ أيضاً.

-أنت تقدم الكثير من التنازلات اليوم ، هل أنت متأكد أنك لست مريضاً ؟

أخرجت البطاقة السوداء قائلا لها...

-**أنا مريض ، لذا سأذهب للعلاج**.

أمسكت البطاقة لتتفحصها قائلة...

-**طارق هذا ليس بعلاج لابد أن تذهب للدكتورة التزام ، هي تعرف حالتك أكثر من غيرك**.

-**لا ، لن أذهب للمصحة ثانية ، لا أضمن ما الذي قد يحدث ثانية هناك**.

رفعت **عيناها نحوي قائلة**...

-ماذا تقصد ؟

-**أعذريني لقولي هذا ، لكن الدكتورة التزام هي طبيبة غير** مسئولة بالمرة.

لم ترد ، فقط ظلت صامتة لبضع ثوان ظلت خلالها تتأمل الشارع بالخارج ثم قالت دون أن تنظر لي...

-**طارق لماذا أنت مصر علي إفساد كل شئ جميل بيننا ؟**

-أنا فقط لا أريد خداعك يا أوديت ، أنا لا أذكر أي شئ مما كان **بيننا كي أفسده من الأساس**.

-لكننا إتفقنا علي أن نكون أصدقاء.

-**أنا لا أصلح ، لا أصلح لأكون صديق أو غيره ، لا أصلح لأي شئ**.

رفعت يدي محيياً لمدام موريان من خلف الزجاج ثم غادرت قائلاً...

-أنا آسف يا أوديت.

****

-**كان هذا مؤثراً**.

-**لا أريد أية تعليقات سخيفة و خاصة علي هذا الجزء من المذكرات ، مفهوم ؟**

-**صدقاً لا أمزح ، كان هذا مؤثراً فعلاً**.

نظر لي في تشكك ثم قال...

-**شكراً ، يكفي هذا لليوم**.

قمت بحفظ المستند ثم أغلقت اللاب توب قائلة دون مقدمات...

-لدي نظريةٍ ما بشأن ما فعلته بمعرض أحمد سامي .

قام من مقعده لينظر من النافذة قائلاً...

-**لماذا لست مندهشاً ؟**

تجاهلت سخريته مستطردة...

-لسبب ما أنت تضغط علي علاقتك بأحمد سامي كي تري رد **فعله ، تحاول استفزازه بطرق قاسية**.

قال دون أن ينظر لي ...

-**لا أفهم لماذا يجب أن يكون هناك أسباب لكل** ما نفعله ؟

-لا شئ يحدث دونما سبب.

-**نعم و لكن ليس شرطاً أن تكون كل أسبابي بهذا العمق**.

-طارق.

هنا التفت نحوي في نفاذ صبر مدركاً أنني لن أهدأ حتي أفهم كل شئ...

-**فعلت هذا لأنني أردت أن أري ما سيحدث فحسب ، مجرد** رغبة عابرة راودتني.

-**تهشم تمثالاً قيماً كهذا من أ**جل رغبة عابرة ؟

-**أخبرتكِ أن الأمر ليس بهذا العمق ، إن لي الحق في بعض التفاهة**.

-لكنك غادرت المكان غاضباً.

-**هذا لأن النتائج جائت عكس توقعاتي**.

-و ماذا كانت توقعاتك ؟

هرش ذقنه قائلاً...

-**أنا لا أريد التحدث بهذا الموضوع حقا**.

احمر وجهي خجلاً و قلت في إحراج...

-كما تريد.

(6)

لم تعد سالي كما كانت ، صارت صامتة و كأنها تخفي شيئاً ، أو كأنها علمت شيئاً ، لكنني لا أملك ما أخفيه كي تعلمه...

أو ربما أملك...

كان اليوم هو الجمعة ، لذا كنت مضطرة لقضاء اليوم معها بالمنزل ، أمام التلفاز ، في صمت غير معتاد يحرق الأعصاب ، **المشكلة أنك حين تعتاد الإزعاج من شخص ما يصبح صمته بعد ذلك أكثر إزعاجاً ، ثقيلاً علي روحك و أنفاسك ، رغم أن صمته كان أمنيتك الأولي و الأخيرة فيما سبق**...

هكذا أشعلت سيجارتها الثالثة ثم ألقت القداحة علي الطاولة بطريقة تشي باقتراب نفاذ صبر**ها ، و عادت تنظر للتلفاز بعينين زائغتين قائلة دون أن تنظر نحوي**...

-ما قصة ذلك الفتي ؟

لم أحاول التهرب من سؤالها ، كنت أدرك جيداً أبعاده و أسبابه ، بل و كنت في انتظاره...

-**كما تعلمين ، كان يعمل سائق لدي**.....

هنا قاطعتني ضاغطة علي كلماتها...

-**سمر أعرف جيداً** أنه سائقكِ الخاص ، أنا أتسائل عن سر تلك **الصداقة القوية بينكما ؟ أشعر أن هذا المراهق صار أقرب لكِ** مني.

قلت مترددة...

-**سالي الأمر ليس كما تظنين**.

-حقاً ؟ أخبريني ماهي حقيقة الأمر إذن.

لم أرد ، ليس خجلاً و إنما لأنني لم أجد رداً لنفسي علي الأقل ، ماهي حقيقة الأمر فعلاً ؟

رغم أن طارق وغد عديم الإحساس إلا أنني أحب فكرة وجوده معي ، أجد ذاتي في تعارضنا الدائم ، الغريب أنك لا تدرك ذاتك بوضوح مالم تصادف من يختلف معك في صفات جمة ، الذين **يوافقونك لا يفعلون شيئاً سوي صقل تلك الصفات دون حتي أن تدرك ما طبيعتها ، فقط أنت** تشعر براحة لوجود من لايلومك **علي طبيعتك هذه بل و يشجعك علي الإستمرار...**

-لا أعلم ، حقاً لا أعلم يا سالي ، لو كنت أريد التهرب من إجابة سؤالك لقلت أن بيننا عمل روائي نقوم بكتابته الآن ، لكن الحقيقة أن وراء علاقة العمل هذه راحة أشعر بها ، راحة تكمن في رؤيتي ال**عالم معه بوضوح بالغ ، علي حقيقته ، دون أقنعة العواطف و الرومانسية البلهاء ، كأنني أري كل شئ دون** تشويش ، صورة HD غاية في النقاء ، و رغم بشاعة ما أراه **لكن هناك نشوة غريبة في رؤية تلك البشاعة وجها لوجه دون** غموض.

نفثت دخان سيجارتها قائلة...

-هل حقاً يمتلك ذلك الفتي المراهق كل هذا العمق ؟

-أنتِ لا تعرفينه جيداً يا سالي ، لا أحد يعرفه غيري.

ابتسمت في استخفاف قائلة...

-هذا سبب أدعي للشك فيه.

-ماذا تقصدين ؟

أطفئت سيجارتها ثم اعتدلت بجسدها نحوي و أمسكت يدي قائلة...

-**سمر ، حين كنا شابات كنتِ مرهفة الإحساس أكثر مني تحبين قصائد الشعر و أفلام الرومانسية**.

-و مازلت.

-**و هذه هي المصيبة الكبري**.

-**مصيبة لأنني أحب الرومانسية ؟ أنا كاتبة روائية و لابد أن**....

-**سمر الأمر ليس هكذا ، مازال بداخلك طفلة صغيرة ، ليس معني أنكِ علي مشارف الثلاثين أنكِ صرتي امرأة ناضجة**.

هنا فقط نظرت لها بتشكك قائلة...

-**سالي هل اتصلت أمي بكِ ؟**

-سمر لا دخل لأمكِ بالموضوع.

صرخت بوجهها قائلة...

-**أجيبيني**.

صمتت قليلاً ثم قالت...

-**أقسم لكِ أنه لا علاقة لأمكِ بهذا ، أنا أتحدث من باب أنني صديقتكِ الوحيدة**.

-**إذن اطمئني يا سالي ، ربما مازال بداخلي طفلة حية لكنها ليست ساذجة لهذه الدرجة**.

لم ترد ، فقط أخرجت سيجارة جديدة تشعلها و عدنا نتظاهر بمشاهدة التلفاز...

****

قال طارق:

كانت بنود العقد واضحة...

لم يكن عقداً بالمعني الحرفي بل كان إخلاء مسئولية قبل أي شئ ، ذكرني ذلك إلي حد كبير ببرامج الحاسوب التي لا يمكنك تنصيبها قبل الموافقة علي بنود الإستخدام ، فالجمعية ذات أهداف علمية في المقام الأول قبل أن تكون أهدافا علاجية...

إذن الأمر بسيط للغاية ، مقابل علاجك نجري عليك بعض الدراسات النفسية التي يقتضي بعضها موافقتك و البعض الآخر لا يصلح أخذ موافقتك إزاؤها لسبب بسيط هو أنه لابد ألا تعلم أنك تحت الفحص و إلا إختلفت ردود افعالك المطلوبة... **أدهشني الأمر ، إذن فهذا هو الهدف المنشود من الجمعية**... **لطالما كنت اقول أن التجارب مهما بدت مقننة و مضبوطة إلا أنها لا يمكن أن تعطيك ذات رد الفعل الناتج في بيئة المفحوص الطبيعية ، إن معرفتك أنك تحت الفحص وحدها تجعلك قد** تجعلك متحمساً للأمر ، و الحماس الزائد يفسد كل شئ ، ربما تصبح أعصابك مشدودة نوعا ما أو متربصا أغلب الوقت ، لقد **كانت الإعتبارات الأخلاقية لإجراء التجارب تثير غيظي أحيانا عند قرائتها في كتب الجامعة ، خاصة فيما يتعلق بضرورة معرفة** المفحوص **بطبيعة التجربة أو الدراسة المجراة عليه ، ببساطة لست أري مايمنع إجراء دراسة علي شخص ما و تسجيل**

النتائج داخل إطار حياته الطبيعية دون أخذ موافقته ، طالما أن هذا لن يمسسه بضرر و طالما أنه سوف يعلم بنهاية الأمر أنه كان تحت الفحص...

لدرجة ما يشبه هذا برامج الكاميرا الخفية السخيفة ، لكنه هنا في خدمة العلم ، و علي كل حال فقد قرأت عن دراسات كثيرة تمت دون علم المفحوصين بهدفها الأصلي لأنه ببساطة لو تم معرفة السبب لما كانت للتجربة فائدة ، فلا يمكنك مثلا إجراء **دراسة عن الخوف الجماعي بعلم المفحوصين**...

كانت البنود في صفحت**ين و لكن لا يمكنني سرد ما يمكن تلخيصه في جملتين ، بالطبع كانت هناك تعليقات سخيفة من بعض المرضي المتقدمين مثل** (عقد ؟ ظننت أنني قادم للعلاج **و ليس لإيجار شقة) ، و يكون هذا بالطبع مصحوباً بضحكة** سمجة...

لكن الموظفة الحسناء ابتسمت له ابتسامة باهتة تعني (إمضي يا **حيلتها انا مش فاضيالك)**...

و أما (**حيلتها**) **هذا فكان شاب حديث التخرج ، أو هكذا كان يبدو عليه ، و من الواضح أنه لم يبدأ رحلة البحث عن عمل بعد أو أنه وجد عملاً بمعجزة ما حتي يستطيع الاحتفاظ بهذه الابتسامة المستفزة علي شفتيه**...

كانت جلستنا تشبه جلسات المتقدمين لوظيفة مرموقة تقتضي حضور (**الإنترفيو**) **الخاص بالقبول ، إلا أن الفارق هنا** كان أفضل ما في الأمر...

(إذا كنت موافقا علي بنود البرنامج العلاجي من فضلك املأ **بيانات الاستمارة و احتفظ بها قبل دخولك للمقابلة ، عدا ذلك يرجي تسليم الاستمارة لموظفة الاستقبال و نحن تحت** أمر

سيادتكم بأي وقت في حالة التفكير بالأمر من زاوية أخري ، يرجي العلم أنه لا نقاش في بنود العقد بأي صورة كانت ولا توجد إستثناءات)

هكذا توقعت علي الفور وجود رافضين للأمر ، إذ أن هناك من المتشككين و المرتابين في هذا العالم ما يكفي لملء قارة **استراليا ، ولا لوم عليهم فهناك من النصابين و سارقوا الأعضاء و المهووسون بالعلم ما يملأ الأرض كلها...**

لذا يمكنك ببساطة ملاحظة هذه السيدة المسنة المتصابية ، تلك التي تشبه الكثيرات من السائحات المنبهرات بأي معبد أو تمثال أثري ، و أحيانا قد تكون جارتك إذا كنت من قاطني الأحياء الراقية...

كنت راهنت نفسي أنها لن تقبل ببنود العقد لأنها لا تشتري علبة عصير من السوبر ماركت قبل أن تنظر لتاريخ الصلاحية و السعرات و تتشمم العبوة قليلاً ثم تضعها في سلتها في تردد ، ربما أخرجت سماعة طبية كذلك لتسمع ما إذا كان بداخلها عفريت ام لا ، مثل هذه السيدة ببساطة يصعب علاجها ، لأنه لا أحد يعالج من طبيعته ، بل إن علاجها قد يقتضي سنوات من علاج الوساوس الهامشية و العقد النفسية التي تحيا بها كل ساعة بل و كل دقيقة...

-من فضلك يا آنسة لا أفهم هذا البند من العقد. و أما الآنسة المسكينة مديرة الإستقبال فكان من الواضح أنها لأول مرة تمارس مهنتها بمكان مريب كهذا ، علي حد علمي فهذه أول مؤسسة من نوعها بمصر ، و العمل بهذه المشاريع ذات الأفكار المستجدة لا يجعلك مرتاحا إزاء إنتمائك له... **أضف لذلك أن بنود العقد كانت أوضح من الشمس لكن هؤلاء القوم لم يروا بنوداً كهذه من قبل و هذا يجعلهم يظنون أنهم في خضم عملية نصب كبيرة ، خصوصا و أن الجمعية لم تطلب**

أية مبالغ إدارية و هذا ما يثير الشك و الريبة أكثر و أكثر... تسائلت في سري عن مصادر تمويل هذا الشئ ، لم أسمع من قبل عن رجل أعمال ذو إهتمامات بالطب النفسي ، ربما كانت منظمة ما كمنظمة اليونسكو لكن لا أعتقد هذا خاصة بمصر ، إن من أقام تلك الجمعية كان يعرف هدفه بالتحديد ، أشتم رائحة الثقة في هذا المكان ، هؤلاء القوم يعرفون ماذا يفعلون بحق...

****

لم أحب نظرة طارق لي هذه اللحظة...

أنا لست معتادة منه علي أن يكون مشفقاً علي أحد ، و آخر ما أحتاج إليه الآن هو الشفقة...

-هل تريدين مني مواجهتها ؟

-من فضلك يا طارق لا أريد مشاكل.

-هي التي بدأت لابد أن نتواجه نحن الثلاثة أمام بعضنا ، لابد أن تعرف أنها تتدخل فيما لا يعنيها.

-مازالت تعتبر نفسها صديقتي المقربة ، لا تعرف أن أشياء كثيرة تغيرت ، إنها معذورة.

-إذن لماذا تبكين الآن ؟

-لأنها محقة ، أنا بالفعل مازلت طفلة خائفة من كل شئ ، أنظر لحالي ، تهربت من قضية تافهة لمجرد أن أمي كانت أمامي ، مازلت أخشاها رغم كل شئ.

-تباً متي تغادر تلك اللعينة.

هنا ازداد بكائي أكثر ، لا لشئ إلا لأنني انتظرت من طارق نفياً لكلماتي من باب المواساة علي الأقل ، لكنه لم يفعل ، و هذا يؤكد نظرتي لذاتي أكثر فأكثر...

-**أنا ساذجة للغاية يا طارق ولا أعرف كيف أتخلص من ذلك**.

-**سمر لا تضخمي الأمر ، كونك إنسانة هو سبب كاف للغاية لكونك ساذجة ، و في الواقع فإن من يظن نفسه غير ساذج فهو أكبر ساذ**ج ، لأنه أحد يصل لقمة الجبل أبداً ، لا أحد يصل لقمة الإنتباه لكل شئ ، كلنا مخدوعون.

-أنت فقط تحاول مواساتي.

-**حين أتحدث عن ثوابت بشرية فأنا أتحدث بطبيعتي ، تعلمين هذا جيداً ، أنا لا أقاوم** (الفذلكة) **و التظاهر بالعلم**.

****

قال طارق:

كان الجميع يدخل و يخرج بلا تعبيرات واضحة... **هكذا لم يكن هناك غش ، فالكل يدخل و يمر بذات الخبرة دون سابق معرفة بها**...

-أستاذ طارق.

و هي من المرات النادرة التي أسمع فيها لقب استاذ قبل اسمي مما جعلني أقوم من مجلسي في وقار مصطنع... **و بالداخل كادت عيناي تخرج من محجريهما كما يحدث في** أفلام **الكارتون ، إذ أن أبسط قواعد الخصوصية للمريض لم تكن متوفرة في ذلك المكتب الأنيق**...

كان الأمر أشبه بلجان التحكيم الغنائية و المسرحية ، إلا أنهم يختلفون نوعا ما في درجة الجدية المرتسمة علي وجوههم... **جلست علي كرسي مواجه لمكتب يجلس خلفه رجل أشيب** الشعر لكنه **يبدو كأحد الدبلوماسيين الذين لا يعرفون المزاح ، و كان علي يمينه شابان بمعاطف بيضاء يمسك كل منهما بدفتر منهمكين في تسجيل شئ ما به ، و علي يساره سيدة تشبه دكاترة الجامعة ، و بجانبها أحمد سامي و الذي كان الوجه الوحيد المألوف في هذه الجلسة السوداء...**

-لا أدر**ي من منا سيتفحص الآخر ، هل ستظل تحملق بنا كثيراً هكذا ؟ أين استمارتك يا فتي ؟**

كان الرجل الأشيب ذو صوت جهوري من النوع الذي يصلح كمدرس لغة عربية أكثر مما هو عليه أياً كان...

هكذا أعطيته الإستمارة وسط ضحكات مكتومة من الشابين بجانبه...

-امممم ، تمام تمام ، حسنا **أخبرني ، هل قمت بإجراء أية عمليات سابقاً ؟**

-**عملية واحدة.**

-**و التي هي ؟**

لم أتحدث فرفع عينه عن الورقة قائلا...

-**ما العملية ؟**

قلت في لهجة اعتراض...

-**كان من الممكن أن تضعوا هذا السؤال بالإستمارة.**
-**أهاااا ، الآن أفهم.**

زادت ضحكات الشابين بحيث لم يعد من الممكن إخفائها ، نظرت لهما نظرة من لا يمزح فالتزما الصمت ، تحدثت السيدة الوقورة في لهجة رسمية كأنما تلومنا علي طفوليتنا في التعامل نحن الرجال ، و قالت بينما تدون شيئا في دفترها...
-طارق ، يوم الثلاثاء و الخميس في مجموعة الدكتورة هدي الساعة الرابعة.

-عصراً ؟

قطعت الورقة لتعطيني إياها مبتسمة ابتسامة (استسخاف) لما قلته...

سمعت بعض الهمسات خلفي فوجدت الأمة العربية بأكملها جالسة في هدوء لم أشعر به ، حوالي سبعة من الأطباء شباب و كهول كل منهم ينظر لي كدودة إنكلستوما تحت المجهر أو بكتريا عصوية فريدة من نوعها ، كيف عرفت أنهم أطباء ؟ لأنه لا يوجد ما يجعلني أظنهم شيئاً غير ذلك...

و أما الدكتورة (هدي) تلك فكانت نموذج آخر للمعيدة المسكينة التي تقضي يومها في محاضرات تتخللها تعليقات الشباب خفيف الظل ، بطريقة ما توصلت الي أن الجمعية اختارت نخبة من الخريجين و محترفي المهنة لتحقق المعادلة الصعبة ، لكنني لا أري أملاً في تأقلم الشباب مع الأطباء و الأخصائيين الكبار ، إن هذا المكتب رغم فخامته لكنه مشحون بطاقة نفسية سيئة و كئيبة نتيجة الخلاف الصامت بين خبرة كبار الأطباء النفسيين و بين بعض الشباب الخريجين...
-أهلاً بك في المجموعة يا طارق.

-شكراً يا دكتورة هدي.

في تلك الأثناء كان أحمد سامي يجلس متابعا ما يحدث في **استمتاع و كأنما يشاهد مسلسل كوميدي جديد ، نظرت له في استعطاف أن يتكلم معي ليجعل لي مكانا وسط كم الإهانات الصامتة التي تعرضت لها ، لكنه كان ينظر لي بنظرة صامتة تشوبها ابتسامة لست أدري أهي سخرية أم سعادة زائدة ، و** كأنه يعارض فكرة استخدامه كواسطة للتقرب من إدارة **الجمعية ، لكنني علي كل حال كنت مستعدا للتضحية بأي شئ مقابل إنهاء الكابوس الذي كنت فيه و مازالت ، فمن الأفضل أن يكونوا بارعين و إلا انتهي** امري...

****

توقفت عن الكتابة و قلت بينما (أطرقع) أصابعي...

-مدير العلاقات العامة ، إن من اختار هذا المنصب لأحمد سامي كان يعرف ما يفعله جيداً.

-نعم ، إن طريقته الرسمية في الحديث لجديرة بأسوأ خدمة عملاء لأسوأ شبكة محمول.

قطبت جبيني قائلة...

-تقصد أفضل خدمة عملاء لأفضل شبكة محمول.

-الشبكات الجيدة لا تحتاج لخدمة عملاء جيدة ، إن المبالغة في الرسمية أسلوب سمج يتقي به الموظفون غضب العملاء من سوء الخدمة ، و كلما ازدادت الخدمة سوءاً ازدادت الرسمية.

-لا أخفي عليك أندهاشي حين علمت أنه سيتزوج.

-ولا أنا ، إن الدكتورة هدي هي آخر من توقعت أن يتقدم لخطبتها.

-لا أتحدث عن الدكتورة هدي بل أتحدث عن الزواج ذاته ، و علي كل حال فأنت تعرف الدكتورة هدي أكثر مني ، في الواقع لا أعلم عنها سوي القليل ، لابد أنها تتمتع بطبيعة خاصة كي تتأقلم مع رجل كأحمد سامي.

-ستعرفين عنها ، ستعرفين الكثير في الصفحات القادمة.

****

في الأيام التالية تغيرت خططي ، و كانت خطتي الجديدة هي أنه لا توجد خطة ، فقط بعض الراحة من كل شئ ، راحة من الوجود ذاته ، فلم أتقدم خطوة أخري في العلاج حتي بدأ الفصل الثاني من الدراسة...

نعم بدأ الفصل الثاني و بدأ معه الإزعاج ، الغريب أن أسبوعان فقط يكفيان لتنسي ذلك المناخ الدراسي ، حتي لتشعر أنك قضيت خمسة أشهر بعيداً عن الجامعة ، بعيداً عن أصدقائك الذين تتذكرهم فجأة عند رؤيتهم ، لكنك لا تذكر متي ولا كيف تصادقتم...

مازالت الشمس كما هي عمودية علي حلوان في كل الأوقات ، و مازالت الإبتسامات غير المفهومة مرتسمة علي الوجوه ، لماذا يفرح هؤلاء حين يقابلون بعضهم بهذا الشكل المبالغ فيه ؟!

استعدت عملي مرة أخري في جمعية تنمية المجتمع ، عدت لمكتبي المكيف الهادئ في تلك الجمعية التي لا تمارس عملها بضمير ، ليس هناك ماهو أجمل من ذلك ، هذه وظيفة لا أنوي التخلي عنها بسهولة...

برغم كل شئ وضعت خطة جديدة في ذلك الفصل الدراسي ، خطة تتلخص ببساطة في ألا أجد وقتاً آخر للوحدة خارج وقت

العمل ، أن أشغل وقتي بأي شئ و كل شئ ، فقد بدأت في **الإعتقاد بضرورة شغل تفكيري بحياة حقيقية تطغي علي أية وساوس قد تراود ذهني**...

اتخذت قراري بتجديد ذلك الإشتراك القديم الذي لم أستخدمه **منذ سنوات سوي مرتين أو ثلاث ، إشتراك المكتبة**...

و أنا لست مثقفاً ولا من هواة القراءة ، لكنني لم أجد مكاناً آخر لإضاعة الوقت أقرب من هذا ، فقط كانت هناك مشكلة واحدة و هي الهدوء المبالغ فيه بهذا المكان ، دعك من أن فكرة التركيز بمكان يرمقك به الآ**خرون بكراهية غير مفهومة كلما تحركت قيد أنملة من مكانك هي حلم بعيد المنال ، إن الحواس تصير حادة بمكان مريب كهذا و من الصعب أن ينصب تركيزك علي الكتاب الذي بيدك إلا بمعجزة ما ، إن التركيز أحياناً يحتاج إلي الضوضاء ، إلي معرفة أن الجميع لديه ما يشغله عن مراقبتك**...

إما هذا و إما أنني مصاب بجنون الإضطهاد ، لا يوجد تفسير آخر...

و علي كل فلست أسعي للتركيز بقدر ما أسعي لإضاعة الوقت حتي تحين ساعتي و أموت ، فقط تمنحني بطاقة الإشتراك شعوراً بالإنتماء لهذا المكان فتدفعني دفعاً للذهاب إليه بين الحين و الآخر ، إنه أمر تحفيزي لو كنت تفهم قصدي...

أما عن الجامعة ، فقد عادت العلاقة بيني و بين أوديت لسابق عهدها ، ليس تناسياً من أحدنا لما حدث و لكن لأننا اكتشفنا فجأة أننا مجبرون علي الإحتفاظ بتلك الصورة أمام الجميع ، دعك من أن الشجار بين شاب و شابة له دلالات أخري غير اختلاف الآر**اء أو الإتجاهات ، له دلالات عاطفية أمقتها و أكره أن تنسب لي يوماً ، خاصة أن أوديت مسيحية و هذا ليس بالشئ المثالي لعلاقة عاطفية**...

لسبب كهذا كان الحل الوحيد هو أن يحتفظ كل منا بلسانه داخل فمه و غضبه داخله ، و لسبب كهذا فكرت بشكل جدي بالإعتذار لمدام موريان عما بدر مني بشأن ذقنها و شاربها ، طالما أنها تعرف كل شئ عن مرضي فمن الأفضل كسب ودها ولو ببعض النفاق ، إن هو إلا اعتذار بسيط مع باقة ورد رخيصة الثمن ، لحسن الحظ أن النساء تقدر مثل هذه الأفعال البسيطة...

هكذا قادتني قدماي ذات مساء لمحل الزهور الموجود بشارع السودان ، ذلك المحل الذي لم يخطر يوماً ببالي أنني سأشتري منه ولو حتي حزمة كرفس ، لكل شئ بداية علي كل حال ، أو للدقة فإن للضرورة أحكام...

هكذا طلبت من البائع الذي لا تتناسب تعابير وجهه إطلاقاً مع مهنته باقة ورد علي ذوقه الخاص ، ثم وقفت أتأمل قليلاً في النباتات المحيطة بالمحل ، في الواقع لم أكن أتأمل في الزهور ذاتها بل في مبدأ ارتباط الزهور بالعاطفة البشرية بوجه عام ، أنا لا أدفع شيئاً إلا بعد تفكير عميق علي كل حال...

في الواقع أنه لا توجد أي صلة بين الزهور و العاطفة البشرية ، إن البشر ليسوا سوي مخلوقات مزعجة تنسب لنفسها منذ الأزل كل شئ جميل ، تنسب لعاطفتها المرهفة ضوء الشموع و القمر و الزهور ، و كل شئ رائع...

الحقيقة أننا لسنا بهذا العمق ، نحن فقط نتعالي علي طبائعنا...

و في طريقي نحو حلوان ظللت أدعوا الله ألا أجد أوديت هناك ، فلتكن كعادتها في البيوتي سنتر أو في النادي أو فلتكن في الجحيم ذاته ، المهم ألا تكون بالمحل و إلا ستفسد كل شئ ،

إن نظراتها في الفترة الأخيرة كانت تنذر بغضب تكتمه ، ولو رأت تصرفي هذا ستدرك حتماً أن اعتذاري مصطنع مائة بالمائة...

هكذا حين اقتربت من المحل لمحت مدام موريان مغادرة إياه مسرعة نحو سيارتها ، و قلت في سري أن الأمر سيكون سخيفاً لو اعتذرت لها في الشارع هكذا لكنه سيكون أسرع علي كل حال...

هممت بالاقتراب منها بينما كانت تبحث في حقيبتها عن مفاتيح السيارة...

-مساء الخير.

نظرت لي في فزع كأنما لم تتوقع رؤيتي ثانية بعد ما حدث ، و كان هذا قبل أن أدرك أنها تبكي بغزارة...

-طارق ، كيف حالك ؟

-مدام موريان هل تبكين ؟

ضحكت من بين دموعها قائلة...

-لا شئ لا تهتم.

-هل تريدين مساعدة ما ؟

قالت بينما تنظر لباقة الورد بيدي...

-في الواقع نعم..آ..هل معك سجائر ؟

كالعادة تثبت لي الأقدار غبائي كل مرة أتقيد فيها بفكرة و عكسها ، و تفاجئني بسيناريو آخر تماما غير الذي حصرت تفكيري به...

لن تكون أوديت أكبر مشاكلي هذه الليلة...

* * * *

-يثير غيظي أنك تسرد تفاصيل صغيرة باستفاضة بينما تختصر الأشياء الحيوية في بضعة سطور.

-تلك التفاصيل الصغيرة هي بمثابة الوحدة البنائية للكل الكبير ، ثم إن الـ...

هنا قطع حديثه حين قامت سالي بفتح باب المكتب لتطل برأسها من فتحة صغيرة متصنعة الأدب...

-هل قاطعتكما ؟

فتحت فمي لأقول شيئا لكن طارق كان أسرع مني...

-بالعكس ، لقد كنت أسألها منذ قليل لماذا لا تشاركنا سالي جلساتنا ، هل أنت مستاءة مني في شئ ؟

-فقط لا أريد أن أكون متطفلة.

جحظ بعينيه قائلاً...

-هل تمزحين ؟ من منا المتطفل هنا ؟ إنكما صديقتان لم تريا بعضكما منذ سنوات و أنا أشعر أنني كالحاجز بينكما ، تعالي اجلسي معنا.

لم أكن أعلم ما الذي يدور برأس طارق تحديداً ، لكنني للأمانة **لم أكن مرتاحة لوجودها معنا ، إن رغبتها في التواجد معنا لحديثة ولا أظنها مجرد رغبة بريئة بل هي متصلة بحديثنا الأخير** معاً...

-و الآن أين توقفنا يا سمر ؟

-........................

- سمر.

-نعم.

-أين توقفنا ؟

****

كدت أنفجر من الغيظ...

لم أكن أريد إبداء قلة ذوقي في إطار مشروعي الفاشل **لتحسين صورتي ، بالرغم من رغبتي الملحة في المغادرة وجدت نفسي مضطراً للعب دور إجتماعي لا يليق بي البتة**...

و إن (**بعزق كافيه**) **لهو آخر مكان يصلح للمواساة ، لكنه علي الأقل يحتوي علي حمام للسيدات كي تغسل وجهها ، فأنا لا استطيع التفاهم مع شخص يبكي بلا انقطا**ع لأكتشف في **النهاية أسبابه التافهة**...

لم يكن يساورني الفضول بشأن بكائها قدر ما كان يساورني بموعد خلاصي من هذا العذاب ، كنت شبه موقنا أنها أسباب عائلية أو تخص علاقتها بزوجها ، لأسباب كهذه لا أحقق رغبة الطرف الآخر في سؤالي التلقائي المتوقع له و إلا أمطرني بم**شاكله مدمجا معها مشكلات أخري ربما لا يتذكرها إلا في وجودي ، لا أدري هل بملامحي البائسة ما يذكر الناس بسنوات التشرد و الألم أم لأنهم يدركون أنني معتوه آخر لا فائدة من** الكلام معه سوي إفراغ الشحنات المكبوتة ، دعك من أنني لا **أجيد مواساة طفلة و ليس لدي الصبر ولا** البال الرائق لذلك **فكيف بمواساة سيدة ناضجة**...

هكذا بعد دقائق خرجت من الحمام بكامل زينتها لتثير غيظي أكثر ، أيتها الحمقاء لم أكن أريد إلا إلقاء كلمتين و العودة لبيتي كي أغط في نوم عميق...

هكذا اتخذت مكانها أمامي في صمت ، و أشعلت سيجارة لا أدري من أين ظفرت **بها لتنفث دخانها بوجهي قائلة**...

-إسأل.
-**آسف لتخييب أمالك ، ليست لدي نية السؤال عن شئ**.
ابتسمت قائلة...
-لكنك لا تنكر أن بداخلك بعض التساؤلات.
-بداخلي فضول ككل البشر لكنني لا أمتلك الآن الفضول **لاستخدام هذا الفضول**.

-**شكراً علي باقة الورد ، لا يفعل الكثيرون هذا** مؤخراً.

-لا أعرف طريقة أخري للإعتذار.

-لكنني لم أكن بحاجة لاعتذارك.

لا أعلم لماذا شجعتني دموعها علي الخوض بأحاديث أخري أكثر خصوصية ، إن الدموع تكسر الحواجز النفسية حقاً ، الكثير منها...

-**مدام موريان هل روت لكِ أوديت كل شئ حقاً ؟ أعني شاملاً** تلك الفترة التي **قضيناها معاً بالمصحة ؟**

زفرت الدخان في وجهي ثانية و قالت...

-كل شئ.

-إذن ؟

-إذن ماذا ؟

-**هل بإمكانك سرد شئ ما عن تلك العلاقة التي لا أعلم عنها شيئاً ؟**

-**و لماذا لا تسألها ؟**

-لي أسبابي.

-**و التي هي**...؟

-أخشي أن تظنني أريد العودة ، أنا فقط أريد معرفة ما حدث **بيننا من باب الفضول ، كيف كنت اتصرف و أنا ألعب دور** العاشق كما تقول ؟

-**إذن هناك فضول**.

-**فضول بشأني ، هذا من حقي علي ما أظن**.

ظلت تدخن في صمت لبضع ثوان ثم أطفئت سيجارتها و قالت مغادرة...

- شكراً مرة أخري علي الباقة.

لكنها لم تأخذ الباقة علي كل حال...

****

-ألا **تلاحظ شيئاً يا طارق ؟**

رد طارق بينما يبعثر الدخان الذي زفرته سالي بوجهه...

-نعم ، نسبة المدخنات ازدادت مؤخراً.

-ألا تلاحظ أن سمر متعلقة بك بدرجة ملحوظة ؟

-آه يا سالي ماذا يمكنني إخبارك عن الحب ؟ إنه لا يعترف بتلك **الفوارق العمرية الطفيفة**.

هنا صرخت قائلة...

-طارق كفي .

تجاهلني قائلاً...

-**هل تعلمين مم تعانين يا سالي ؟ فقدان السيطرة ، كنتِ تظنين أن سمر مازالت تلك الفتاة المنبهرة بكل ما تقولين لها لأنها ببساطة معدومة الخبرة بينما أنتِ تلك الفتاة التي عاشت مغامرات لا حصر لها ، ربما حان الوقت كي تدركي حقيقة** مشاعر سمر نحوك.

صفقت سالي في برود قائلة...

-**رائع ، ممتاز ، تهانئي ، لقد توصلت لسري الكبير يا طارق**.

نظر لي طارق قائلاً...

-**هل تحفظون جميعاً هذه الجملة اللعينة ؟**

قلت بصوت عال...

-حسناً إن لم تكفوا أنتم الإثنان عن التصرف كالأطفال فسأترك **لكم المنزل تتحدثون كيفما شئتم**.

قال طارق مغادراً...

-**لا ، أنا من سيغادر**.

هكذا تركني الوغد وحدي في ذلك المأزق الذي وضعني فيه ، و أغلق الباب خلفه...

دفنت وجهي بين كفوفي في إنتظار كلمات سالي...

- سمر.
-.......................
- سمر انظري لي .

نظرت لها قائلة...

-نعم .
أطفأت سيجارتها و شبكت أصابعها أمامها قائلة...

-**سأغادر البلاد غداً ، ربما للأبد ، لن تريني ثانية ، و كل ما أرجوه منكِ الآن هو إخباري بالحقيقة ، كي أغادر و أنا علي يقين** بأنني لن أندم علي تركي لشئ خلفي يستحق العودة.

-**أية حقيقة تريدين معرفتها ؟**

-**هل كانت صداقتنا بالفعل زائفة ؟**

ظللت ناظرة **نحوها في صمت لثوان ، ثم أخذت نفساً عميقاً و** قلت...

-**نعم ، بإمكانك قول هذا**.

(7)

في اليوم التالي لم أذهب للعمل...

فقط التزمت مكاني علي أريكة الصالون ، أبكي وحيدة ، حتي طرق أحدهم الباب...

-إرحل إن كنت طارق.

رد من خلف الباب ساخراً...

-**في الواقع هذا إستثناء غريب فكل من يطرق هذا الباب هو** "طارق" بالفعل.

لم أرد عليه فأكمل قائلا...

-**حسنا كانت هذه محاولة فاشلة لإضحاكك ، و الآن افتحي الباب من فضلك و دعينا نتفاهم.**

-**لا أريد أن أعرفك ثانية يا طارق ، من فضلك اتركني و شأني.**
مرت ثوان من الصمت حتي ظننته قد استسلم و غادر ، لكنني سمعت كأن مفتاحا يدور في الكالون ثم انفتح الباب و وجدته أمامي...
-كم نسخة صنعت بالضبط من مفتاحي؟

تجاهلني قائلا...

-أين صديقتك؟

-**ماذا تريد منها؟**

-**سأعتذر لها إن كان هذا سيريحك.**

قلت بينما أعطيه ورقة ما...

-فات الأوان ، لقد غادرت **هذا الصباح و تركت ذلك الخطاب خلفها**.
شرع يقرأ في الورقة باستخفاف ثم ألقاها أمامي قائلا...
-**كما توقعت ، لم يفتها أن تترك لكِ تذكاراً يسمي** (الشعور بالذنب) ، **إنها تستغل طيبة قلبك فحسب ، إهدئي يا سمر لقد انتهي كل شئ أخيرا ، يجدر بكِ أن تكوني سعيدة**.

نظرت له قائلة...

-لماذا تبسط لي كل شئ دائما ؟ لماذا لا تترك لي الفرصة كي آخذ أمراً ما بجدية ولو لمرة واحدة.

اقترب من وجهي قائلاً...

-**هذا لأنه لا يوجد في هذه الحياة ما يستحق أن يؤخذ بجدية ، إن الحياة نفسها لا تتعامل معنا بجدية**.

-طارق من فضلك لا تحاول أن تجعلني نسخة منك.

-أنا أفضل حالاً منكِ.

-**أنت أسوأ أهل الأرض حالاً لكنك تقنع نفسك بغير ذلك ، و أنا** أفضل أن أعاني علي أن أخدع نفسي مثلك.

لم يرد فاستكملت قائلة...

-**إنتهي الأمر ، سأعود لأمي**.

هنا جلس علي المقعد المجاور و قد بدت علي وجهه ملامح الجدية أخيراً...

-سمر ، هل تذكرين فئة الجبناء الذين راعهم انعدام الأمن بعد تنحي ذلك الوغد عن الرئاسة ؟

****

قال طارق :

كانت الجلسة الأولي غير محفزة علي الإطلاق...

فالحق أن أسلوب العلاج الجماعي هذا لا يروق لي ، إنه أشبه ما يكون بجلسة تشجيع علي الإعتراف بالأخطاء ، بل إنني أحيانا أشعر أن تلك الإعترافات قد تدفع بأحدهم للإدلاء بأحداث كاذبة حتي و لو لم يكن لديه ما يعترف به ، فقط كي يشعر **بانتمائه لجلسة الاعتراف الجماعي هذه**...

كانت الدكتورة هدي من النوع الطموح الذي أحبطته الظروف عن تحقيق طموحاته ، كما أنها تشعر باستخفاف المجتمع لقدراتها و مكانتها العلمية و المهنية رغم صغر سنها لكنها وجدت أملاً لإثبات ذاتها بهذا المكان الغريب ، لذا فهي مازالت غير متأكدة من كون الدنيا تبتسم لها أم تخدعها في الوقت الحالي ، إنها مرحلة (**بيتا**) **بالنسبة لها**...

قرأت كل هذا بتعبيرات وجهها و أسلوبها منذ أول يوم رأيتها به ، لذا لم أراها تختلف كثيراً عن المعيدات بكليتي كثيرا إذ أن كل المعيدات تلعن الظروف في سرها...

لم تكن الجلسة بمقر الجمعية كما ظننت ، فإن هذا المقر يخص إدارة الجمعية و مختبراتها و يخص جلسات أخري خاصة...

هكذا كانت الجلسة بآخر مكان يخطر ببالي ، ساقية الصاوي اللعينة...

هذا المكان الذي أستشعر فيه نوعاً من الجنون الثقافي و الأدبي المبالغ فيه ، فلن أندهش كثيراً لو وجدت من يلقي قصيدة (الحلزونة) ، **ولا مبالغة في هذا فقد رأيت سابقاً ما هو** أسوأ...

كانت الجلسة تبدأ في الرابعة عصرا علي كل حال فلم تكن **هناك حفلات قبل حلول الليل ، فقط كان المكان يعج بالكثير من الجيتارات و اللابتوبات و أشياء أخري لا أدري فيم تستخدم تحديداً ، و هكذا أيقنت باستحالة العلاج في هذا الجو المريب**...

كانت المجموعة تجلس في ملل بركن يسمي (ركن الطراوة) ، **حيث بجانبك مياه النيل في حال أردت أن** (تدلدل) **قدميك قليلا بالمياه**...

لم أستطع تحديد عدد المجموعة لكنهم كانوا ستة أو يزيدون ما بين فتيات و شباب ، فمن الواضح أن تلك المجموعة تم تصنيفها وفقا للسن و ليس وفقا لنوع المرض كما ظننت ، كان من الواضح أنهم اندمجوا سويا في فترة تأخري عن برنامج العلاج ، هكذا لعبت دور (السجين **الجديد**) كالمعتاد...

كانوا طبيعيون للغاية ، لا يوجد منهم من يتشاجر مع ذاته أو يهلوس أو شئ من هذا القبيل ، فليست الساقية بالمكان المثالي لاستضافة هذه الجلسات علي كل حال ، إذن مم يعاني هؤلاء الشباب تحديداً ؟!

بعد قليل جائت الدكتورة هدي...

-**مساء الخير يا شباب ، أعتذر عن التأخير**.

لم يرد عليها أحد لكنها تجاهلت الأمر مصفقة بيدها قائلة...

-**حسناً إنتهي وقت الحديث ، فلتنتبهوا لي من فضلكم**.

فلتقطع يدي إن لم تكن معيدة ، هذا الأسلوب في الحديث لا تخطئه أذني...

همت بقول شئ قبل أن تنظر لي باستغراب يدل علي نسيانها لي...

-**أنت جديد هنا أليس كذلك ؟**

-نعم.

-**إذن هذه أولي جلساتك**.

-حتماً.

-ما اسمك ؟

-**طارق حسين**.

شدت قامتها و قالت في طريقة رسمية تذكرني بالأمريكان حين يقترحون نخباً قبل تناول (**هباب ما**)...

-**حسنا يا شباب ، صديقكم الجديد سيعرفنا بنفسه**.

لم أفهم سبب هذا الإجراء ، لكنني وقفت في مكاني شاعرا بالسخف...

-**طارق حسين ، في آداب علم نفس الفرقة الأولي ، جامعة** حلوان ، 18 سنة...

(**مش عايز ليه تكلمني ، بتتهرب مني ، يا حبيبي حرام عليك**...)

قاطعني هاتف ذلك الفتي النحيل ، فلا أفهم هل تعتبر شركات الهواتف مستخدميها أمواتا أم أنها تهدف لحرق أغشيتهم السمعية و من حولهم ، علي كل حال لم يكن هناك المزيد

لأقوله ، الا لو فرضنا ان التعارف يتضمن معرفة قياسات الملابس الداخلية...

بدا الضيق علي وجه الفتي عقب إنهاء مكالمته ، و لا أعلم لماذا ذكرني هذا بما قاله فيلسوف ما لا أذكر إسمه :

الرسالة زيارة غير معلنة ، وساعي البريد هو رسول المفاجآت الفظة ، عليك أن تخصص ساعة في الأسبوع فقط لاستلام الرسائل ، وتستحم بعد ذلك...

****

كان طارق يتحدث بلا إنقطاع ، يتحدث محاولاً إثبات نظريته عن (**كيف تكون وغداً لا تهتم لأمر أحد في هذا الكون سوي** نفسك)...

لكنني كنت قد سئمت الإستماع له علي كل حال ، سئمت كل **شئ ، سئمت فكرة الوجود ذاته ، كنت أتمني في هذه اللحظة أن تتعطل حواسي كلها و أصبح لا شئ**...

كان طارق يقود السيارة بينما سندت أنا رأسي علي زجاج النافذة أنظر للعالم بالخارج في شرود...

-**سمر هل تسمعينني ؟**

هزرت رأسي في وهن فقال...

-**سمر تعلمين أنني لم أهتم لأمر أحد من قبل هكذا**.

قلت دون أن أنظر نحوه...

-**كما قلت أنت ، إنها سلسلة من مشاعر الذنب لا نهاية لها ، أنا** أشعر بالذنب نحو سالي و أنت تشعر بالذنب نحوي لأنك **تسببت في هذا الشعور بالذنب الذي يراودني**.

-**برغم هذا أنا سعيد من أجلك**.

-كان من **الممكن أن ينتهي الأمر في هدوء ، كانت ستغادر في جميع الأحوال فلماذا فعلت ذلك ؟**

-**ستهربين من مواجهة سالي و غداً سترين من هو أسوأ من** سالي ، الأمر لا يتعلق بسالي يا سمر ، إنه يتعلق بكِ أنتِ ، **أريد أن أراكِ ولو لمرة واحدة لا تخشين المواجهة**.

هنا التفت نحوه قائلة...

-**إهتم بأمورك الخاصة يا طارق ، فلا أحد يتغير ، و أنت خير من يعلم هذا**.

نظر لي نظرة قصيرة ذات مغزي ثم عاد للقيادة في صمت...

و عدت أنا لمراقبة الشوارع في صمت...

****

هذه المرة لم يكن هناك أسباب مرضية ، فقط راودتني نوبة اكتئاب انعزلت فيها بحجرتي و لم أذهب الكلية لثلاثة أيام ، و لم أحضر الجلسة الثانية في برنامج العلاج...

لا أعلم السبب ، و الحقيقة أنه لم يكن هناك سبب ، و إن أسوأ أنواع الإكتئاب هي التي تكون بلا سبب...

كان الجميع يتصل بين الحين و الآخر ، ولم يكن لدي الرغبة في التحدث لأحد ، فقط خمول تام و صداع مستمر...

لكن آخر من توقعت إتصاله هي الدكتورة التزام ، إن الذكريات السوداء لتعاود الظهور علي السطح و كأنها تثبت وجودها كلما اقتربت من نسيانها ، و قد كانت مدام التزام إحدي ذكرياتي السوداء...

-**كيف حالك ؟**

-**و كأنكِ لا تعلمين.**

-وصلني انك عدت مريضاً رافضاً للعلاج.

-**من قال هذا أنا بخير تماماً ، ربما كانت المشكلة فيمن يوصل** لكِ أخباري.

-**علي كل حال ، لقد أرسلت الجمعية السيكولوجية دعوة لي للعمل بها.**

-**تباً ، و أنا الذي ظننت أن هذه الجمعية مجهولة لا أحد يعرف عنها شيئاً.**

-**هل تمزح ؟ إن نصف أطباء مصر يعلمون بشأنها الآن.**

-**اممم ، هذا جيد.**

-**لكنني رفضت العمل بها علي كل حال.**

-**هذا جيد أكثر.**

-ألن تسألني لماذا رفضت ؟

-دكتورة **التزام ، عند مرحلة عمرية معينة يعلن الإنسان إضرابه عن التوقعات الزمنية و الطموحات و التطلعات ، و أنا لا أظن الجمعية تمثل لكِ كياناً مستقراً أكثر من المصحة.**

التزمت الصمت لثوان فعلمت أنها لم تفهم ما اقصده...

-**بصيغة أقل احتراماً فإن الجمعية لا تمثل لكِ طموحاً مهنياً ما ببساطة لأن من هي في مثل عمرك لم تعد ذات طموح**.

-لم أصمت كي تشرح وقاحتك بوضوح.

-**يا إلهي حقاً ؟**

-**ماذا حدث لك بالضبط ؟ لم تكن هكذا حين جئت المصحة**.

-د**خول الحمام ليس كخروجه**.

-علي كل حال أظنني أدركت الآن مشكلتك ، ولو كنت تريد **نصيحتي فمن الأفضل أن تحسن أسلوبك في التعامل مع الآخرين ، بكلمة تكسبهم و بكلمة تخسرهم**.

-**هذا يزيد من تفاهتهم في نظري**.

-**هذا يزيد من بساطتهم ، مع السلامة يا طارق**.

لو فرضنا أنني قلت ما **يمس كرامتها ، اليس من المفترض أن يتحمل الطبيب مريضه ؟**

لا أفهم متي ستكف النساء عن سطحيتهم ، إن الواقع لا مفر منه فلماذا تحاول كل امرأة الهروب من واقعها...

دق هاتفي مرة أخري فقطع الصمت الذي خلفته كلماتها ، و كان بشوي المتصل...

-**أخيراً أجبت علي الهاتف ، هل ست**أتي الجامعة غداً أم ماذا ؟

-**نعم سوف آتي ، صرت بخير**.

-**و هل كنت مريضاً ؟**

-لا و لكن ، بإمكانك القول أنني كنت مشحونا بدرجة زائدة و **وجدت من أفرغت فيه شحنتي**.

-**إذن لا تنسي أن تجلب معك غداً بطارية احتياطية ، ههههههههههههه**.

أغلقت الإتصال في وجهه ، فإن آخر ما قد أحتاج له الآن هو بعض التعليقات السخيفة...

****

و في بينوس كافيه...

-**إذن أنت لا تهتم بمن يدخل حياتك أو يخرج منها**.

-بالضبط.

-**و ماذا عن الثقة ؟ هل ندمت يوماً علي الوثوق بأحدهم ؟**

-**لا ، لسبب بسيط هو أنني لم أثق بأحدهم يوماً ، ليس لأنني** كففت عن الوثوق بأحد بل لأنني لم أستخدم يوماً تلك الآداة **الإجتماعية المسماة بالثقة ، ثم إن من يبحث عمن يثق به هو حتماً شخص لديه أسرار ، و أنا في الواقع لا أملك الكثير منها**.

-**إذن ماذا تفعل حين ترغب بالشكوي لأحدهم ؟**

-أتعامل مع آلامي وحدي.

-**و لم كل هذا ؟**

-الثقة عاطفة ، الحب عاطفة ، الشكوي تنتج العاطفة ، و أنا ضد **العاطفة كما تعلمين**.

كدت أن أقول شيئاً فقال منزعجاً...

- سمر ، ما مشكلتك بالضبط ؟

-لا أعلم ، ما فعلته بسالي جعلني أمقت نفسي للغاية ، كيف تعيش هكذا يا طارق؟

-حين يستسلم المرء لفكرة كونه بائساً إلي الأبد تصبح الأمور أكثر وضوحاً و **الأفكار أكثر ترتيباً ، ولا تسأليني كيف يحدث هذا** لأنكِ لستِ بائسة.

ابتسمت ابتسامة خفيفة قائلة...

- جربني .

وضع قهوته أمامه ثم ظل ينظر لسقف المقهي لثوان مفكراً و قال...

-حين تكونين بائسة و تسعين للتخلص من هذا البؤس ، فهذا هو البؤس حقاً ، و حين تستسلمين لبؤسك فأنتِ بهذا تخلصين نفسكِ من ذلك الصراع بين البؤس و عدمه ، هكذا تقل معاناتك ، صحيح أن أفكارك ستتغير إلي حد ما ، بعض المبادئ التي كنتِ تتمسكين بها سابقاً ستتخلين عنها ، لكنكِ ستشعرين بالراحة في نهاية الأمر ، و هذا كل ما يهم.

-لكنك بهذا تخدع نفسك.

-ربما ، لكن **في أحيان ليست بالقليلة يكون خداع الذات مجدياً ، هذا مالم يكن دائما.**

-أفهم الآن لماذا كنت متمسكاً بأحمد سامي ، لأنه كان محايداً في كل شئ ، هكذا لن تجد من يعترض علي فلسفتك البغيضة في الحياة.

كاد أن يرشف من قهوته قبل أن يتراجع قائلاً في هدوء...

-**هل التخلص من تأثير العواطف فلسفة بغيضة ؟**

-**الإنسان ليس إلا بعض عواطف.**

-**هذا ما تحاولين إقناع قرائك به.**

-**لا ، هذا ما أؤمن به حقاً.**

-**أنا لا أحب الدسم في الحليب.**

تعلثمت قائلة في إنزعاج...

-**و أنا لم أتحدث عن الحليب هاهنا لا تتهرب من الموضوع.**

-**هذا هو صلب الموضوع ، العاطفة هي دسم الحياة ، هناك من يحبون حياتهم كاملة الدسم و هناك من يحبونها صافية منزوعة** الدسم.

فغرت فاهي في غباء فواصل قائلاً...

-**أقصد أننا نملك ميزة الإختيار.**

لم أرد فأكمل قائلاً في نفاذ صبر...

-**أنا أبسط مما تتخيلين يا سمر ، و لكن كون البشر معقدين يجعلهم يرون في بساطتي تعقيداً لهم.**

****

في الجلسة التالية بدأت أفهم تدريجياً كيف تسير الأمور...

-أكون أحمق لو ظننت أن كل الناس يمقتونني فعلاً ، أنا أدرك **أنني مريض بجنون الإضطهاد ، و لهذا السبب فقد اخترت أن**

أكون هنا معكم يا رفاق ، لأن الأمر ليس فكرة يمكنني السيطرة عليها بسهولة ، إنها مشاعر يصعب التخلص منها ، إنها ملتصقة برأسي كالـ....

قاطعته الدكتورة هدي و قالت بينما تدون شيئاً في مفكرتها...

-حسناً يا كريم وصلت فكرتك.

و كريم هذا هو ذات الفتي السخيف حديث التخرج الذي كان معي يوم المقابلة السوداء ، وهو في الثالثة و العشرين من **عمره تقريباً ، و مصاب بجنون الإضطهاد بدرجة متوسطة**...

-حسناً ، طارق ؟

-نعم.

-**هل ستشاركنا الحديث اليوم ؟**

-**اممم ، ليس ذهني حاضراً في الواقع**.

-**جيد هذا ما أريده بالضبط ، كن علي طبيعتك و اسرد ما يخطر** ببالك فحسب ، الآن فقط علي الأقل و تحدث عن مشكلتك في جلسات قادمة.

هرشت ذقني مشيراً للطاولة الموازية لنا...

-**حسناً ، ما يخطر ببالي حالياً هو**....**إلي متي سيظل ذلك الشاب يهرش في رأس صديقته ؟**

نظر الجميع لما أشير له في فضول مألوف ، كان بالفعل هناك شاب يتحدث بهاتفه بينما يحك في فروة صديقته المستلقية علي ذراعه كأنها حيوان أليف ، و لقد أثار انتباهي هذا المشهد طيلة الجلسة كنوع من المثيرات الفرعية...

صفقت الدكتورة هدي في سأم و قالت...

-حسناً نشكرك علي هذه الإضافة يا طارق ، و الآن يا شباب جاء موعد الإختبارات النفسية.

و أما الإختبارات النفسية فقد كانت بمثابة الثمن الذي تدفعه مقابل علاجك هنا ، و قد كان أمرها بسيطاً لكنه كان متعباً ، فلم أتصور أن الإختبارات النفسية تنهك العقل بهذه الدرجة ، خاصة و أنها لم تكن تقليدية كالإختبارات الإسقاطية التي درسناها ، لقد كانت اختبارات موضوعية من نوع الإختيار من متعدد ، إختبارات من ذلك الطراز الذي يثير داخل كل منا تساؤلات عن ذاته ، هل أنا كذلك حقاً أم ستكون إجابتي غير دقيقة ؟

فلسبب ما يفترض واضعوا اختبارات الشخصية علي سبيل المثال أننا نعرف كل شئ عن أنفسنا فقط لأنها أنفسنا ، في الواقع لو كان الأمر بهذه السهولة لصارت الحياة أجمل...

و برغم أنه لا مصلحة لأي منا في صحة الإجابة عن هذه الإختبارات إلا أن تعبيرات وجوه الجميع كانت تدل علي أنهم فعلاً يعتصرون عقولهم للإجابة بدقة عن تلك الإختبارات ، ربما كنا فعلاً نريد الخوض في ذلك بصورة جدية ، نريد معرفة المزيد عن أنفسنا ، الكل يرغب في ذلك ، و لكننا لا نفكر في ذلك إلا حين تصادفنا مثل هذه الإختبارات...

و في نهاية الجلسة قالت الدكتورة هدي...

-لحظة يا شباب ، سيتسلم كل منكم الآن ورقة بها موعد لجلسة فردية ، و أريد من كل واحد منكم تقريراً يومياً عن أبرز ملامح روتينه اليومي.

طرحت إحدي الفتيات تساؤلاً كان علي لسان الجميع...

-ماذا إن لم يكن لدي روتين ثابت ؟

ردت مبتسمة في هدوء...

-إذن اكتبي أبرز ملامح ذلك اللاروتين.

لا أنكر أنني شعرت ببعض السعادة لدي سماعي خبر الجلسة **الفردية ، إذ أن الجلسات الجماعية لا تصلح كعلاج رئيسي و عام ، بل ولا تصلح لمن هو مثلي من الأساس ،** فربما كان **أغلب الناس يفتقرون لقوة ما تجبرهم علي الإحتفاظ بأسرارهم ،** لكنني **افتقر لتلك القوة كي استطيع البوح بها هكذا علي** الملأ...

كان الجميع قد غادر تقريبا حين نادتني الدكتورة هدي قائلة...

-طارق ألن تغادر ؟

-لا سأبقي قليلاً ، لا يجلس المرء بجانب النيل كل يوم.

هنا اقتربت مني قائلة بصوت خفيض...

-إذن دعني أنصحك نصيحة ، هناك في هذا العالم ما هو أفضل من مراقبة الآخرين من بعيد.

-حتماً تمزحين ، إن المشهد مستفز يستدعي الإنتباه حتي بالنسبة لمن لا تستهويه فكرة مراقبة الآخرين.

-في الواقع لا ، فقط أنت لا تخرج من المنزل كثيراً.

****

-إذن فأنت تريد إقناعي أنك تجد سعادتك في استسلامك للبؤس.

غطي طارق وجهه بيده كناية عن الملل و قال...

-**سمر لقد سئمت التحدث في هذا الأمر**.

-من فضلك يا طارق أنا الآن أحاول البحث عن طريقة أستكمل **بها حياتي في سلام و استقرار ، إن لم أفكر الآن بهذا فلن أفكر** في وقت **آخر ، هذه لحظة مصيرية و فاصلة**.

-**لا ، يكفي هذا ، لديكِ سؤال واحد فقط أجيب به عليكِ ، فليكن قصيراً ، بسيطاً و موجزاً**.

-حسناً.

رفعت وجهي لأعلي مفكرة لثوان ثم قلت...

-**فيم تجد سعادتك ؟**

نظر حوله في حيرة ثم قال...

-**هذا سخف**.

-لماذا ؟

-**السعادة ليست مفهوماً موضوعياً ، ليست قانوناً ثابتاً ، و إلا** (مكانش حد غلب).

-فقط أجب عن سؤالي.

-**سأفعل ، و لكن إذا كنتِ تسألين لتبحثين عن السعادة وفقاً لما** سأقوله فأنتِ حمقاء.

- شكراً.

ظل صامتاً لثوان ثم قال...

-**حسناً ، سعادتي أجدها في**....**أجدها في**....لحظة واحدة أنا حتماً أعرف.

استند برأسه فوق كفه مفكراً لخمس دقائق أو أكثر ثم قال...

-**يا إلهي ، لا أعرف ، حقاً لا أعرف**.

قلت مبتسمة...

-**هذا غريب ، أنت مهووس بكونك بائساً لكنك لم تفكر لحظة في** أين تكمن سعادتك.

قطب جبينه للحظات بدا فيها و كأن كلماتي صنعت تساؤلاً بداخله ، لكن هذا أزعجه علي كل حال و قال مغادراً...

-لا تنسي دفع الحساب.

(8)

القصص الرومانسية نوعان...

نوع لا يتمني فيه البطل و البطلة أكثر من بيت واحد يجمعهما سويا ، و هذا النوع أكثر واقعية من النوع الثاني الذي يتمني فيه البطل و البطلة أن يصبحا عصفورين طليقين لا تقف أمامهما حواجز المجتمع ولا البشرية بأسرها ، و هو نوع مفرط في الرومانسية و الخيال ، و هو ذات النمط الذي سارت عليه كتاباتي في كلا الروايتين...

فالحقيقة أنني لا أري حكمة في كتابة ما يعيشه المرء منا أو يراه واقعاً امامه ، نحن نقرأ الروايات الرومانسية كي نخرج قليلاً عن نطاق الحقائق المؤلمة لهذا العالم الضيق المحدود...

فلتحتفظ بنظرياتك السخيفة لنفسك يا طارق ، سأظل أؤمن حتي آخر لحظة بوجود علاقة حب تستحق الإنتظار ، فلطالما **كان عهدي بالأشياء الجيدة أنها لا تأتي بسهولة**...

****

قال طارق :

كل شئ هادئ ، أو يوحي بذلك...

لكنه هدوء غير مريح علي الإطلاق ، هدوء يجثم علي أنفاسك ، الهدوء الذي يسبق العاصفة كما يقولون...

إن لي أربعة أعوام بهذه المكتبة أنتظر تلك العاصفة حتي احترقت أعصابي دون جدوي...

موظفة الإستعارات العانس جالسة إلي الأبد خلف مكتبها الرخامي حاملة آلة الباركود-إلي الأبد أيضا-لدرجة أنني **تصورتها جزء لا يتجزأ منها تنام و تأكل و تستحم بها**...

كيف علمت أنها عانس ؟ لأنها تبدو كذلك بالطبع ، صدقني لم تعد النساء بحاجة لقول (آنسة من فضلك) في تنمر ، إذ أن **أشياء كهذه صارت مقروؤة بوضوح من خلال التعبيرات الإنفعالية ،** لا **يتعلق الأمر بنوع من الشفافية لكنه** (من عاشر القوم...) كما يقولون...

لسبب ما يتعامل جميع الموظفين هنا معك كتجار المخدرات أو أحد عصابات المافيا ، يرمقونك بنظرة تشكك و كراهية لا تخطئها العين ، فلن أندهش كثيرا لو صادفت من يسألني عن (البضاعة) في أية لحظة...

-انطق كلمة السر.

-يوم ورا يوم.

-**حبيبي**.

-ما جاني نوم.

-**حبيبي**.

-ما جاني نوم.

-**حبيبي**.

____

-إستعارة أم إعادة ؟

-عفواً ؟

تكرر في لهجة أقرب للصراخ...

-إستعارة أم إعادة ؟

____

إحترم الإجرام اللي احنا فيه يا ابو موتة...

____

و حين تنجو من قبضة أبو مــ....آ...العانس الشمطاء ، تبدأ رحلتك ببعض (الشقلبظات) **علي دليل المكتبة الإلكتروني ، و** الذي لو حالفك الحظ و وجدت-بمعجزة ما-ما تبحث عنه في

الدليل ، فإنك حتماً و لابد ألا تجده وسط الرفوف ، إنه قانون أزلي ثابت أشبه بقانون الجاذبية...

هكذا تبدأ البحث محاولا إقناع نفسك بأن الخواجة (ديوي) **سيتكفل بتسهيل البحث ، هذا بالطبع قبل أن تدرك ما تتمتع به إدارة المكتبة من روح دعابة ، حين تجد كتاب تفسير الأحلام لفرويد في تصنيف التاريخ ، علي اعتبار أن مؤلفات فرويد جزء لا** يتجزأ من تاريخ علم النفس ، و تاريخ علم النفس جزء لا يتجزأ من التاريخ العام للبشرية...

و هذا علي سبيل المثال لا الحصر...

و كما قلت سابقاً..**لو كنت ممن يصدقون أن المكتبة هي أنسب** مكان للقراءة فأنت مخطئ ، إن تلك المناضد الضخمة الجديرة **بجلسات العلاج الجماعي تجعل من فكرة التركيز في القراءة أسطورة ، خاصة مع ذلك العدد من الفضوليين المثقفين الشغوفين الباردين المتحذلقين المتشككين...**

هكذا عكفت جاهداً علي البحث وسط الرفوف عن كتاب ما يصلح لل**قراءة ، حين وقعت عيناي علي ذلك الرجل ذو البدلة السوداء الأنيقة...**

-أستاذ أحمد سامي ؟

نظر نحوي ثم عقد حاجبيه قائلاً...

-طار**ق ، ما الذي جاء بك هنا ؟ أعني..ماذا تفعل هنا ؟**

-**ذات الشئ الذي تفعله هنا.**

-**أنا علي موعد بأحدهم.**

-موعد في المكتبة ؟

-إن لم يكن لديك مانع.

حككت ذقني قائلاً...

-اممم ، حسناً.

-تبدو و كأن لديك ما تقوله.

-في الواقع كانت لدي بعض التساؤلات حول نشاط تلك **الجمعية ، هل لديك بعض الوقت ؟**

نظر لساعته قائلاً...

-**لا بأس مازال هناك وقت لنجلس و نتحدث**.

****

في مساء اليوم التالي رن هاتفي ، و كان المتصل جلال...

ترددت كثيراً قبل أن أرد ، خاصة أنني كنت واضحة تماماً في قراري بشأن ترك قضيته لمحام آخر ، و قد تفهم هو ذلك ، و هذا لا يجعل بيننا الآن أية اهتمامات مشتركة لنتحدث بشأنها...

-ألو ؟

رد بصوت أقرب للبكاء...

-**لقد انتهي الأمر يا سمر ، أخذت اللعينة أطفالي**.

-**كيف حدث هذا ألم توكل القضية لمحام آخر ؟**

-**بلي ، و لكن في النهاية فازت هي بكل شئ**.

التزمت الصمت لثوان باحثة عن كلمات تصلح للمواساة...

-**لا تدري أين الخير يا جلال ، و صدقني فإن من مصلحة الأطفال أن يظلوا مع أمهم**.

-**الآن أشعر برغبة في الإنتحار ، كنت أسخر فيما سبق** ممن **يقولون ذلك لكنني الآن أتفهم شعورهم هذا جيداً**.

-**لم ينته كل شئ بعد يا جلال مازال هناك أمل.**

-**أي أمل في حياة فارغة كهذه ؟ لم يعد لي شئ أحيا لأجله**.

-أين أنت الآن يا جلال ؟

-أنا أسفل منزلك.

انتفضت من مرقدي قائلة...

-ماذا ؟ أي منزل ؟

-منزلكِ الجديد.

-آه ، حسناً لحظة واحدة.

وضعته علي الإنتظار بينما أطلب بسرعة البرق أول رقم خطر ببالي...

-طارق من فضلك أجب.

بعد عدة محاولات أجاب بصوت ناعس قائلاً...

-ماذا تريدين ؟

قلت بينما أنظر من النافذة...

-طارق من فضلك انجدني.

-من ماذا ؟

-جلال يقف أمام منزلي الآن و من الواضح أنه مخمور أو ما شابه.

-و المطلوب ؟

-لا أعلم فقط إفعل شيئاً.

-حسناً سأنهض من فراشي إلي الشرفة ثم أطير إلي السماء و أصبح عندكِ علي الفور.

-هل تمزح في موقف كهذا ؟

-أنا لا أري أي سبب يدعو للذعر ، إنتظري قليلاً و لسوف يأخذه أي (بوكس) مار بالجوار.

-ماذا لو تفوه **بأي شئ مثلاً ؟ أخشي أن يسمعه الجيران و** تصبح سمعتي سوداء.

-تباً لكما أيها الطفلان ، حسناً أنا قادم.

هكذا أغلقت الإتصال بينما أنظر لجلال الذي مازال منتظراً علي الهاتف...

****

كان أحمد سامي يجيب عن اسألتي باستفاضة و كأنما كان يدرك أنني سأسأله ذات يوم...

-ربما لاحظت أن الجمعية لا تعالج الحالات التقليدية التي عهدناها في المصحة ، لن تجد أبداً مصابين بالفصام أو متوحدين ، إن من نقوم بعلاجهم هم أناس أصحاء تماماً ، أناس طبيعيون مثل الجميع ، لكنهم مصابين بأمراض أخري نسميها

مستوطنة ، و هي مستوطنة لأن المجتمع لا يعتبرها أمراضاً نفسية تستحق العلاج ، فهي تصرفات طبيعية مألوفة ، لكنهم يمارسونها بصورة مبالغ فيها.

نظرت له في غباء قائلاً...

-مازلت لا أفهم أي شئ.

-مثلاً ، هل لاحظت أن لك صديقاً فضولياً بصورة زائدة عن الحد ؟ أو صديق عدواني بصورة مبالغ فيها ؟ أو صديق متشكك للغاية يظن أن الجميع يريدون سرقته أو النصب عليه ؟

-تلك النماذج التي ذكرتها هي المجتمع ذاته.

-دعني أوضح لك أكثر ، حين أقول عن (أحمد) مثلاً أنه شخص متحمس للغاية و عن (كريم) **أنه شخص بارد للغاية فإنني هنا أتحدث عن صفاتهم بصورة كمية و ليست كيفية إطلاقا ،** بمعني ..أن **أحمد و كريم ليسا نوعين مختلفين من الناس ، بل إن لديهما تفاوت في درجة توافر الصفة فحسب ، فكل منا** يحمل بداخله من الحماس و البرود قدرا لا بأس به و لكننا **نتفاوت في درجة الطاقة التي تستخدمها صفاتنا** ، (أحمد) مثلاً **لم يكن ليبدو بهذا الحماس لولا أنه يستغل طاقة كبيرة في استخدام هذه الصفة مقابل افتقاره لبعض الطاقة في صفة** البرود ، و العكس يحدث في حالة (كريم) ، لذا كما تري فكل **الناس تحمل بداخلها الصفات كلها و ليس الإختلاف بينهم إلا في درجة توزيع الطاقة بداخلهم علي كل صفة** ، ربما يقولون **أن الناس معادن ، لكن أليس الاختلاف بين المعادن يكمن في** تفاوت عدد الإلكترونات في ذرات كل عنصر ؟ إذن فالأمر في **النهاية يتعلق باختلاف كمي خالص.**

-أها ، الآن بدأت أفهم.

-**هذا هو السر وراء تلك الحركة الإنتقائية للحالات التي تقوم الجمعية بعلاجها ، فتلك الإستمارة التي ملأتها قبل المقابلة** الأولي لم **تكن سوي إختبار مبدئي يري فيه المتخصصون أوجه المبالغة في سلوكياتك**.

-و لماذا اخترتني ؟

ابتسم و قد بدا علي وجهه بعض الحرج...

-**في الواقع ، بدوت لي غير متزناً في تصرفاتك ، الكثير منها**.

تراجعت بظهري للخلف و علي وجهي ابتسامة خيبة أمل ، و حينها تسائل أحمد سامي قائلاً...

-ماذا ؟

-**كنت أظن أن خلاصي بهذه الجمعية ، ظننتها تعالج الحالات التقليدية**.

-**و لماذا تحتاج لعلاج تقليدي ؟**

-**لأنني مازلت مريضاً للغاية ، مازالت هناك بعض الهلاوس** المزعجة.

ظل صامتاً بضع دقائق ثم قال...

-**لا مشكلة ، بإمكانك استشارة الدكتورة هدي و حتماً ستنصح**ك بعلاج ما.

فتحت فمي لأقول شيئاً قبل أن يقاطعني رنين هاتفي ، و بالطبع لم أسلم من نظرات الجميع ، لقد خرقت عهد الصمت ولابد أن يتم إعدامي حرقاً...

كانت المكالمة التي جائتني غير مبشرة علي الإطلاق ، أوديت في المشفي ، لماذا ؟ لا أعلم ، و أنا لم أكن مذعوراً علي كل **حال رغم الهستيرية التي أبلغتني بها داليا الخبر ، إن الفتيات** يبالغن في كل شئ علي كل حال لذا فلندع القلق جانباً حتي **نري بأعيننا**...

بالطبع أدت تلك المكالمة إلي إظهار جانب الشهامة لدي أحمد سامي ، و أصر علي توصيلي بسيارته رغم موعده الذي كان لدي فضول بشأنه...

لكن المصائب لا تأتي فرادي علي كل حال ، فقد حدث في الطريق مالم نكن نتوقعه...

****

بعد نصف ساعة دق جرس الباب...

-**تأخرت كثيراً يا طارق**.

-لا يوجد أحد بالأسفل يا سمر.

-**هذا لأنه بالداخل**.

فتح فمه ليقول شيئاً ثم تراجع قائلاً...

-**هل هذه طريقتكِ الخاصة لإنقاذ سمعتك ؟ لو لم يكن الجيران قد بدأوا في تكوين نظرياتهم الخاصة بشأنكِ فلابد أنهم ملائكة**.

-**جيراني يعلمون أنني آنسة محترمة**.

قال بينما يغلق الباب خلفه ضاحكاً...

-**صدقيني إن الإحترام هو تربة خصبة لنمو أسوأ الظنون ، لقد كنت أكثر أبناء شارعي احتراماً و حين تلاعب المرض برأ**سي **بدأ الجميع يتحدث من وراء ظهري**.

لم أرد ، فقط نظرت له نظرة مغزاها أنني لست في بال رائق لأحاديثه...

-**لماذا تركتيه يصعد ؟**

-**ليس لديه مكان آخر لينام فيه**.

قال ساخراً...

-**و هل أخذت زوجته المنزل أيضاً**.

-**هذا ما أكتشفته فعلاً ، لقد كان قد كتب المنزل بإسمها**.

هنا قال في لهجة أقرب للجدية...

-**يا إلهي ، هذا رجل خسر كل شئ فعلاً ، أين هو ؟**

-نائم علي الأريكة.

دخل طارق-بحذائه-إلي الصالون و اقترب منه متأملاً ، لم يكن قد خطر ببالي أنه لم يره من قبل ، إن كون طارق متغلغلاً في **كل تفاصيل حياتي مؤخراً جعلني اتعجب من فكرة كيف أنه** يري جلال للمرة الأولي...

-لم يكن مخموراً كان بحاجة للنوم فحسب.

-**لا أعلم لكن أول ما تبادر إلي ذهني هو أنه حتماً مخمور ، إن أول شئ يفعله الرجل حين يخسر كل شئ هو أن يشرب حتي** ينسي خسارته.

رفع عينه نحوي قائلاً...

-**تشاهدين الكثير من الأفلام مؤخراً**.

قام من جانبه **و علامات التقزز علي وجهه قائلاً**...

-**و لكن مهما كانت درجة خسارته فلا أجد مشكلة في مواجهتها برائحة أفضل ، هذا الرجل بحاجة ماسة للإستحمام**.

-**إسمع ، لدي غداً جلسة هامة للغاية و أنا بحاجة للنوم الآن**.

عقد ساعديه قائلاً...

-و المطلوب ؟

تثائبت قائلة...

-**أن تجعل هذا** الرجل مفعماً بالأمال حتي أعود من عملي غداً ، علي الأقل لا تتركه يقتل نفسه.

-**و كيف هذا ؟**

هززت كتفاي قائلة...

-**لا أعلم ، أنتم الرجال حتماً تعرفون كيف تواسون بعضكم**.

****

آه من النساء...

حين تتعلم الواحدة منهن قيادة سيارة فإنها لا تفعل شيئاً سوي البكاء الهستيري بعدما تهشم خلفية سيارتك لتتصل بعد ذلك بأبيها الذي يتضح دائماً في النهاية أنه ضابط أو لواء أو أي من تلك الرتب التي تنبئ بخراب بيتك قريبا ، و كل هذا يحدث

بالطبع قبل أن تخطوا خارج سيارتك لتفهم ما الذي حدث تحديداً...

-من ؟ الآنسة سمر ؟

- **ستاذ أحمد ، حمداً لله ظننت أنني صدمت سيارة رجل غريب**.

-**لم أكن أعلم أنكِ تملكين سيارة**.

-**أملكها منذ شهور و لكنني تعلمت القيادة لتوي منذ يومان فقط ، و هذه هي النتيجة كما تري ، أنا آسفة للغاية**.

-لا داعي للأسف.

في تلك الأثناء كنت أقضم أظافري و ألتهم أعصابي داخل سيارة أحمد سامي بينما تناهي لمسامعي ذلك الحوار اللعين...

-**حاولت البحث عن سائق لكنني لا أثق بأحد بسهولة**.

أطلت برأسي من النافذة قائلاً بصوت عال...

-**هذا ليس أفضل من أن تثقي بقدراتك في القيادة**.

-من ذاك **الشاب اللطيف ؟**

تدخل أحمد سامي قائلاً...

-**سمر هذا طارق صديقي ، طارق هذه الآنسة سمر مؤلفة** روايات.

-**الكتّاب يجدون بعضهم بسهولة ، لماذا لست مندهشاً ؟**

-طارق الآنسة سمر تبحث عن سائق خصوصي ، ما رأيك ؟

-**ليس معي رخصة**.

- سنقوم معاً بإصدار واحدة.

-**قالت أنها لا تثق بأحد بسهولة**.

-**هههه ، أنت دائماً تحب المزاح يا طارق**.

هكذا ضغطت علي أعصابي حتي انتهي ذلك الموقف السخيف و ذهب كل شخص لحاله...

-**هل تعرض خدماتك للنساء علي حسابي ؟**

-**لا أفهم ما المشكلة في أن تكون سائقاً لها ألم تخبرني سابقاً أنك تجيد قيادة سيارة والدك ؟**

-أنت حتي لم **تحاسبها علي ثمن المصابيح الخلفية التي كسرتها**.

-**طارق طارق ، لو تعامل جميع الناس بهذا المبدأ لصرنا في** غابة.

-**نحن في غابة فعلاً لكنك لا تتعامل بقوانينها ، ما الذي أصابك بالضبط كي تكون بهذا البرود ؟ أنا لم أسمع عن مرض يفقد** المرء إحساسه بالمجتمع.

-**أنا مرتاح هكذا ، فليذهب المجتمع إلي الجحيم**.

****

قلت بينما أفرك كفوفي في شغف أمام الكمبيوتر...

-بدأ الجزء المفضل لي.

رد طارق في سأم...

-ألم تقولي أنكِ ستنامين ؟

-نعم و لكن كلما يخطر ببالي ما حدث لجلال يطير النوم من عيني ، إنني بالكاد أستوعب فكرة نومه الآن علي أريكة الصالون و علي بعد أمتار مني.

-هذه هي الحياة ، ينجح أناس و ينهار آخرون.

-لكن جلال لا يستحق كل هذا ، إنه إنسان طيب للغاية.

مط شفتيه قائلاً...

-إذن ، ما مخططاتك حالياً ؟

قلت في شرود...

-لا أعلم ، حقاً لا أعلم ، هل يوجد شئ في بالك ؟

(9)

قال طارق:

لم أراها بهذا الضعف من قبل ، لم أراها بهذا الجمال من قبل...

نائمة متعرقة كعصفور وقع لتوه في حوض أسماك الزينة ، **الغريب أنها تبدو أجمل حين يصبح شعرها منكوشاً ، أو هكذا هي رؤيتي الخاصة لها ، فقد كانت في المصحة أجمل مما صارت عليه بعد ذلك ، صحيح أنها سحرتني في البداية بمظهرها الجديد في مركز التجميل ، لكنها في النهاية تبدو أكثر تلقائية بهذا الشعر المنكوش ، أو للدقة تبدو جميلة دون أن** تتعمد أن تبدو كذلك...

لم أعرف ما أصابها و لا أريد أن أعرف ، فقط كل ما كنت اتمناه أن تفيق ، للمرة الأولي أتمني أن تعاندني في كل شئ لنتشاجر و نتصالح بعد ذلك...

بعد دقائق بدأت تفيق من المخدر لكنها كانت مازالت تشعر بالدوار ، نظرت لي بأعين نصف مفتوحة ، علمت ما أفكر فيه رغماً عن وجهي البارد الخالي من اية تعبيرات ، نحن الإثنان نفهم بعضنا بلا تعابير أو كلمات ، بلا اتصال لفظي أو **غير** لفظي...

مدت يدها نحو يدي ، كانت هذه المرة الأولي التي تلمس فيها يدي بهدوء هكذا ، وبعد ثوان ضغطت عليها بقوة كأنما تتأكد أنها لا تهلوس و أنني بجانبها ، ذكرني دفء يدها بتلك الطفلة **الصغيرة التي طلبت مني ذات مرة أن أعبر بها طريق السيارات**

للجهة الأخري ، كانت **يدها صغيرة و دافئة ، بلورية و شفافة ، و حينها أدركت حقاً لماذا يرغب الناس** في الإنجاب ، و لماذا **يحبون الأطفال ، بضعفهم و حاجتهم اليك يشعرونك بالقوة ، و يشعرون هم بالأمان لمجرد يد دافئة كبيرة تحتوي ايديهم الصغيرة...**

أما الآن و في هذا الموقف فقد عرفت لماذا يرغب الناس في علاقة حب ، رغم أنني كلما **ألمح هذا الصليب علي مرفقها اشعر بتعقيد موقفي ، و أشعر بحاجز بيننا...**

و تسائلت في داخلي لماذا نتعاطف مع الناس فقط عندما يكونوا ضعافا أو **يقتربوا من الموت ، و هل ما أشعر به الآن هو** تعاطف أم شفقة أم حب أم كل **هذا معا...**

كان **عقلي يحلل كل ذلك في حيرة ، كنت أعتقد أن العقل حينما يتدخل يسيطر** علي كل ذلك ، للمرة الأولي أدرك أن العاطفة **حين تطغي قد تسيطر علي قراراتنا و أرائنا و إتجاهاتنا بشكل جذري ، ربما لأنني لم أتعرض لهذا من** قبل ، لأنني لم تتحرك مشاعري نحو روح أخري إطلاقا...

مازالت **يدها الدافئة تتشبث بيدي الباردة...**

البارد يحتضن الدافئ...

كيف يمكن ليدي الباردة أن تمنحها الآمان يوماً ؟ مهما بلغت ثقتها بي ، مهما بلغ إيمانها و يقينها ، أنا نفسي لا أشعر بأنني قادر علي منحها شيئاً من ذلك...

نحن لن نكون بروعة الباسيكاليا يا عزيزتي ، ربما تكونين عوداً دافئاً ، ربما أكون موسيقي جنائزية باردة ، لكننا لن نكون بروعة الباسيكاليا أبداً ، و لن أنجح يوماً في أن أعوضك شيئاً مما تفتقدينه بعد رحيل أمكِ...

كانت هذه الفكرة إيذاناً لي بالخروج الفوري ، إن الأحلام مصيرها الإستيقاظ حتي قبل إنتهائها ، لذا فلننه هذا الحلم قبل إكتماله ، سيكون هذا أفضل للجميع...

سحبت يدي فجأة ففتحت عينيها فزعة لتجدني خارج الغرفة ، كنت أعلم أنها مازالت مخدرة جزئيا و لن تقوي علي مناداتي...

و حين خرجت إلي الردهة مجففاً عرقي بالمنديل كان الجميع جالساً في صمت ، هكذا اتخذت لي مجلساً بين داليا و بشوي ، و كان يجلس أمامنا أحمد سامي...

لم يكن الوقت مناسباً للتعارف ، إذ أن الجميع كان عاقداً ساعديه في وجوم و كأننا في عزاء...

ملت علي أذن داليا قائلاً...

-ماذا حدث تحديداً ؟

-ليتني أعلم ، إن أوديت ليست طبيعية منذ أيام.

-كيف ؟

-تجلس بيننا شاردة دائماً و حين أسألها تقول أنها مصابة ببعض الصداع ، و حين حاولت اليوم في المقهي إعطائها قرص نوفالجين فوجئت بأنها ابتلعت أقراص الشريط كله.

نظرت للأرض في شرود قائلاً...

-هذا ليس جيداً.

* * * *

حين عدت من عملي لم أجد أحداً بالمنزل...

و حينها دارت برأسي تساؤلات عديدة جعلتني اتصل علي الفور بطارق...

-طارق ماذا حدث ؟

-في ماذا ؟

-ماذا فعلت مع جلال ؟

-**كل خير**.

-أين أنت الآن ؟

-في منزلي .

-و جلال ؟

-معي .

-و ماذا تفعل أنت و جلال في منزلك ؟

-نلعب شطرنج.

-**طارق هل تمزح الآن ؟**

-في الواقع لا أنا ألعب الآن جولة صعبة للغاية و أكون شاكراً لو **تركتيني أستكمل اللعب**.

-**طارق حين تنتهي من هذا السخف تعال لي فوراً**.

- سأفكر في الأمر.

****

لا يمسحون الزجاج هنا جيدا...

و أنا أكره الزجاج الشائب ، فإن رؤيته تصيبني بالجنون ، فلم يصنع الزجاج إلا كي يكون شفافا...

هكذا بصقت بصقتين علي الزجاج و مسحته بكم القميص فلم يتغير شئ...

-خخخخخ...تفو.

بصقت بصقة أخري و مسحته فلم يتغير كثيراً ، في الواقع لم يتغير إطلاقاً ، إذ أنني بعد عدة محاولات توصلت إلي أن المشكلة تكمن في الناحية الأخري من الباب...

كانت أوديت بالداخل تهيئ نفسها للخروج ، و أدركت أن مدتها انتهت و أنني لن أراها جميلة ثانية إلا عندما تدهسها حافلة ، هكذا أضمن بقائها منكوشة الشعر بالمستشفي فترة أطول...

كان الجميع قد غادر بالأمس بينما ظللت بانتظارها حتي انتهت من غسيل المعدة و صارت قادرة علي الخروج...

توقفت عن تحزيم حقيبتها لتراقبني أثناء بصقي علي زجاج باب **غرفتها ، و حتماً أدركت الإنطباع الرومانسي الذي أحاول تركه بداخلها**...

كانت تنظر بثبات ، أعرف تعبير وجهها عندما لا تمزح ، إنها تفكر بجدية و إنها لغاضبة بشدة و لسوف تقضم أنفي قبل أن أفكر حتي في الهروب...

نظرت لنهاية الرواق الطويل فوجدت أحمد سامي يتحدث مع **مدام موريان في مرح ، للمرة الثانية أرثي لحال هذا الرجل ،** فلطالما فكرت أن أبحث له عن عروس عملاً بالمثل القائل (يا **بخت من وفق راسين في الحلال**) ، لكن جزءاً مني لا يريد **تشويه ذلك الكريستال بالبطيخة و الجريدة و** (**مصاريف العيال**)

و الدروس ، دعك من أنني لا أجيد لعب دور الخاطبة ، و لو حدث **ذلك فلسوف أترك بصمتي التي تضمن بقاؤه عازبا لنهاية حياته**...

____

هكذا تخيلت نفسي جالسا أحتسي القهوة في صالون بيت ما بين امرأتين شمطاوتين بينما أعدل من وضع الملاءة اللف حول رأسي...

-جايبالك **يا ختشي عريس إنما إيه ، طيار و حليوة و ابن ناس**.

حينها تدخل العروس التي لم تحلق ذقنها منذ تسعة أسابيع فأصاب بالغثيان و أهم بالهروب قائلا...

-**طب أجيلكوا وقت تاني بقا يا الدلعدي ، العواف عليكوا**.

____

أفقت من تخيلاتي لأجد أوديت في مواجهتي مباشرة تنظر لي بثبات ، مددت يدي بجيبي باحثا عن منديل آخر اجفف به آثار توتري المفضوح لكن شيئا ما أعاق بحثي...

فإن لم تصفعك أنثي من قبل دعني أخبرك شيئا ، إن صفعات النساء لأكثر ألما و إهانة من صفعات الرجال ، هذا لو كان الرجال يصفعون بعضهم...

توقعت عنفا ، لكن ليس لهذه الدرجة ، لا أعرف سبب غضبها ولا أريد أن أعرف ، فإنني لم أتعامل معها يوما بصيغة السبب و النتيجة ، دع الأسباب للناس يحرقهم فضولهم نحوها ، أما أنا فلا أريد سوي صفقات شعورية هادئة دون التقيد بعقود أو شروط...

أعدت وجهي ناظراً لها في انتظار الصفعة التالية لكنها ظلت تنظر بذات الثبات فأدركت أنها اكتفت بذلك و أن دوري قد حان...

-**حسناً كان هذا مؤلماً.**

-**ليس أكثر من الألم الذي تسببه لي كل يوم.**

أخذت نفساً عميقاً ثم قلت لها...

-**أوديت ، صفي لي ماذا حدث بيننا بالمصحة.**

نظرت لي في صمت محاولة تبين مدي جدية كلماتي ...

-**ما الذي جعلك فجأة تريد معرفة هذا ؟**

-**لا أعلم ، أشعر أنه ربما لا أقدر حجم العلاقة التي كانت بيننا.**

ظلت تنظر لي في صمت لثوان ثم قالت...

-**هذه أشياء لا يمكن وصفها بكلمات.**

نظرت حولي قائلاً في تردد...

-**أوديت ، لقد شعرت بهذا ، أمس عندما لمست يدك.**

-**هذه هرمونات بدأت تنشط ، لا تقلق مازلت وغداً كما أنت**.

-**لا ليس الأمر هكذا صدقيني ، أعطيني يدك**.

-ماذا ؟

-**لا يوجد ماذا ، أعطيني يدك و سأصف لكِ الأمر بدقة**.

مدت يدها في توجس فأمسكتها و ضممتها بين كفوفي منتظراً حدوث شئ ما...

-و الآن انتظري لحظة.

كانت نظرتها لي تقول بوضوح أنها تشعر بسخافة الموقف بأكمله ، برغم أنها تقريباً المرة الأولي التي أكون فيها جاداً معها ، و هذا مالا يستوعبه الأخرون دائماً حين أطلب منهم طلبات غير مألوفة برغم أنه لا ضرر فيها ، إن الناس تتوجس دائماً من كل ماهو غريب و جديد...

بعد دقائق تركت يدها قائلاً في خجل...

-**حسناً من الواضح أنه لا يوجد استقبال جيد للمشاعر في** الوقت الحالي.

-**تقصد لا يوجد إرسال ، لقد صفعتك منذ قليل فماذ تتوقع مني** الآن ؟

-أوديت أنا حقاً لا أكذب ، لقد كان الأمر رائعاً حقاً.

ظلت صامتة لثوان تتأمل تعابير وجهي و قالت...

-صف لي ما شعرت به.

قلت متحمساً...

-لا أعلم ، شعرت كأنني ..**سعيد و خائف في ذات الوقت**.

هنا فقط ابتسمت قائلة...

-**أخبرتك أن هذه أشياء لا يمكن وصفها**.

-**أوديت هذه مشاعر أختبرها بداخلي للمرة الأولي ، لابد من أن** تعذريني .

فتحت فمها لتقول شيئاً قبل أن يدخل علينا أحمد سامي و في يده **باقة ورد فاخرة تليق به حقاً**...

- **حمدلله علي سلامتك يا آنسة أوديت**.

-عفواً من أنت ؟

-أنا صديق طارق ، للدقة كنت معكم في المصحة سابقاً.

-اه ، تشرفنا يا استاذ...

-أحمد سامي .

بعد دقائق جائت مدام موريان لتصطحب أوديت ، و بعد بعض الأحاديث غادرا سوياً و ظللت أنا و **أحمد سامي جالسين في الرواق نتأملهما من بعيد كالمخابيل**...

-قل لي يا أستاذ أحمد ، ما رأيك في مدام موريان ؟

رد و عينه لم تزل تراقبها...

-**حسناً إنها امرأة رقيقة ذات روح جميلة للغاية ، هذه حقيقة لا خلاف عليها**.

حتي في التعبير عن التذوق الجمالي يراعي أحمد سامي الإ**عتبارات الأخلاقية ، و علي الأرجح انه يري في بعض المصطلحات التعبيرية كالـ**(مزز) **نوعاً من التصنيف البيولوجي المتحيز لذوات الصفات الجينية الحسنة ، إلي آخر هذا الهراء**... **لطالما كان أحمد سامي موضوعيا لأبعد الحدود ، حتي بدأت اشعر انه قانون ثابت يمشي علي قدمين او جزء من الطبيعة خلق بخلق الكون و سيفني بفنائه**...

-**لا أعلم ، شعرت في طريقة تحدثك معها و كأنك تعرفها منذ** زمن.

-**هذه هي الحقيقة فعلاً ، لقد كانت السيدة موريان تعمل مضيفة طيران فيما سبق ، و كانت لنا معاً رحلات كثيرة لا أنساها**.

كلما ظننت أنني أعرف كل شئ اتضح أنني لا أعرف أي شئ ، لكن **ذلك علي الأقل يمنح جمالها** (الفوتوشوبي) **هذا سببا مفهوماً يمكن ابتلاعه ، إنك تجد المضيفات بارعات الجمال لأنهن ببساطة مضيفات ، فهن جميلات لأنهن مضيفات و ليس** العكس...

بعد قليل غادر أحمد سامي و تركني وحدي في المشفي ، لم أكن أريد المغادرة و**لا أعلم لماذا ، هناك نشوة غريبة في أن تظل وحيداً بذلك المكان الذي كان الجميع برفقتك فيه منذ قليل ، إن الوحدة جميلة للغاية**...

****

في المساء جاء طارق و جلال ، و علبة شوكولاتة و باقة ورد...

طارق يلهث من التعب ، و جلال بأفضل حال ، لماذا أشعر و كأن كل شئ قد انعكس ؟

-أين كنتم ؟

رد طارق في إنهاك...

-كنا نبحث عن شقة.

- شقة لمن ؟

أخذ وردة من الباقة ليشمها قائلاً...

-**بالتأكيد ليس لي**.

كان جلال يقف صامتاً و كأنما ينتظر شئ ما قبل أن يقول طارق له...

-**هل ستظل هكذا كثيراً ؟ قم بحركتك و دع الحياة تسير**.

هنا فقط ركع جلال أمامي بحركة مسرحية كما يفعل الأمريكيون حين يطلبون الزواج من إحداهن قائلين...

-**هل تتزوجينني ؟**

و في موقف كهذا يفترض أن أغطي وجهي بكفوف يدي من هول المفاجأة و أبكي من السعادة ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، لم يحدث علي الإطلاق...

نظرت إلي طارق الذي تظاهر بانشغاله في شم الوردة محاولة **استفهام الأمر ، لكنني شعرت بسخافة الموقف بأكمله و قلت** في إنزعاج بالغ...

-لا.

هنا سحب جلال دبلته و نظر نحو طارق قائلاً...

-**قلت لي أنها مازالت تحبني**.

-**إنها كذلك بالفعل لكنك تعرف النساء يتمنعن و هن الراغبات**.

هنا لم تعد أعصابي تحتمل فصرخت فيهما قائلة...

-**طارق ما الذي يحدث هنا ؟**

-**أمرتيني بإحياء الأمل بداخله ثانية**.

-**بهذه الطريقة ؟**

نظرت في إشفاق نحو جلال الذي وقف حائراً و قلت له...

-جلال ، أنت لا تعي الآن ما تفعله ، أنت أضعف من أن تتخذ أي قرار صائب في الوقت الحالي ، من فضلك لا تستمع لنصائح **هذا الوغد ثانية ، أعد بناء نفسك من جديد و صدقني ستجد من** تستحق مشاعرك مستقبلاً.

-**ما الذي تقولينه يا سمر ؟ لطالما أحببتك و لم أحب امرأة غيرك**.

نظرت لطارق نظرة مغزاها (**هل لنا في بعض الخصوصية ؟**) **فنهض متوجها نحو المطبخ قائلاً**...

-**إحم ، حسناً سأعد بعض القهوة هل يريد أحدكم قهوة ؟**

لم يجبه أحدنا على كل حال...

-**إسمع يا جلال ، أعلم أنني تسببت لك في الكثير من الأذى ،** مني و من أمي ، لكن فكرة أن نتزوج الآن صارت صعبة للغاية ، **لقد تغيرت أشياء كثيرة منذ ذلك الحين**.

-**ما الذي تغير بالضبط ؟**

كان أسلوبه في الحديث متغيراً ، فقد قوة شخصيته و نبرة صوته الواثقة ، لقد دمرته تلك التجربة رغم أنني لا أراها تستحق كل ذلك...

-**أنا ، أنا تغيرت يا جلال.**

-**هل هناك أحد آخر ؟**

-لا.

-**إذن كيف تغيرتِ.**

-**لا يوجد سبب أو حدث معين ، لكنني لم أعد كما كنت ، و أنا أدرك ذلك جيداً ، لسوف تصير معي أتعس رجل في الوجود.**

-**أكثر مما أنا عليه الآن ؟ لا أظن.**

نظرت للأرض مفكرة ثم قلت له...

-علي الأقل امنح نفسك وقتاً لاستعادة نفسك ، أنت الآن تبدو **لي ضعيفاً للغاية و أنا لا أحب أن أراك هكذا ، و في ذات الوقت دع لي وقتاً للتفكير بالأمر.**

هز رأسه في غير اقتناع قائلاً في استسلام غير معتاد...

-كما تريدين.

****

لا لم أغادر المشفي بعد...

لقد أعجبني المكان ف الواقع لسبب لا أدريه ، أنا أحب تلك **الأماكن المزدحمة بالناس شريطة ألا أكون أعرفهم أو** يعرفونني ، و شريطة ألا يتحدثون معي لأي سبب كان...

شعرت بشئ يتحرك بجانبي فوجدت طفلاً لا يتجاوز السادسة ينظر لي تلك النظرة التي تذكرني بالفئران ، و كان يأكل **شطيرة جبن لا أدري من أين ظفر بها**...

-أعلم أنني أبدو بائساً لكن لا تنظر لي هكذا.

لم يرد لأنه بطبيعة الحال لم يفهم شيئاً ، لكنه نظر أمامه ليكمل طعامه في صمت ، تأملته لثوان ثم قلت له...

-هل معك شطيرة لي ؟

بصعوبة رفع حقيبته المدرسية عن الأرض ليخرج شطيرة لا معالم لها ، كأنما تم سحقها تحت ألف قطار...

-أهذه شطيرة أم علكة تم بصقها ؟ أليس معك ما هو أفضل حالاً من تلك ؟

هز رأسه في صمت نافياً...

تشممت كتلة العجين تلك في تقزز ثم تناولت منها قطعة صغيرة متربصا ، لم أجدها بهذا السوء فمن الواضح أنها لم تمكث كثيراً في حقيبته حتي تتعفن بفعل الحرارة و الرطوبة...
-عندما كنت في مثل سنك كنت أعود بشطائري كاملة للمنزل ، **إنك تتمتع بشهية غير عادية بالنسبة لطفل في مثل عمرك**.
-أمي تقول لي ....

-نعم نعم و كذلك أمي كانت تقول ، السؤال **هنا هو أين أنت من كل هذا ؟**

نظر لي في غباء طفولي فأدركت أنه لم يفهم شيئا...

-مع من جئت إلي هنا ؟

-مع أمي.

-**و أين أبيك**.

-**كان معنا و لكن سافر منذ قليل**.

نظرت له في أسي رغم انني لم اجد ما يدعوا للتعاطف معه ، **إن الموت نشاط روتيني يحدث في كل لحظة لكل الناس**...

-من قال لك أنه سافر ؟

-أمي.

-**و هل تصدقها ؟**

نظر لي لثوان ثم هز رأسه بالإيجاب ، نعم..**إن الأمهات لا يكذبون مهما كان الأمر ، ليس هذا بالغريب فإذا كانت الأم كاذبة في نظر طفلها فمن سيصدق بعد ذ**لك...

-**حسناً إسمعني جيداً ، أبيك لم يسافر ، أبيك قد مات ، و قد كذبت عليك أمك لأنها خائفة علي مشاعرك**.

نظر لي ضاحكا في سعادة غامرة ، هذا ما توقعته..إن الأطفال **لا يدركون كنه الموت و بالنسبة لهذا الطفل فإنه لا يعني سوي تغييراً في مسار رحلة ابيه لا أكثر**...

الحقيقة أن الأمر لا يتعلق بخوفنا علي مشاعر الأطفال ، فقط نحن لا نخبرهم كي لا نري ردود فعلهم التي لا تليق بالحدث...

-أين أمك الآن ؟

أشار بإصبعه خلفي فالتفت لأجد علي بعد أمتار سيدة في العقد الثالث من عمرها تتحدث في هاتفها قائلة...

-**كل شئ بخير يا حبيبي لا تقلق الطبيب طمأنني ، فقط أخبرني هل وصلت للمطار أم لا ؟**

****

بعدما غادر جلال شمرت **أكمامي متوجهة نحو المطبخ ، لكن طارق سبقني و خرج بعلبة الشوكولاتة في يده يلتهم منها في** تلذذ مستفز قائلاً...

-**لئن صادفت امرأة أخري تحب الأزهار و القطط و الشيكولاتة** فلسوف أفقد صوابي.

جذبت العلبة منه قائلة في غضب...

-**هلا تركت هذه قبل أن أخرجها من أحشائك ؟**

-أنتِ حمقاء.

-**أنا حرة في حماقاتي و ليس من حقك التدخل في هذا**.

-(**دع لي وقتاً للتفكير بالأمر**!) ، **هل تظنين نفسكِ فتاة في العشرين تتدلل علي العرسان ؟ استيقظي يا سمر**.

أخذت نفساً عميقاً و قلت في نفاذ صبر...

-**ما الذي تحاول فعله يا طارق ؟ هل تحاول إثبات شئ ما** لنفسك ؟

-أنا أحاول مساعدتك لا أكثر.

-**طارق الذي أعرفه لا يساعد أحداً إلا لأجل هدف ما خفي**.

-**سمر ، أنا لا أفهم كيف تتشدقين بكلمات الحب و الرومانسية و حين تتاح لكِ الفرصة لعلاقة حب حقيقية ترفضينها ، الرجل** يطلب منكِ الزواج.

-**لأنك أوهمته بأنني مازلت أحبه**.

-**و هل كذبت** ؟

فتحت فمي لأقول شيئاً لكن تراجعت قائلة في هدوء...

-**طارق ، لاحظ أنك تسبب لي الكثير من المشاكل مؤخراً ، لا** تجبرني علي قطع علاقتي بك.

تركته متوجهة نحو غرفتي قبل أن يقول...

-**لقد فعلت كل هذا لأنني لا أريد أن تكوني مثلي ، الوحدة ليست بالشئ الرائع يا سمر صدقيني**.

التفت نحوه قائلة...

-**أنت من يقول هذا ؟**

-**نعم أنا من يقول هذا ، الوحدة لا تغير شيئاً سوي أنها تجعلنا نري الحياة من زاوية مختلفة ، لكن في النهاية تبقي الدنيا هي الدنيا لا تتغير بحزننا أو بفرحنا**.

ظللت ناظرة نحوه في صمت لثوان و قلت متوجهة نحو غرفتي...

-أنت تقو**ل هذا لأجلي ، لكنك لن تتغير أبداً**.

(10)

قال طارق:

برغم آرائي المسبقة عن الدكتورة هدي ، إلا أنني لم أكن قد كونت نظريتي الخاصة بشأنها ، و أنا لا أهتم بتكوين نظرية بشأن أحدهم إلا حين أتخذ قراراً بالتحدث معه بشئ من الجدية ، و قد كان **علاجي هو تلك الجدية**...

فحين تتضح لك جوانب شخصية ذلك الذي أمامك يمكنك حينها التنبؤ ليس بما سيقول و لكن بما سيهتم به في كلماتك التي ستقولها ، بما سيهتم به فيك أنت...

و برغم أن الأطباء النفسيون لابد و ألا تتأثر قدراتهم التشخيصية بأرائهم الخاصة أو تحيزاتهم المسبقة ، إلا أن الموضوعية هي فكرة أسطورية في زمن كهذا ، صفة يندر أن تجدها متوفرة حتي بالعلماء الذين قاموا بصياغة مصطلح الموضوعية ذاتها...

-**طارق لقد أخطأت حين توقفت عن تناول العقار.**

-**أعلم و لكنني لن أظل أحيا علي تلك الأشياء ، أنا أؤمن بأن هناك طرقاً أكثر تأثيراً من الأدوية.**

-**هناك بالطبع ، هناك أن تكف عن لعب دور الوغد المنعزل عن** ذلك العالم الغبي الفوضوي ، لكنك سترفض تلك الفكرة في **النهاية و لن يتبقي سوي الأدوية تجعلك محتفظاً بعقلك حتي حين.**

أعجبتني الدكتورة هدي ، و راقت لي طريقتها المباشرة في العلاج ، تلك **الطبيبة لم تتخذ أسلوباً متدرجاً في العلاج كما يفعل الجميع بل تجاوزت كل ذلك لتريح رأسها من إجرائات لا لزوم لها**...

بعد دقائق اقتحمت الغرفة طفلة صغيرة بلباس مدرسي كئيب و حقيبة مدرسية ضخمة فاحتضنتها الدكتورة هدي قائلة...

-**ماذا قلنا عن الدخول بغير استئذان ألم أ**خبركِ ألف مرة أن تطرقي الباب أولاً ؟

-آسفة.

-**الأسف غير كاف ، و الآن أخرجي و أطرقي الباب مجدداً**.

هكذا خرجت الفتاة منزعجة و أغلقت الباب خلفها...

-**أختك الصغيرة ؟**

-لا ، إبنتي.

رفعت حاجباي مندهشاً و قلت...

-**ماذا ؟ هل أنت متزوجة ؟**

-**حسناً أدخلي يا صغيرتي ، عفواً** طارق ماذا كنت تقول ؟

-**أقول هل أنتِ متزوجة ؟**

مطت شفتيها قائلة...

-كنت كذلك.

غادرت المكتب و علي وجهي ابتسامة رضا ، (مطلقة) **هي القطعة الاخيرة الناقصة كي تصبح نظريتي بشأنها مكتملة ، ظننت في البداية أنها معيدة بالجامعة لأنه**-لسبب ما-تتمتع **المعيدات بشئ من التسلط ، لكن الأمر الآن صار منطقياً أكثر بعد تأكدي من وجود وغد سابق في حياتها**...

****

توقف طارق عن السرد فجأة قائلاً في تردد...

-**ما الذي كان يحدث بينكِ و بين جلال ؟**

استندت بذقني علي مرفقاي قائلة...

-**لن يساعدك هذا صدقني**.

-لن يساعدني في ماذا ؟

-أنت تحاول معرفة ما إذا كانت مشاعرك تجاه أوديت صادقة بالفعل أم لا ، و تظن أنك ستجد الإجابة بحوزتي.

مط شفتيه قائلاً...

-**أشعر أنني جاهل**.

-**أنت كذلك بالفعل ، بل إنك مازلت كائناً أولياً لم يرقي بعد لمرتبة الإنسانية ، و كل من لم يمر بخبرة عاطفية ما هو كذلك**.

رفع حاجبيه قائلاً في هدوء...

-**هذه إهانة**.

قلت بينما أعيد ارتداء نظارتي...

-هذه حقيقة.

* * * *

ليس هذا أسوأ ما مررت به...

فلقد خبرت جلسات كهذه قبلاً و كانت النتيجة واحدة في النهاية ، الصمت...

فلا أفهم كيف يجد الجميع اجابة لجميع الأسئلة ، هل ارتشيت من قبل ؟ بضع مرات ، هل قتلت أحدا ؟ لا أذكر تحديدا ، هل اشتركت في حفر السد العالي ؟ بالطبع و من لم يفعل... **أحيانا أشعر أني عديم الخبرة لم أخاطر في حياتي و لم أغامر بينما الجميع مستلا سيوفه رافعا إياها في صحراء الحياة...**

لكن الملل الحقيقي في الجلسة يبدأ حين تنتهي الخبرات ، حينها لا يجد الواحد من هؤلاء سوي التحدث عن تفاصيل لا علاقة لها ببعضها ، أو يحاول أن يصف صراعاته الداخلية بصورة قمة في الفوضي و العشوائية...

خذ عندك مثلاً...

-لا أعلم ، أحياناً أشعر أنني لا أطيق التحدث مع أحد ، و أريد تهشيم كل شئ أمامي...

أو مثلاً...

-أحيانا أشعر أنني أريد الصراخ في وجه الجميع ، لأنه لا أحد يفهمني ولا أحد يقدر مجهوداتي أو قدراتي...

أو نذكر مثلاً...

-**لا أظن أن هناك حب حقيقي في هذا العالم ، إن خبرتي مع الوغد الأخير تؤكد أنه لا رجال أساساً بهذا العالم**... **و الخلاصة التي توصلت لها أن صورة الذات عند أغلب الرجال** تتل**خص في كلمات كهذه** (**حظي في الدنيا قليل**-لا أحد يقدر **مجهوداتي-العالم الخارجي هو بعض الحمقي الذين لم يتوصلوا و لن يتوصلوا لما توصلت اليه في حياتي**-خبرتي في **الحياة لا تقدر بثمن و لا انقلها الا لمن يستحق**) **بينما صورة الذات لدي الفتيات تتلخص في كلمات كهذه** (أنا كالحل**م زاهي الألوان أستحق أن أكون أميرة الأميرات في أعظم قصة حب** في التاريخ-**كل الرجال أوغاد بكروش متدلية-أنا ضعيفة في هذه الدنيا جرحني بعض الوحوش الآدمية المسماة بالرجال**-لم **يقدر احد مجهوداتي حتي الآن**-برغم كل ذلك مازلت أحلم بمن يقدر مشاعري)

لا أعلم الكثير عن النفوس البشرية بشكل عام لكن ما أراه **أمامي نفوسا مريضة أدعو الله ان تكون كذلك فقط لأنها كذلك و ليس لأنها جزء من الكل الكبير**...

برغم ذلك فقد كانت الحالات الخطرة التي ألفتها بالمصحة أقل مللاً من أولئك الذين يعانون من بعض (**الزغزغة النفسية**)...
-طارق ، ألا تريد أن **تقول شيئاً ؟**

نظرت لها لثوان ثم قلت متحمسا...

-بالطبع أريد.

-تفضل إذن.

-أين الحمام ؟

قالت بينما تعدل من وضع حجابها...

-**خلفك علي الشمال ، هل أنت متأكد من أنه ليس لديك ماهو أهم منذ ذلك لتقوله ؟**

قلت في حماس متزايد...

-**لدي بالطبع ، كم تبقي من الوقت علي نهاية** الجلسة ؟

قالت في نفاذ صبر...

-**طارق ليس العلاج مجرد** مراقبة الآخرين عن كثب ، **عليك أن تشاركنا ذاتك ، عليك أن تفتح قلبك لنا ، لابد أنك واقع تحت بعض الضغط مثلنا جميعاً**.

-**كل هؤلاء الشباب جائوا هنا لأنهم شعروا بأنهم منبوذين من** الناس ، أرادوا أن يصبحوا أفضل فقط لأجل الناس.

ردت إحدي الفتيات بلهجة شبه عدوانية...

-**ربما كان كلامك صحيح جزئياً لكن الحقيقة أنه لا أحد يحب أن يشعر بأنه منبوذ ، أنت نفسك لا تحب هذا بالتأكيد.**

-**خمني ماذا ؟ أنا لا أهتم ، فليذهب الناس إلي الجحيم ، و ليبحث كل منهم عن عيوبه أولاً**.

تدخلت الدكتورة **هدي قائلة**...

-**هذا ما يقوله الناس دائماً يا طارق و لو ظل الجميع يقول هذا فلن نتقدم خطوة واحدة للأمام ، إذا كان علي أحدهم أن يبحث عن عيوبه و يصلحها فلماذا لا نكون نحن اولاً ؟**

-**هذه مثالية زائدة عن الحد.**

-**أعلم ، و لسبب كهذا فإن عددكم محدود للغاية.**

لم أضف شيئاً ، فقط التزمت الصمت فقالت مستطردة...

-**إن كنت تشعر أنك لا تنتمي لهذا المكان فبإمكانك إلغاء عقدك** في أي وقت.

-**أنا بالفعل لا أنتمي لهذا المكان ، لكن الأمر يستحق التجربة** علي كل حال.

****

توقفت عن الكتابة و قلت في سأم...

-**أريد الخروج ، إقترح لي مكاناً نذهب إليه**.

فتح فمه ليقول شيئاً فقاطعته قائلة...

-**مكان غير بينوس كافيه**.

حك ذقنه قائلاً...

-**اممم ، هناك ذلك الحفل في ساقية الصاوي**.

-حفل ماذا ؟

-**فلامنكو ، فرقة روسية**.

-**هل أبدو لك امرأة تهوي رقصة الفلامنكو ؟**

-**في الواقع لا أعلم كي يمكن لشئ كهذا أن** (يبدو) علي الواحد منا ، لكنني أحب رقصة الفلامنكو.

-**غريب ، لا تبدو كأحد المحبين لرقصة الفلامنكو**.

-**بالضبط لأن شئ كهذا لا يصلح لأن يبدو علي أحد ، لا تتوقعي مني أن أسير ليل نهار في الشوارع أعزف الجيتار و أضرب** الأرض بحذائي.

-**أنت لن تفهم وجهة نظري أبداً**.

-**ولا أريد أن أفهمها ، هل ستأتين معي أم لا ؟**

قلت بينما أغلق اللاب توب...

-**إذهب و امسح السيارة جيداً بينما أرتدي ملابسي**.

توجه نحو باب الشقة و علي وجهه ابتسامة خفية أعرفها جيداً ، فناديته قائلة...

-**إسمع ، لم أوافق علي الذهاب معك لأن بداخلي فضول نحو ميولك الداخلية كما لابد أنك تظن ، أنا آتية لأنني لا أعرف مكاناً آخر اذهب إليه ، كما أنها ستكون تجربة جديدة تستحق الــ**....

-**ما كل هذه الثرثرة ؟**

****

قال طارق :

لم أنعم بلحظة صفاء ليلية كهذه منذ زمن ، و بهذه المناسبة فإنني .....
-طاااااااااااارق ، يا طاااااااااااارق.

نظرت من النافذة فزعاً فوجدت حماصة بالأسفل ، و لكن في **وضع لا يحسد عليه**...

-حماصة ، أين ملابسك ؟

-**و هل انتبهت فقط لملابسي و لم تنتبه لجسدي الذي تهشم ؟**
إلحق بي إلي شقتي سريعاً و احضر معك قطن و بعض **الميكروكروم**.

و بعد دقائق ذهبت لشقته فوجدت الباب مفتوحاً...
-أدخل يا طارق لا تخجل ، من المحتمل **أن أكتب لك هذه الشقة في وصيتي بعد قليل**.

-**نعم تكتب لي الشقة التي تدخلها متسللاً كل ليلة خشية أن تطالبك صاحبة البيت بالإيجار ، أخبرني ما الذي فعل بك هذا**.
رد متألماً...

-آآآه ، كنت في فرح أحد أصدقائي .

سحبت قطعة قطن قائلاً...

-**أها صار الأمر واضحاً إذن بكلمة واحدة ، فرح ، و هذا يعني أنك** حتماً غازلت أخت العريس أو ابنة خالته أو أخت العروسة أو **العروسة ذاتها ، فأنا أعرفك جيداً**.

-أبداً و شرفك ، عائلة العريس و عائلة العروس الإثنان جديران بأكبر محرقة في التاريخ.

فتحت زجاجة الميكروكروم و سكبت نصفها علي وجهه قائلاً...

-إذن ماذا حدث ؟

-**في الواقع يصعب شرح أمر كهذا ، الراقصة**.

-**ماذا بها ؟**

-**تهتز كثيراً**.

-**هذه وظيفتها**.

-**تهتز بصورة مبالغ فيها**.

خطر ببالي شئ ما فتوقفت قائلاً...

-ماذا فعلت بالضبط يا حماصة ؟

-**لقد كان مقصدي خيراً صدقني ، فلطالما رأيت الرجال يلقون** بالنقطة **فوق الراقصة بالضبط دون أخطاء ، و حين أقدمت أنا** علي المحاولة كانت (بنت الرفضي) **كالبرغوث لا تهدأ في مكان ، لم أستطع تصويب النقطة فوقها ولا مرة ، إحترق دمي ، أعطيتها بالـ**(**روسية**) **في رأسها**.

نظرت له في دهشة فاغراً فاهي فقال...

-**هذا هو بالضبط ذات التعبير الذي كان علي وجهي و أنا** (بتروق) **بعدها**.

-و بالطبع (**السيكيوريتي**) **الخاص بها هو الذي قام بـ**(ترويقك).
نظر لي في آسي ثم انفجر باكيا و قال...

-**أنت رجل طيب يا طارق ، مثل هذه المرأة لا تحتاج لهذه الأدوية التي تتحدث عنها ، إنها ذاتية الدفاع**.

نظرت له غير مصدقا نفسي...

-الرا**قصة فعلت بك كل هذا ؟**

-**لقد انكسر كبريائي يا طارق ، كانت يدها فولاذية و صلبة للغاية و شعرت فجأة أنني كالدجاجة بين يديها ، إنها حتي لم تتركني أذهب بملابسي**.

-**فلتحمد الله أنها تركت لك البوكسر**.

-**أنا أحمد الله أنني مازلت حياً**.

هنا دق أحدهم الباب بعنف قائلاً...

-أنت يا من تدعي حماصة ، إفتح (**بدل ما اطربقها علي دماغك**

و دماغ اللي *****).

وثب حماصة من فراشه و اختبأ أسفل مرتبة السرير قائلاً في **هلع**...

-**نهار اسسسود ، إقفز من النافذة بسرعة يا طارق و انفذ** بجلدك.
أجبته محاولاً الإختباء داخل الثلاجة...

-**هل تبعتك الراقصة إلي هنا أم ماذا ؟**

-**إنها صاحبة البيت تريد إيجار تسعة شهور**.

-**فزعتني يا أخي ، و مم أنت خائف سنحاول التحدث معها**.
-**ألم أخبرك أنك طيب ؟ إنها قادرة علي مضغي كالعلكة**.
-يا ساتر يا رب ، **و ماذا يعني هذا أليس هناك وسيلة أفضل للتفاهم ؟ أنا لن أختبئ من سيدة علي آخر الزمن**.

جاء الصوت من الخارج مرة أخري قائلاً...

-**إفتح أيها العفن الجربان قبل أن أفرج عليك الشارع و الشوارع** التي حولنا.

اتجهت نحو الباب و فتحته في شموخ و عزة قائلاً...
-ما الأمر يا مدام ؟ لماذا أنتِ عصبية هكذا ؟ ألا تعلمين أن للبيوت حرمة ؟

-(و ده يطلع اي ده كمان ، إن**تا مين يالا ؟**).

رددت عليها بينما أمد يدي المرتجفة قائلا...

-بدون إهانات من فضلك ، مع حضرتك طارق حسين من المنزل المقابل ، نحن جيران.

و اختصاراً للوقت فإنه بعد محاولة طويلة لخلق نوع من التفاهم شعرت بعدم جدوي الحديث مع هذه السيدة سليطة اللسان ، و قررت الإنسحاب كالنبلاء...

-بدون أعتدائات جسدية من فضلك أنتِ سيدة كبيرة و أنا لا أريد أن أتصرف تصرفاً غير لائق.

-(**يا جدع انتا كلمني كلام افهمه الله يخرب بيت النت اللي بوظ لغتكوا ، ما تقول ياض فين حماصة و تخلصني**).
-حسناً ، من فضلك أولاً دعي ياقة القميص لأنه جديد ، و الآن **هل تريدين حماصة ؟**

-نعم.
-ستدخلين سيادتكِ لتلك الحجرة و ستجدين مرتبة الفراش ترتعش ، واضح كلامي ؟

هكذا تركت لها الطريق مفتوحاً نحو غرفته بينما أطلقت ساقي للريح سامعاً صراخ أحدهم خلفي ، فيما بعد سأجد الوقت الكافي للتأثر و البكاء و تحضير الكفن...

فإن **الرجل ليكون رجلا بشجاعته في الإقدام ، و بحكمته في الإنسحاب ، متي ينسحب ، و كيف ينسحب**...

****

لم يكن الحفل قد بدأ بعد ، لكن طارق كان متحمساً للغاية علي **غير عادته ، و هذا دفعني للتساؤل**...

-أنت تتحمس لآخر ما قد يخطر ببالي يوماً.

-**أحب دائماً أن أكون غير متوقع**.

-**هذا لا ينفي أن لتفضيلاتك تلك قصة ما ، لا تقنعني أنك تتحمس لتلك الأشياء فقط كي تكون غير متوقع في نظر** الآخرين ، لابد أن لديك أسبابك الخاصة.

نظر نحوي بنظرة لا معني لها فاستكملت قائلة...

-**و التي لن تصارحني بها أبداً**.

-لم أعن بتلك النظرة أنني لا أريد مصارحتك بأسبابي ، و لكني **أخبرتك مسبقاً أنه ليس شرطاً أن تكون أسبابي دائماً ورائها** قصة ما ، مثلاً أنا أحب التفاح لأنني أحب التفاح و لست ملزماً **بعمل قصيدة غزل في جمال التفاح**.

-**أعذرني أنت من عودني علي ذلك ، دائماً تسرد إحدي قوانينك** الخاصة كلما سألتك عن سبب شئ ما تفعله **أو صفة ما فيك**.

-**كل القوانين في النهاية ستؤول إلي العدم ، ستتفكك و تتبسط ، و في النهاية لن يبقي شئ**.

تأملته لثوان و قلت...

-حسناً هل لديك قصة ما مع الفلامنكو ؟

-في الواقع لا ، و لكنه يصادف موقف ما أرتاح نفسياً كلما أتذكره ، و لا أتذكره غالباً إلا حين أستمع لموسيقي الفلامنكو ، إنه إرتباط شرطي لو كنت تفهمين قصدي.

* * * *

في الجلسة التالية كنت حاضراً ، لكني لم اكن حاضراً...

حاضراً بجسدي و غائباً بذهني مع تلك الموسيقي التي تملأ المكان ، فللمرة الأولي منذ جئت لهذا المكان يقومون بتشغيل تلك الموسيقي التي عرفت فيما بعد أن اسمها فلامنكو ، و أنا لا أعرف عن الفلامنكو الكثير لكني أظنه رقصة إسبانية أو مكسيكية أو إيطالية ، لا أدري حقاً فأنا دائماً أخلط بين الثقافات الثلاث...

من وقت لآخر كانت تحين مني نظرة نحو إحدي الفتيات الجالسات معنا بالمجموعة ، لم أتبين جيداً ما كانت تقوله لكنني أذكر أنها كانت منفعلة للغاية تتحدث بطريقة لأقرب للبكاء...

لأسباب كهذه تحتفظ أوديت باحترامها الخاص داخلي ، إذ أنها برغم كل شئ لم تبك أمامي لحظة واحدة ، لم تستغل كونها أنثي لتجهش في البكاء عالمة أنه لن يلومها أحد لأنها أنثي و من حقها البكاء في أي وقت و مكان...

(تبدأ الموسيقي بصوت حذاء يضرب الأرض في صدي مسبباً إيقاعاً محبب للنفس)

و لا أخفي عليكم أمراً ، إن مشاهدة بكاء شخص ناضج لهو أمر مسل حقا ، لست أدري ما الذي يدفع الآخرين لتهدئتهم و قطع عرض ممتع كهذا في منتصفه...

لذا فإن أفضل مافي جلسات العلاج الجماعي انك لا تجد من **يجبرك علي الصمت ، فلتتكلم كما تشاء و لتبك كما تشاء ، فهذا يرضي جميع الأطراف** : **الباكي و المشاهد**...

(**يبدأ غيتار في العزف مصاحبا إيقاع ضربات الحذاء**) **لكن الفتاة اللعينة لم تكتف بذلك ، بل بدأت في نوبة هيستريا من تلك التي رأيتها مرارا في المصحة ، هكذا توقعت أن أري ذات مشهد الصفعات العلاجية المعتاد ، و أرجعت ظهري للخلف** استعدادا لبعض الإثارة الممتعة...

(**تشتد الموسيقي و تبدأ ضربات الحذاء في الإسراع من إيقاعها و معها يسرع الغيتار إيقاعه**)

و لكن ليس كل ما يتمناه المرء يلقاه ، فأحيانا قد تضطر لاستكمال **السيناريو بنفسك ، خاصة إذا كانت الطبيبة المعالجة لا تفقه شيئا عن علاج نوبات الهستيريا**...

هكذا قمت من مقعدي متأففا نحو الفتاة محاولا اختراق الزحام المتفرج ، إن مشاهدة مريض نفسي ليس شيئا يتكرر كل يوم...

-**دعيني أتولي أمرها يا دكتورة هدي**.

-طارق عد لمكانك ، الآن.

-**صدقيني لن تهدأ أبداً بهذه الطريقة ، لابد من صفعها**.
(**يبدأ عزف جاز مصاحبا لإيقاع ضربات الحذاء و الجيتار**)
كانت الفتاة تصرخ في غير انقطاع حتي كادت تخرق طبلتي اذني ، هكذا لم أنتظر أوامر الطبيبة المتسلطة و اطلقت يداي

علي خدي الفتاة المزعجة وسط نظرات الناس ال**مذهولين ، حقاً إنني أجازف بما أفعله ، فلو اعتقد أحدهم أنني اعتدي عليها لتوالي الجمع معه ليقوم بالواجب و يحولوني في ثوان** إلي قطعة كباب حلة ، لكن من حسن حظي أن الفتاة بدأت **تهدأ و معها هدأت أعصابي**...

(**تصل الموسيقي لذروتها و تنتهي ضربات الحذاء بضربة قوية ،** ثم **تنتهي الموسيقي**)

حينها صفقت بيدي في وجه المتجمهرين قائلا...

-**حسناً أيها السادة انتهي العرض ، إنتظرونا الأسبوع القادم مع** حالة أخري جديدة.

التفت الي الدكتورة هدي فوجدتها تنظر لي في غل ، من الواضح أنني أخطأت في شئ ما...

-أنت مطرود.

-**و هل كنت أعمل سكرتيراً لديكِ** دون أن أعلم ؟

-**مطرود تعني أنني سأقوم بإلغاء عقدك مع الجمعية ، ولا أريد رؤيتك في مجموعتي ثانية**.

توقعت هذا منها لكنني لست معتاداً علي إبداء انفعالاتي وفقاً لتوقعاتي عن الآخرين ، إن بعض التصنع قد ينقذك أحيانا...
-**هل تطردينني لأنني قمت بعلاج مريضة ؟**
-لا ، ب**ل لأنك تدخلت في غير اختصاصك.**

-**غير صحيح ، وصف برنامج العلاج كان يقول ان العلاج قائم علي المشاركة الوجدانية بين أطراف المجموعة ، لقد قرأت ذلك** بالعقد.
-حقاً ؟ و لماذا لم تتذكر ذلك إلا الآن ؟

-**لأنني لم أفهم في البداية ماذا تعني (مشاركة وجدانية)** من الأساس.
-و **الآن تفهم ؟**

-كما ترين.

-**المشاركة لا تعني أن تظل شارداً طوال الوقت و حين يقتضي الأمر صفع إحداهن تهب مستجيباً لنداء الواجب ، المشاركة** تعني أن تشاركنا أفكارك و تصبح واحد منا ، ثم دعني أسألك **هل تقبل أن تصفعك فتاة لأي سبب كان ؟**

قطبت جبيني في ذهول قائلاً بصوت خفيض...

-**هل تعرفين فتاة تدعي أوديت ؟**

قاطعتنا الفتاة و قالت متظاهرة بالوهن...

-**لا داعي للشجار يا دكتورة هدي لقد صرت بحال أفضل الآن**. **هكذا أخذت الدكتورة هدي نفساً عميقاً و رفعت سبابتها في وجهي قائلة**...

-**هذا آخر إنذار لك يا طارق ، إن كنت لن تلتزم ببرنامج العلاج فلتترك هذا المقعد لمن يحتاجه**.

فتحت فمي لأقول شيئاً فقاطعتني قائلة...

-**أعلم أنك لا تري أحداً بحاجة لهذا العلاج الغريب ، و ربما لست مقتنعاً بجدوي أهداف الجمعية من الأساس ، لكن هذا لا يمنحك** الحق في إفساد الأمور.

(11)

في الصباح الباكر وجد طارق من يطرق بابه في عنف ، و **كالعادة أطل برأسه المنكوش من الشرفة منزعجاً بعيون نصف** مفتوحة قائلاً...

-**لمعلوماتِك ، حتي الأوغاد يحتاجون للنوم أحياناً**.

-طارق ارتدي ملابسك و تعال معي .

-**دعيني أخمن ، مغامرة جديدة ، سنطوف الشوارع سوياً في هذا الوقت لنبيع اللبن** المغشوش.

-**لا ، سنذهب لجلال في منزله الجديد**.

-**سيطردنا حتماً هذا لو استيقظ ليفتح لنا الباب من الأساس**.

-طارق أنا قلقة منذ الأمس ، أخشي أن يكون قد فعل بنفسه **شئ ما ، نظرته حين غادر كانت مليئة باليأس**.

- **و لماذا تحتاجين لرفقتي ؟**

-**أهذه هي الرجولة حقاً ؟ فلنفرض أ**نه قام بقتل نفسه من **سيكسر لي باب شقته كي ندخل و نجلب جثته ؟**

فغر فاهه لثوان ثم قال...

-**أولاً سبق و أن نصحتك بالإمتناع عن مشاهدة الأفلام الرومانسية الحمقاء ، ثانياً أنتِ تضعين لنفسك قيمة خيالية للغاية ، ليس جلال من ذلك النوع الذي قد يقتل نفسه من أجل** امرأة ما حتي و لو كانت ملكة انجلترا.

-**هل تدرك أن الشارع كله قد استمع لقصتي الآن ؟**

-لا يوجد أحمق سواي مستيقظ في هذا الشارع الآن كي يستمع لأحاديثك السخيفة.

****

قال طارق :

لا أنكر أنني شعرت ببعض مشاعر الذنب نحو حماصة ، إلي حد ما...

لم تكن الإصابات خطرة للغاية ، لم يكن ملتحفاً بالقطن و الشاش كما كنت أتصور أني سأراه ، فقط بعض الكدمات في **وجهه زادت من وسامته كسائق توكتوك**...

-أعذرني يا حماصة ، أعلم أنني أخطأت لكني لم أتوقع أن **النساء صرن هكذا مؤخراً**.

في تلك الأثناء كنا نجلس سوياً بذلك المقهي الموجود بالشارع الرئيسي ، و كان حماصة علي الرغم من إصابته إلا أنه لم يفقد **حماسه المعهود في ممارسة هوايته المفضلة ، التحديق بالفتيات**...

-النساء مازلن كما هن يا طارق ، أما هؤلاء الذين تتحدث عنهم فهم ليسوا ببشر من الأساس.

مططت شفتي قائلاً...

-قل لي يا حماصة ، هل أحببت من قبل ؟

-أحببت ؟ و هل وصل بي الحال لهذا إلا بسبب الحب ؟

-حقاً ؟ هل هي من منطقتنا ؟

-نورا ابنة الحاج عبد الرحمن ، إنها تسكن في البيت الملاصق لبيتك.

حككت ذقني محاولاً تذكر الإسم حتي تذكرتها بالفعل ، فتاة هي نموذج آخر يمثل فئة معينة من الفتيات في منطقة بولاق الدكرور ، حيث ترتدي الفتاة منهم تلك العباءة السوداء الضيقة و المطرزة من الخلف ، و تلف وجهها بحوالي 94735105 طرحة **بجميع الألوان و الدرجات ، و تلطخ وجهها ببعض المستحضرات الرخيصة و المتوفرة دائماً و أبداً في محلات** (2.5) ، و تحمل **دائماً بيدها حافظة نقود** (بوك) **و هاتف صيني معلقة به ميدالية تحمل أول حرف من اسمها ، كما أنه لابد و أن تكون لها علاقة** (أخوة) **بأحد سائقي التوكتوك بالمنطقة كي يقوم بتوصيلها مجاناً حيث شائت...**

-نعم ، إنها فتاة رائعة و...محترمة للغاية ، أحسنت الاختيار يا حماصة.

-عقبالك يا صديقي.

-في الواقع لست أدري حتي الآن.

-لست تدري ماذا ؟

-لست أدري هل أنا واقع بالحب حقاً أم أنني موهوم ؟

-لا تقلق ، كل شئ يأتي في الوقت المناسب.

نعم ، الوقت المناسب ، لماذا لا يكون الآن هو الوقت المناسب ؟!

-قل لي يا حماصة ، هل تعرف لصاً متخصصاً في اقتحام المنازل ؟

****

ما أن فتح لنا جلال الباب متسائلاً حتي دفعه طارق إلي الداخل قائلاً...

-صباح الخير أيها البائس لقد جئنا نحتفل بدخولك عالم الوحدة الرائع..و ربما ننام عندك كذلك.

ظللت واقفة علي مدخل الشقة في خجل فنظر لي جلال متسائلاً...

-ما سر تلك الزيارة المفاجئة ؟

-تباً كنت أعلم أن هذا السؤال قادم لا محالة.

-ربما لو كانت زيارتكِ في وقت معقول لكنت ابتلعتها ، أما السابعة صباحاً ؟ لابد أن هناك شئ ما.

-في الواقع..**أردت الاطمئنان علي حالك ، كيف تبلي في منزلك** الجديد ، وحدك ، بدون امرأة ، و لم استطع الانتظار حتي **الظهيرة لأنك ستكون في عملك حتماً**.

ابتسم قائلاً...

-سبب غير مقنع لكني سأتظاهر بالإقتناع ، لحظة سأعد لكما بعض الشاي.

في تلك الأثناء لمحت طارق في شرفة المنزل يجري اتصالاً ما ، **يتذمر من الذهاب للناس في السابعة صباحاً لكنه لا يمانع الإتصال بهم في ذات الوقت**...

-**إستيقظ يا أحمد سامي ، أيها الملاك المتمثل في صورة بشر ، أظنني عرفت لماذا أنت هكذا ، فقط أخبرني أولاً هل استولت** زوجتك السابقة علي المنزل أيضاً ؟

****

كان الأخ (عكشة) **يتمتم بكلمات غير مفهومة بينما كان يعالج** قفل الباب ، **لكني خمنت أنه يتزمر من طبيعة المهمة التي كلفته بها ، اقتحام مكتب الدكتورة التزام**...
لم **أكن لأجد مشاكل في هذا لو كنت مازلت واحداً من نزلاء المصحة ، خاصة في وجود فاعل خير مثل عم طلعت الفراش أو التمرجي أو المريض ، لكن الأمور تغيرت مع الأسف و لابد من الاستعانة بوسائل أخري خارجية**...

-آخر ما كنت أتوقعه يوما أن أشارك في سرقة مستشفي **مجانين** ، و الأ**سوأ أن مديرتها تدعي** (التزام) ، **أي إسم هذا ؟**
-**اولا اسمها مصحة ثانيا نحن لن نسرق شيئاً ، أما ثالثاً و هو الأهم فهو أن الدكتورة التزام ليست جديرة بإسمها حقاً و صدقني أنا أعرف ما أقول جيداً**.

-رائع ، إذن تريد الدخول لإلقاء نظرة فحسب.

-**هذا صحيح إلي حد ما**.

-ماذا **؟ هل تمزح ؟**

-**لا بل هي الحقيقة ، سندخل للإطلاع علي شئ ما لدقائق ثم نخرج في هدوء دون أن نترك أثرا ، لهذا طلبت لصا محترفا مثلك**.
-**هذه العملية حقا إهانة لمكانتي في عالم السرقة ، لقد نهبت منازل أغني أغنياء البلد و الآن ينحدر بي الحال إلي هذا**.
-أنت لا تقدم خدماتك **مجاناً علي كل حال ، و الآن هلا فتحت** الباب في صمت ؟

هكذا بمجرد أن انفتح الباب حتي وجدته قادماً معي...

-إلي أين ؟

-سأدخل معك.

-لا ، أنت ستراقب الطريق ، أنا سأدخل ، ولو مر من أمامك عم **طلعت الفراش لا تصب بالذعر ، فقط اعطه خمسون جنيهاً** ولسوف يقسم أنه لم يرك يوماً **في حياته**.

****

-لا أصدق أنك فعلت ذلك حقاً.

-**أنا اقتحم شقتكِ متي أريد لماذا تجدين في هذا غرابة ؟**

-لست أقصد فكرة الإقتحام بل فكرة أن تنساق خلف فضولك ، **أنت حقاً أردت بشدة معرفة ما حدث بينك و بين أوديت**.

-**الأولوية لفكرة أنني اقتحمت هذا المكتب سابقاً و تصفحت ملفها الشبه فارغ ، و لهذا أردت العودة كي أري طبيعة ما حدث بعد مقابلتي لها ، الأثر الذي تركته في حياتها ، هكذا يمكنني المقارنة بين** (قبل) و (بعد).

-**هل تري ؟ هذا هو بالضبط ما أتحدث عنه ، إنك تتجنب دائماً إظهار نفسك في موقف نبيل ، تتعمد دائماً إثبات أن تصرفاتك كلها ذات أصل نرجسي خالص**.

-**التجسس علي ملفات المرضي ليس موقف نبيل**.

-تعلم أنني لست أتحدث عن التجسس بل علي غرضك من **وراءه ، لماذا لا تعترف أنك أحببتها ؟**

-لأنني حتي تلك اللحظة لا أعلم حقاً تعريفاً لمشاعر الحب.

-لا يوجد شئ كهذا أنت مريض تسعي لإنكار وجود أي شئ جميل بحياتك.

أخذ نفساً عميقاً و قال مبتسماً...

-و إن يكن ؟

لم أجد ما أقوله حقاً ، إنه مقتنع بحياته هكذا و لن تغير كلماتي شيئاً ، هكذا وضعت أصابعي علي لوحة المفاتيح قائلة...

-علي كل حال ، ما الذي وجدته في ملفها ؟

-ملف من ؟

-أوديت.

-آه نعم أوديت ، في الواقع **أنا أفضل ألا أذكر شيئاً عن هذا**.

-ماذا ؟ ماذا سنكتب إذن ؟

-أكتبي أن هذه أسرار خاصة بالمرضي و قمنا بحذفها.

-لابد أنك تمزح حقاً.

-في الواقع لا ، هذا الملف بالفعل لم أخبر عنه أحداً قط.

-هل تعني أنك لن تخبرني أنا أيضاً ؟

-امممم ، أظن ذلك.

-طارق من فضلك لا تتلاعب بي.

-أنا لا أتلاعب بكِ أنا جاد حقاً في ما أقول.

-لماذا ؟ ما المشكلة في ذكرك للأمر ؟

-لو ذكرت المشكلة فقد كشفت الأمر بالكامل ، أنا أفضل الإحتفاظ بالأسباب لنفسي.

-تباً لك.

****

لا لم يتغير شئ...

نعم اقتحمت غرفة الملكة التزام التاسعة عشر ، و نعم فتحت **اللفافة التي بها السر الأعظم ، لكن المعجزة لم تحدث برغم كل شئ ، صحيح أن ما قرأته صدمني قليلاً** ، أن يدرك المرء **جانباً غريباً من شخصيته لم يكن يعلم عنه شيئاً ، هذا شئ يستحق أن أظهر له بعض التعجب ، رغم أنه متوقع...**

أو ربما كنت أهون علي نفسي المبلغ الذي دفعته لذلك اللص **ذو الكبرياء ، فأجبرت نفسي علي التعجب كي أشعر بقيمة الكشف الذي توصلت إليه...**

مرت الأيام التالية بشئ من الهدوء حتي انتهت السنة الدراسية ، لم يكن هناك شئ آخر يمكن ذكره ، حتي تلك الأيام القليلة التي كنت أذهب فيها للجامعة كنت أتجنب التحدث مع أوديت ، بل **و النظر إليها...**

ظللت محتفظاً بعملي في جمعية تنمية المجتمع ، و ظللت مواظباً قدر الإمكان علي حضور جلسات الجمعية النفسية ، و ظللت أتناول **أدويتي ، حتي جاء ذلك اليوم...**

كان نومي هادئا ، لا أحلام لا كوابيس لا مقاطعات لا زوار ليليين يعبثون بأصابعهم في أنوفهم ، هذا هو النوم المثالي الذي تستيقظ منه صافي الذهن حاد الحواس...

لم أحدثكِ عن (**الزوار الليليين الذين يعبثون بأصابعهم في أنوفهم**) ؟ حسناً **هذا شئ يطول شرحه ، فيما بعد سنتحدث عنهم و عن** (**الزوار الليليين الذين يبصقون كثيراً**)... **نظرت لهاتفي فوجدت رسالة واردة من داليا ، فتحتها متوقعاً**-كالعادة-(كلمني شكرا) ، لكنني-كالعادة أيضا-خاب ظني... (**طارق النتيجة ظهرت ، أنا ذاهبة للكلية لأراها فإن كنت ذاهباً أخبرني و إن كنت غير ذاهب فسيكون هذا أفضل**) **صحيح أن الخبرة لا تكتسب مجاناً** ، لكن **داليا** استغرقت وقتاً طويلاً حتي تدرك ما **أفضله و ما لا افضله ، و رسالة كهذه ليست الا دليل علي انها ادركت مدي كرهي للمكالمات و** الزيارات بلا موعد ، و الحق أنه حتي المكالمات لا تصلح لتحديد **المواعيد ، فهي تعد نوعا من الإنذار المسبق ، و لا يمكنك الرفض لأنك رجل ودود مهذب تحب الناس و المجتمع و تساعد الأيتام و الفقراء و ترعي عصافيرك و تسقي زرعك كل صباح ، فأحيانا لا يكون التحضر أكثر من كابح لجماح العدوانية بداخلنا ، أو علي الأقل هو كذلك لأمثالي...**

ألقيت الهاتف علي الفراش و خرجت إلي الشرفة لأجد السماء **أسفل المنزل ، هلاوس صباحية افتقدتها منذ زمن ، إن عدم المواظبة علي العلاج ليوم واحد يعني فقدان السيطرة بشكل كامل و فوضي عامة في الإدراك ، كأنك تملأ بالونة بالهواء حتي تنفجر متي اتيحت لها الفرصة ، فمن الواضح أن لدي تحميل** زائد في رأسي...

اتجهت نحو الحمام متثائبا كفرس النهر ممنيا نفسي بدش بارد يعيد إحيائي من جديد ، لكن الأمور لا تجري بهذه السهولة

داخل نطاق الهلاوس ، فقد كان الدش موجوداً حرفياً ، و لكن **عمليا كان مجرد** (طبق استقبال) ، إن ذكريات الطفولة **تطاردني الآن بلا سبب واضح ، كنت اخلط في صغري بين** (دش) الإستحمام و (دش) **الإستقبال الفضائي ، هذه ضريبة** ان تولد علي مشا**رف عصر التطور اللعين**... **هكذا** خرجت من الحمام منزعجاً محاولاً إيجاد سبب للشجار مع نفسي ، لكنني تناولت دوائي مستسلماً **لحقيقة مرضي** المستمر...

****

-**ألاحظ أنك تتوقف كثيراً عن السرد اليوم**.

-نعم بداخلي بعض التساؤلات.

-تساؤلات مثل ماذا ؟

-مثل (ألا ترين أن زيارتنا **لجلال هذا الصباح كانت سخيفة بعض** الشئ ؟).

-**بل تريد أن تقول أن سبب الزيارة كان غير مقنع**.

-**شئ كهذا**.

-**و أنت الآن تسعي لإثبات أنني قمت بزيارته لأنني أحبه و غير** قادرة عن الابتعاد عنه خاصة و أنه أصبح الآن رجلاً حراً.

-**امممم لا ، لم يصل بي الخيال إلي هذه الدرجة**.

-**إذن كن صريحاً معي و قل ما تريد الوصول إليه مباشرة**.

-**ما أحاول إثباته هو أنكِ توافقين علي الزواج منه ، و قد كان هذا قرارك منذ ركع أمامك طالباً الزواج**.

-**و أنت تقول هذا لأن**...؟

-**لأن الذهاب إليه في السابعة صباحاً لا يعني سوي أنكِ تخشين عليه من كثرة التفكير في كلماتك القاسية ، تخشين عليه من الظنون التي ستتلاعب برأسه ، لقد تخلت سمر عني بعدما صرت مدمراً ، كل النساء من ذات العينة**..إلخ

-إذن أنت تري أنني أوافق علي الزواج منه لكنني افتعلت الرفض من باب التمنع الأنثوي ، ثم فجأة أدركت أنني مخطئة و **أن العصفور قد يطير من ا**لقفص بسبب كلماتي الجارحة.

-**شئ كهذا**.

مططت شفتي قائلة...

-امممم ، حسناً.

-حسناً ماذا ؟

-حسناً كما تريد.

-**إذن كلامي صحيح أم لا ؟**

قلت ساخرة...

-**آها أنت تقصد حقيقة الأمر ؟ غريب ، ظننت أنك لا تهتم سوي بنظرتك الخاصة للأمور بغض النظر عن حقيقتها**.

حك ذقنه في إنزعاج قائلاً...

-**هل تحاولين الرد علي إخفائي سر أوديت ؟**

-**ما هذه الأفكار الطفولية ؟ بالطبع لا ، أنا أعقل من ذلك بكثير**.

-**هذا واضح**.

(12)

كان حماصة متوجساً مني برغم أنني من كان يجب أن تكون متوجسة أكثر ، لكنني لا ألومه علي كل حال...

-**لا أخفي عليكِ أمراً يا** (مزمزيل) سمر ، أنا لا أحبذ تكرار تلك **الخدمة من جديد ، المرة الأخيرة التي ساعدت فيها طارق جائني بعدها صديقي** (عكشة) غاضباً يشكو من تدني حال **الإجرام هذه الأيام**.

-أخبره أنني سأزيد أجره.

قال بينما يناولني كوباً مشروخاً من الشاي...

-**هل ترين ؟ الجميع يظن الأمر دائماً يتعلق بالماديات اللعينة ، لكن الحقيقة التي لا يدركها الناس أن الإجرام صار فناً لا يتقنه الكثيرون هذه الأيام ، إذ أن جميع المجرمين يتحولون في نهاية الأمر للعمل كمرشدين مع الشرطة ، قليلون هم من يملكون ذلك الإخلاص لمهنتهم و يظلون متمسكين بها رغم كل** الإغرائات.

-ما المطلوب إذن ؟

-المطلوب أن تختاروا مكاناً آخر أفضل من ذلك المكتب الذي **تتناوبون اقتحامه ، شقة علي النيل مثلاً ، محل مصوغات ، ما سر اهتمامكم بهذا المكتب علي أي حال ؟**

-**لدينا أسبابنا التي نفضل الإحتفاظ بها يا سيد حماصة ، و كما أخبرتك من فضلك لا أريد أن يعلم بهذا أحد علي الإطلاق ، لا** طارق ولا أي أحد آخر.

-**عيييييب يا أستاذة ، نحن رجال نعرف كيف نحفظ السر**.

-**أتعشم أن يكون هذا صحيحاً**.

****

قال طارق :

ربما تختلف فرحتي عن الجميع...

فإن فرحتي هي شعوري بالخلاص ، كمن خرج من الحبس بعد أعوام طويلة ، فلا أعتقد أنه سيهلل و يرقص فرحاً ، فقط يبتسم مستنشقا هواء الحرية في استعذاب بالغ ، هكذا أفرح ، و هكذا أفعل بعدما أغمض عيني عند خلاصي من كل ألم... **إذن يمكننا القول أنها سنة دراسية مضت في سلام دونما خسائر ، ربما بعض القلوب تم كسرها لكن أفضل ما** في البشر **أنهم ينسون ، ربما تستغرق جراح القلوب وقتا لكنها تلتئم إما** عاجلا أو آجلا...

مرت بي تلك اللحظات في (**بعزق كافيه**) محاولاً عمل جرد **لذكريات تلك السنة ، لا يمكنني إنكار أنها السنة الأولي التي أستنشق فيها هواء الحياة الإجتماعية ، لم يكن الأمر صعبا كما** ظننت ، إن الناس مسلون حقاً ، يمكنك قضاء بعض الاوقات **معهم لتزيح عن كاهلك عبء انتظار الموت ، ثق أن هذه من أفضل مميزاتهم**...

داليا و بشوي يتحدثون بصدد شئ ما عن المواد منخفضة التقديرات ، لماذا لا يتحدثون عن المادة التي لم يكتبوا حرفا بها و بالرغم من ذلك كانت تقدير**اتهم جيدة بشكل يثير الدهشة** ؟ **تملأ المكان أغنية** (حنا السكران) **لفيروز ، كم أعشق ايقاعها**...

بعد قليل نهض بشوي كالعادة متطوعاً لجلب الشاي ، هكذا سلطت داليا تركيزها نحوي قائلة...

-صحيح يا طارق وصلني أنك تنوي التحويل لآداب جامعة القاهرة.
-أحتاج لتقدير (**جيد**) علي الأقل حتي يمكنني التحويل.

-و هل لو حصلت علي هذا التقدير ستقوم بالتحويل ؟

-فكرة التحويل كانت موجودة فقط في بداية العام الدراسي ، **حينما كنت أري حلوان جحيماً لا يطاق ، الآن بدأت أعتاد عليها**.
-ما الذي جعلك تختار قسم علم النفس علي كل حال ؟
أجبتها مدركا أنها المرة الأولي التي أتحدث فيها معها بصورة جدية ، في الواقع لم أشاركها يوما أي شئ عن ذاتي...

-كما يقولون ، لم أجد نفسي سوي في هذا المجال.
-و السبب ؟

و لأنني كنت أعلم أن تلك اللعينة لن تهدأ حتي تعرف كل شئ ، فقد كنت بحاجة لسبب عميق و مقنع...

-منذ صغري كلما **حاولت الإهتمام بمجال ما أجد أحد هؤلاء المتحمسين لذلك المجال يذكر لي مميزاته و لماذا يحبه ، و أنا أمقت الحماس الزائد و أمقت المتحمسين ، و عموماً فأنا لا أحب الإهتمام بشئ شائع ، كل الأشياء المميزة التي أحببتها حين أجد الجميع يحبها فإنني لسبب ما أمقتها**.

-امممم ، إذن أنت لم تختار علم النفس سوي لأنه المجال الأقل ازدحاماً.
أجبت ناظراً نحو أوديت التي كانت تجول ببصرها عند بوابة المقهي باحثة عنا...

-نعم..**شئ كهذا ، و هل تعلمين شيئاً ؟ حين يحاول أحدهم الإهتمام بمجال علم النفس سيجدني في طريقه بكامل** حماسي حتي يبحث عن مجال آخر.

كانت أوديت متأنقة للغاية بصورة واضحة و مقصودة ، و كأنها ستقابل فتي أحلامها أو مطربها المحبوب ، في ذات اللحظة جاء بشوي بالشاي الساخن ليسكب بعضا منه علي بنطالي قائلاً..

-أوديت ما الأخبار ؟

-أخبار ماذا ؟

-**النتيجة**.

جلست قائلة في هدوء...

-لا أعلم ، ولا أريد أن أعلم.

فتحت خمسة أكياس من ذلك السكر عديم الطعم شاعراً برقعة الشاي الساخن تتسع شيئا فشيئا علي بنطالي ، لماذا أنا موعود دائما بالحمقي ؟

-**ما الأمر ؟ هل كان حلك بالإمتحانات سيئاً لهذه الدرجة ؟ بالله عليكم أين الملاعق ؟ هل أقلب الشاي بإصبعي مثلا ؟**

-**سأذهب للدير ، سأصبح راهبة**.

____

كان الزمان و كان في دكانة بالفي...

و بنيات و صبيان نيجي نلعب ع الحي..

بيبقا حنا السكران قاعد خلف الدكان ، يغني و تحزن بنت الجيران...

أوعي تنسيني ، أوعي تنسيني ، و اتذكري حنا السكران...

____

ساد الوجوم الجميع عدا صوت الناس من حولنا ، لا أذكر كم بقينا صامتين لكن الأمر لم يطل كثيرا ، و وجدت نفسي فجأة أقفز من مقعدي قائلاً في حماس...

-**سأذهب لأجلب ملاعق.**

للحظات لم أدرك خطورة الأمر ، أوديت راهبة...معني ذلك انني **لن أراها ثانية و إلي الأبد ، من السبب في ذلك ؟ من فضلك لا تقل أنني المذنب في كل هذا لقد كنت بعيداً عنها لشهور ، إنها فترة كافية كي تنسي اسم أبيها**...

هكذا ما أن جلبت الملاعق حتي استدرت عائداً شاعراً بالدوار و كأنني تبرعت بنصف دمي للتو ، لكني وجدتها في مواجهتي مباشرة...

-**تباً كيف تتحركين بهذه السرعة.**

-**لماذا نهضت من مقعدك ؟**

رفعت الملاعق قائلاً في همهمة غير مفهومة...

-كنت..أجلب..ملاعق.
-الشاي جاء بسكره أساساً.

-أنا أحبه بسكر زيادة.

لم ترد ف**نظرت نحو الأرض مستسلماً ، إنها اللحظة التي انتظرت قدومها بشغف ، ستعاقبك مدرستك أخيراً علي عدم ادائك للواجب ، خبر جيد لأن يداك ستكف عن التعرق ، بعض الألم و لن يكون لديك ما تقلق بشأنه بعدها**...
-لو كنت تظن ولو بنسبة 1% **أن لك علاقة بقراري هذا** فأنت **أحمق حقاً ، أنا لن ألجأ إلي الرب هرباً من علاقة فاشلة**.
لم أدر ما أقول فأجبت بذات الهمهمة...

-**هذا**..خبر..**جيد**.
-لكني برغم ذلك مازلت أحمل بداخلي بقايا تساؤلات و أتوقع منك إجابة صادقة ولو لمرة واحدة.

أمسكت وجهي في عنف غريب لتلتقي عيني بعيناها في ترقب ، **ليست لدي مشكلة في هذا و لكن ليس أمام الناس**...
-**هل سبق لك ولو للحظة واحدة أن شعرت نحوي حقاً بمشاعر** حب **؟ مشاعر جادة ، هل فكرت حتي أن تصارحني بحبك ذات مرة ثم تراجعت عن الفكرة مشمئزاً منها ؟**

كان سؤالها جريئا ينم عن محو كامل حدث لعاطفتها ، و كنت أعلم أن إجابتي لن تغير شيئاً ، هذه نبرة من اتخذ قراراً لا رجعة فيه ، و الأسوأ أنه أتخذه دونما تردد أو تفكير مسبق...

-**ما وجه استفادتك من معرفة هذا ؟**

-مجرد إشباع فضول.

نظرت لها محاولا إيجاد انفعال مناسب لموقف كهذا ، إنني حقا في غاية الإضطراب...

-أنا لا أري داعٍ لذلك السؤال حقاً...

-فقط أجبني.

مرت لحظة ترقب توقفت فيها مراكز اتخاذ القرار برأسي ، لم أعرف ماذا أقول ولا ماذا **أفعل ولا كيف ولا لماذا ، و كانت النهاية أنني تركت لساني يتخذ القرار وحده دون أي تفكير**...

-لا.

____

نحنا و العصافير كنا بالحي ندور...

صوب الدكان نطير حاملين غمار زهور...

يبقا حنا السكران بيلهو علي الحيطان ، عم بيصور بنت الجيران...

أوعي تنسيني ، أوعي تنسيني ، و اتذكري حنا السكران...

____

ارتسمت علي وجهها تلك الإبتسامة التي توقعتها ، إبتسامة الإرتياح ، نعم توقعتها لأنني أعلم تماما أنه الرد الذي أرادت سماعه ، الرد الذي سيمنحها شعوراً بالرضا الكامل عن قرارها ، الرد الذي سيجعلها علي يقين من أنها لم تضيع خلفها فرصة ما لحب صادق أو مشاعر دافئة ، ربما لو كنت أنانيا أكثر من ذلك لقلت أنها اتخذت القرار الصحيح...

حرصت علي أن أترك لها و لنفسي ولو ذكري واحدة جيدة ، لذا وجدت نفسي أقبل جبهتها في صمت ، من المؤسف استحالة الحياة مع أقرب القلوب إليك و أوضحها ، لطالما فشلت في قراءة قلوب كثيرة ، لكنني قرأت في قلبها البساطة ، و لذلك كنت أخشاه ، لأنه قلب طفلة عذراء تحب بكل صدق و إخلاص...

____

حلوة بنية الجيران راحت في ليلة عيد...

و انهدت الدكان و اتعمر بيت جديد...

بعدوا حنا السكران علي حيطان النسيان ، عم بيصور بنت الجيران...

كان الزمان و كان في دكانة بالفي ، و بنيات و صبيان نيجي نلعب ع الحي ، بيبقا حنا السكران قاعد خلف الدكان ، يغني و تحزن بنت الجيران...

أوعي تنسيني ، أوعي تنسيني...

و انتذكري حنا السكران...

____

أما عن حيرتي بخصوص حبها لي دونا عن رجال الأرض ، فيمكنني الأن أن أتفهم موقف الجميلة من الوحش...

* * * *

كان الأخ (عكشة) **يتمتم بكلمات غير مفهومة بينما كان يعالج** قفل الباب ، لكني خمنت أنه يتزمر من ذات الشئ الذي تذمر منه سابقاً مع طارق...

-**أعلم أن هذه المهمة دون مستواك الإجرامي لكني متأكدة من أنه بداخل قلبك الكبير توجد دائماً مساحة لهؤلاء الذين**....

-**يا مدام ، يا مدام من فضلك هلا التزمتِ الصمت قليلاً ؟ أنا أحاول العمل هاهنا**.

-آنسة.

-**هذا ليس موضوعنا الآن**.

لماذا اللصوص عصبيون هكذا ؟ لطالما رأيتهم في الأفلام يمارسون عمليات السرقة في هدوء و استمتاع بل و لا يحلو لهم الحديث عن أدق تفاصيل حياتهم إلا في تلك اللحظات...

-تفضلي.

-حسناً و الآن ستنتظر أنت بالخارج لتراقب الطريق و....

هنا فتح مطواته في عصبية موجهاً إياها نحو وجهي قائلاً...

-إسمعي يا امرأة ، لقد قمت بمهمتي و انتهي الأمر ، و هنا أقول الوداع ، ولو طلب مني أحدكم اقتحام هذا المكتب ثانية سأغرس مطواتي في انفه ، هل كلامي واضح ؟

هكذا غادر السيد (عكشة) في غضب تاركاً إياي وحدي ، لكني لم أكن لأتراجع بعد كل هذا ، لقد توغلت كثيراً و لسوف ألوم نفسي كثيراً لو لم أدخل الآن...

هكذا اتخذت قراري بدخول المكتب و أغلقت الباب خلفي ، وحده الله يعلم كيف سأخرج من هذا المكان وحدي...

لم يكن الأمر سهلاً كما ظننت ، لقد كانت الملفات أكثر مما تصورت و إنني لأتسائل كيف استطاع طارق العثور علي ملف أوديت بينهم بهذه السهولة ، لكنني بعد دقائق فطنت إلي طبيعة التواريخ المكتوبة علي الملفات الموجودة بذلك الدولاب ، إنها جميعاً حديثة ، و أنا بحاجة لملفات الأرشيف لا الملفات الحديثة...

هكذا بعد حوالي ثلث ساعة اقتربت من اليأس و فكرت في التراجع الآن ، لكنني لحسن الحظ عثرت علي الملف بمعجزة ما و لم أصدق نفسي في البداية...

لم أكن أملك البال الرائق لتصفح الملف بأكمله كما أنني لم أملك الشجاعة الكافية لسرقته ، فقد كنت متعرقة و يداي ترتعشان...

هكذا حاولت بصعوبة اقتناص بعض الفقرات من بين السطور لعلي أصل لسر طارق الكبير...

____

2008/09/28

الجهة : مستشفي الأنوار **للأمراض النفسية و العصبية**.

إسم الحالة : **أوديت يسري ميخائيل**.

الجلسة : الأولي .

موجز أقوال الحالة خلال الجلسة : لا شئ .

ملاحظات الطبيب المعالج خلال الجلسة :

قد يكون الوقت باكراً للغاية علي التنبؤ بمتطلبات علاج تلك **الفتاة ، فمنذ جائت الفتاة للمصحة و هي صامتة كالصنم ، تنظر** إلي لا شئ و تسمع إلي لا شئ و تشعر بلا شئ ، تلك أعراض **صدمة نفسية ولا شك ناتجة عن موت الأم منذ أسبوعين ، و لكننا جميعا نمر بتلك المواقف و تراودنا لفترات ذات مشاعر الحزن و الأسي بدرجات متفاوتة و لكنها في النهاية لا تخرج عن النطاق المتوسط المعروف ، أما بالنسبة لحالة تلك الفتاة فإنها خرجت عن نطاق المتوسط ، و هذا ما يدعوني للتساؤل عن كنه تلك العلاقة الشديدة الترابط بين مراهقة في الثامنة عشر و بين امها ، هناك ما أنا بحاج**ة لمعرفته حقا عن تاريخ الحالة...

تجاوزت حوالي ثلاث جلسات أخري من الصمت ، حتي بدأت **أفهم كيف تجري الأمور**...

إنها جلسات مسجلة تم حفظها جميعاً علي (سي دي) موجود بالملف ، و معه (سي دي) **آخر مكتوب عليه** (**باسيكاليا**)...

هكذا فتحت جهاز الكمبيوتر و وضعت السي دي في ترقب...

كانت ملفات الصوت مسماة بتواريخ تسجيلها ، وما أثار دهشتي هو أن هناك تسجيلات أحدث من ذلك التاريخ الذي خرجت فيه أوديت من المصحة ، من الواضح أنها ظلت تتابع العلاج مع الدكتورة التزام حتي وقت قريب دون علم طارق...

فتحت تسج**يلاً بتاريخ يناير** 2009 و أخفضت صوت السماعات إلي أقل مستوي ممكن...

____

23 يناير 2009 :

-**نحن نتسلل من المصحة ليلاً يا دكتورة التزام ، نذهب إلي تلك الحديقة المجاورة و نقفز من فوق أسوارها**...

أقول هذا لأنكِ حتماً تعلمين ، فقد صرنا حديث المصحة منذ أيام...

لا تقلقي لم نفعل شيئاً مشيناً قط ، صحيح أننا مازلنا مراهقون لكننا لسنا أغبياء...

بل ربما تتعجبين حين أخبرك أنني لم أسمع صوته حتي الآن ولا أعرف كيف يبدو ، إنه مدمن للصمت يعشقه ، و أنا لا أحب مقاطعة صمته أبداً ، بل أستمتع بكل لحظة صمت متأملة إياه

في سكون ، تاركة نفسي للغرق في عيناه الضيقتان اللامعتان بأنوار الحديقة الصفراء ، **و حتي حين أطلب منه أن يشاركني** أفكاره **لا يجيبني سوي بابتسامة عشق و قبلة حانية علي جبيني ، أشياء كهذه كفيلة بإسكاتي إلي الأبد ، فلست بحاجة** لكلماته ، و لا يساورني أدني فضول تجاه أفكاره ، و جل ما **أفعله معه و أقوله ليس لشئ إلا للحظة حنان صامتة استرقها من أحضانه الدافئة كل ليلة**...

____

5 نوفمبر 2009 :

-**أمس أخبرته بنكته عن المجانين فانفجر في الضحك حتي سقط علي ظهره ، كنت في غاية السعادة حين تمكنت** من إضحاكه ، و شعرت كأنني أخطو أولي خطواتي داخل قصره **الذهني ، و اخترقت مجاله السيكولوجي لبضع لحظات**... **كل دقيقة تمر بدونه تزيدني شوقا إليه ، دكتورة التزام**..لا **أظنني الآن بحاجة للباسيكاليا ، لقد ماتت أمي و صرت علي** وعي تام بذلك.

-**ألم تعد زياراتها الليلية** تراودك ؟

-**ما من زيارات يا دكتورة ، و ما كانت هناك زيارات من الأساس ،** لقد قرأت كل شئ عن مرضي و صرت الآن معترفة به.

-**حسنا ، انتهت الجلسة لليوم**.

صوت أوديت تنهض متجهة نحو باب المكتب قبل أن تتراجع قائلة...
-دكتورة التزام.

-نعم.

-أعلم أنني أتماثل للشفاء حقاً مالم **أكن قد شفيت بالفعل ،** أعلم أيضاً **أن شرف المهنة يمنعك من مخالفة القوانين ، لكنني لا أريد الخروج من هنا ، لسوف تسوء حالتي.**

-من قال أنكِ **تماثلت للشفاء ؟ لقد انتهينا من إنكارك لوفاة امك و ظهرت مشكلة أكثر سوءاً.**

-ماذا تقصدين ؟

-اسمعي يا أوديت ، طارق مريض بانفص**ام في الشخصية ، لا يمكنني التنبؤ حقا بموعد شفاءه أو هل سيشفي من الأساس** أم لا ، و لا أريد حقا أن تتعلق مشاعركِ **بمريض آخر ، فذات ليلة قد لا تجدين شخصيته المحبة هذه** ، انا لا أريد إحباطك يا أوديت و لكن أريد أن تكوني علي وعي بالواقع الفعلي.

-إطمئني يا دكتورة التزام ، **هذا لن يكون ، سيحبني إلي الأبد.**

____

29 فبراير 2009 :

-هل تعلمين يا دكتورة التزام ؟ ربما كانت هذه إحدي أكثر أمنياتي غرابة ، لكنني كنت أتمني دائماً لو كنت ولدت علي

هيئة توأم ملتصق ، أعني أنه أمر رائع حقاً أن يكون لكِ نصف آخر يشاركك كل شئ و يشعر بما تشعرين به ، شخص يعرف ماتريدين قوله قبل قوله ، كأنه أنتِ تماماً بل و أكثر.
-**نعم ، أمنية غريبة إلي حد ما لكنها رائعة ، من المؤسف أنها لن** تتحقق أبداً.

-**في الواقع أنا أراها قد تحققت أخيراً بظهور طارق في حياتي ،** لقد استجاب يسوع **لصلواتي المستحيلة**.

-من ؟!

-يسوع.

-آه نعم.

____

19 سبتمبر 2009 :

-**كنت أعلم أنه سيقوم بالتحويل لقسم علم النفس بكلية الآداب ، هو أخبرني بذلك ، و علي هذا الأساس رضخت لفكرة خروجي من المصحة علي أمل بلقائنا ثانية داخل** الجامعة عند بدء الدراسة ، بل و اتفقنا علي ذلك ، ظللت أنتظر موعد بدء **الدراسة كي أراه ثانية ، ظننت أنني سأجد طارق الذي أحببته و أحبني ، ظننت أن شخصيته الليلية المحبة هي الأساس الذي سيظل موجوداً في نهاية الأمر بعد شفائه ، كنت حمقاء.**

-و ماذا وجدتِ ؟

-وجدت وغد **بارد لا يعرف عن الحب شيئاً ، بل ولا يعرف أدني** أصول التعامل مع الأنثي ، وجدت إنساناً معقداً لا يترك ذاته تتأثر **بسحر الأشياء ، بل يسعي لفرض اتجاهاته الفلسفية المريضة علي رموز و قيم و معنويات اتفقت عليها البشرية منذ الأزل ، و هو في ثورته علي تلك الصيغ القديمة** لا يسعي حتي لتقديم تبريرات مقنعة لرغبته إلا نادراً ، **فهو يعيد تشكيل صيغة الحب و الكراهية و الجنون و الفلسفة و التذوق الفني و كافة عواطف البشرية كيفما يريد فقط لأنه ببساطة يريد ذلك**... **لكن شيئاً من هذا لم يثر حنقي قط ، ما يغيظني حقاً** أنني **أهيم به دونما سبب** واضح ، جانبي الإنفعالي يأبي التخلي عن **حبه بينما كل الدلائل تدفع جانبي العقلي الواعي إلي التخلي** عن حب **وغد كهذا**...

لشد ما أمقت هذا الفتي حقا ، و لكن ليس بقدر عشقي له...

* * * *

قال طارق :

لم أكن أعرف ماهي الخطوة التالية...

لكن هاجساً ما بداخلي كان يسيطر علي كل تصرفاتي ، و يجعلني أؤمن أنه (**لا نهاية إلا النهاية**) ، **إنها اللحظة التي تقرر فيها ترك الأمور للأقدار تسيرها كيفما شائت ، و كأنها لا تفعل ذلك في جميع الحالات ، ربما كان هذا ميكانزم دفاعي آخر نتجنب به الشك في قدرتنا علي اتخاذ قرارات صائبة ، حيث لا تظهر تلك القناعة بحكمة القدر إلا في المواقف التي نعجز فيها** عن **اتخاذ القرارات ، و لذلك لا نجد ضيرا في فكرة الإنسحاب ، لنجنب أنفسنا مشاعر سلبية نحن في غني عنها**...

بعد نظرات طالت بيننا ابتسمنا لبعضنا ابتسامة (تمام) ، اكتملت **عملية الوداع بنجاح ، لم أتخذ موقفاً بصدد لحظات الوداع أبداً ، لسبب بسيط هو أنني لم أجد من أودعه** من قبل ، لكنني الآن صرت أكره تلك اللحظات أكثر من أي شئ آخر...

بالطبع **أدركت ما ينتظر أوديت من أسئلة فضولية ، خاصة أننا عدنا لمقاعدنا مبتسمين ، هذا كفيل بإشعال نيران الفضول** داخل السادة الزملاء ، لذا كان من الضروري وجود رد قاطع لاغي لأي استفسارات لزجة...

-**لماذا تحدقون فينا هكذا ؟ باركوا لصديقتكم أوديت فهي ستصبح راهبة**.

توقعت أن يكون بشوي أكثر تفهما باعتباره نصرانياً مثلها ، لكن نظرة الإندهاش لم تفارق وجهه و قال...

-**أوديت لن تتحملي أسبوعاً واحداً صدقيني ، هل أنتِ ملمة بحياة الرهبنة كيف هي صعبة و شبه مستحيلة** ؟

-**لا داعي لهذا الكلام الآن يا بشوي فقد اتخذت قراراً نهائياً لا رجعة فيه**.

-**هل هذا يعني أننا لن نراكِ ثانية ؟**

-**الرب وحده يعلم يا داليا ، لكن تأكدوا أنكم جميعاً ستكونون في** قلبي .

أكره أن أقول هذا ، فمن جانبي كنت موقنا أنه تعاطف مصطنع نوعا ما ، إن صداقتنا نحن **الأربعة مازالت سطحية للغاية برغم مرور عام دراسي كامل ، و السبب هو أن كل منا كان لديه ما** يشغله ، ولم نجتمع إلا مرات نادرة جدا فقط كي نذكر أنفسنا أننا مازلنا أصدقاء...

لذا لم يستغرق الأمر وقتا حتي يستسلم الجميع لحقيقة الأمر ، و اتخذوا قرارهم بقضاء تلك اللحظات كالمعتاد و كأن شيئا لم يكن ، فكرة فاشلة طبعا لم تمنع فكرة (ماذا بعد ذلك!!) من **السيطرة علي أذهاننا**...

ربما كان من المنطقي الآن أن تنتهي القصة بسلام ، نهاية حزينة إلي حد ما لكنها سترضي محبي النهايات السوداء و ترضيني أنا شخصيا...
حسناً ، من المؤسف أن **هذه ليست قصة رومانسية تنتهي باختفاء أحد الأبطال ، هذه هي الحياة** ، لابد أن تستمر ، في **وجود أوديت أو عدمها ، فالحياة لا تهتم باختفاء أحد أو ظهوره**...

****

لم أتمكن من الإستماع لكل الملفات لكن تلك القفزات بين التواريخ أعطتني لمحة مختصرة عن طبيعة الأمور ، لقد رفض طارق **إطلاعي علي تلك الملفات لأنها تكشف ذلك الرجل العاشق بداخله ، وهو لسبب ما يمقت ذلك الرجل و يتمني** قتله...

أعدت كل شئ لمكانه و حاولت قدر الإمكان عدم ترك أية دلائل **علي عملية اقتحام ، و حين انتهيت من ذلك شعرت بداخلي أن الأمور تسير علي ما يرام و أن الأمر أسهل** مما توقعت ، ربما **أمارس مهنة الإجرام فيما بعد في أيام العطلة**...

أغلقت الباب خلفي و هبطت السلالم في هدوء ، تجاوزت حجرة الإستقبال إلي الحديقة لأجد أضواء سيارة البوكس تستقبلني ، و يتقدمها ضابط وسيم يقول في أدب...

-**آنسة سمر ، أنتِ متهمة بالسرقة و التجسس علي ملفات** المرضي ، تفضلي معنا

في بيتنا مجنونة

بعضهم يعتبر النظرة وحدها إهانة لا تغتفر ، و برغم حذرك هذا فإنك علي يقين بداخلك أنك ستصطدم به يوما ،
إن دورك آت لا محالة...

(1)

كان طارق يقود السيارة و علي وجهه ابتسامة رضا مستفزة...

-لا تظن أنني ممتنة لدفعك كفالة إخراجي ، أنا مازلت غاضبة.

-**في الواقع لا أعلم من منا يجب عليه أن يكون غاضباً**.

-**أنا بالطبع ، أنا محامية محترمة و بعد موقف كهذا صارت** سمعتي علي المحك.

-**نعم ، محامية محترمة تؤجر لصاً لاقتحام مصحة نفسية**.

-**من الواضح أن حماصة هذا ليس سوي** وغد مثلك.

-**بل من الواضح أنكِ لا تعرفين شيئاً عن قوانين الرجال ، إن** الرجل لا يتفق مع امرأة ضد رجل أبداً.

-أنا لم أتفق معه ضدك.

-**هذا صحيح و لكن تشددك في فكرة إخفاء الخبر عني كانت كافية كي يشعر بمؤامرة ما ضدي**.

-كلكم أوغاد علي كل حال.

-**نعم و هذا يجعل منكِ امرأة مظلومة بيننا نحن الرجال**.

-لم تري نظرات الدكتورة التزام لي في قسم الشرطة ، كانت **تنظر لي باحتقار و كأنني مجرمة متمرسة في المهنة ، حتي بعدما تأكدت من عدم سرقتي لشئ بمكتبها**.

-**من الجيد أنني جئت لدفع الكفالة بعدما رحلت و إلا صار موقفنا** نحن الإثنان معقداً ، ثم **ماذا تتوقعين من شخص اقتحمتِ مكتبه** للتو ، يأخذكِ بالأحضان ؟

-**لا و لكن تمنيت أن تسألني عن دوافعي علي الأقل قبل أن** تتسرع بالحكم علي.

-**حقاً ؟ و لنفرض أنها سألت بماذا كنت ستجيبين ؟**

-**كنت سأقول لها أنه الفضول ، إنها طبيبة نفسية ولابد أنها** تعلم كم أن الفضول له سلطان.

-**أنتِ طبية حقاً ، إن أغلب الأطباء النفسيون لا يستغلون قدراتهم التشخيصية إلا لأجل** (**أكل العيش**) **، ماعدا ذلك فإنهم مواطنون طبيعيون مثلي و مثلك ، ينزعجون لارتفاع أسعار الطماطم و يتشاجرون بألفاظ بذيئة مع سائقي الميكروباصات الذين لا يجيدون القيادة.**

-**هذا** محبط.

-**بل هو أكثر واقعية.**

****

يقول روبرت داوني في فيلم شارلوك هولمز :

(**أن تضع نظرية بشأن شخص يبعث بك الحيرة ، خطأ فادح ،** خاصة عندما تبدأ في تشويه الحقائق التي تدعم تلك النظرية **عوضا عن استعمال النظرية ذاتها لدعم تلك الحقائق**) **و بالنسبة للدكتورة هدي فالأمر لا يختلف كثيرا ، فلا يمكنك تكوين نظرية ثابتة بشأنها مهما كلفك الأمر من أخطاء فادحة ،** ولا تسألني عن السبب لأنني لو كنت أعرفه لما كتبت تلك

المقدمة ، دعك من أنني حاولت أكثر من مرة تشويه الحقائق **المتعلقة بشخصيتها المتسلطة آملا أن أجد ما يدعم نظريتي تجاهها**...
لكن **الحقيقة لا تتعلق لا تتعلق دائما بما تستشعره حواسنا ، لا...لا تسير الأمور بهذه الطرق الحدسية ، أحيانا لابد أن نقبل بحقائق** خارجة عن نطاق إدراكنا حتي و لو لم نجد ما نستدل به علي **وجودها ، و الأمر الذي يحنقني حقا أنني مؤمن**-بداخلي- **بالحقائق المتعلقة بالدكتورة هدي مهما حاولت تشويهها** لأكسب بعض الرضا الداخلي الزائف...

فقط لو كنت أكثر دقة لقلت أنها صورتي الأنثوية ، أو إحدي حالاتي المزاجية العكرة و قد استقلت بحياتها الخاصة في صورة أنثي...

تسألني إذن ما الذي أتي بي إليها في ظل وجود خيارات أخري ، فأقول لك أن هذا ليس من شأنك ، لست مضطرا لتقديم أسباب مقنعة لك إزاء قراراتي...

-**لديك سبب يجعلك تعتقد أنني أهتم لأمرك**.

قلت مبتسما في ثقة...

-**أنتِ طبيبة نفسية ، لابد و أنكِ قابلتِ من الأوغاد أمثالي ما** يستبعد أن تأخذي مشاحناتي معكِ علي محمل شخصي.
-**و ماذا لو لم أكن تلك الطبيبة العاقلة المتسا**محة ؟
-**ما أطلبه منكِ هو ما قد يطلبه أي مريض تحت إشرافك ، و لو أن لديكِ مشكلة ما بشأني فهي نابعة منكِ وحدك.**
نظرت لي في كراهية قائلة...

-كن واضحاً ماذا تقصد ؟

-**لو كنت واضحاً منذ البداية لقمتِ بإنهاء عقدي فورا بدلا من تهديدي بذلك كل حين**.

-أنا التي أطلب منك الآن أن تكون واضحاً.

أرحت ظهري للخلف متفحصاً إياها قائلاً...

-حسناً ، يمكننا القول أنكِ لست حقا بالغباء الذي يسمح لطلاقك بتكوين عقدة شاملة ضد الرجال ، بالرغم من أن زوجك **كان وغدا يستحق السلخ حياً**.

-قلت لي أنك تدرس علم النفس ؟

-نعم.

-إذن أنصحك بالتحويل لمجال آخر.

-**لا أفهم لماذا تكرهن سماع الحقيقة ؟**

-**أية حقيقة ؟ الحقيقة الوحيدة التي أراها هنا أنك مازلت طفلاً** كي تصدر أحكاما بشأني و بشأن أي امرأة.

-**ربما ، لكنني محق في النهاية**.

-لا ، لست محقاً ، لم يكن للأمر يوما علاقة بطلاقي ، و إن كان منا من اتخذ الأمر علي محمل **شخصي فهو أنت ، في الواقع** أنا لا أبالي.

هل رأيت ذلك ؟ إن كان بإمكانك تحديد هوية ثابتة لهذه الأنثي فلتخبرني و أعدك انك ستكون مخطئاً...

حسنا ، إليك كيف يسير الأمر...

الجميع لديه عقدته البشرية الخاصة ، هل تذكر لسعة قنديل البحر في رأس البر منذ بضعة أعوام ؟ تفقد **أثرها الآن و ستدرك أنها تذكرك بحالتك النفسية عندما تم لسعك و ربما سببت لك عقدة ما من البحار، و اعلم جيدا انني لا أريد معرفة أين لسعك** القنديل...
الجميع يفتخرون بامتلاكهم ما يبرر عقدتهم ، يمتلك (**هاوس**) أسباباً مسبقة كي يعامل الناس بوقاحة ، أسباباً تتعلق بتاريخه **الإجتماعي ، و هذا ما اعتدت التعامل به مع الجميع ، إذا قرأت موجزا لنشأتك فيمكنني معرفة الأساس الذي ستختار عليه زوجتك ، و كيف ستربي أبنائك**...

-حسنا لنعد للحديث بشأني.

-**لا يوجد ما أضيفه ، لا يمكنني تغيير دوائك الحالي قبل التاكد من الناحية الإجتماعية ، لست طفلاً كي أملي عليك ما يجب** فعله.
-**لابد أنني نضجت سريعاً في خمسون ثانية ، هل يمكنني الآن** إصدار الأحكام بشأنك ؟

-**ما أقصده هو أن تضغط علي نفسك بشأن عدم الإنعزال**.
-الناس مزعجون.

-**صدقني أنا أدرك ذلك جيداً و برغم ذلك مازلت جالسة برفقتك** في ذات الغرفة ، أنا أضغط علي نفسي كما لابد أن تفعل أنت **أيضاً ، و الآن اخرج من هنا**.

توجهت نحو الباب فنادتني قائلة...

-**إسمع ، لا تريني وجهك ثانية قبل أن تتقدم اجتماعياً ولو بخطوة واحدة ، حينها ربما نتناقش بشأن هلاوسك**.

-غريب ، فجأة تتخذين الموضوع بجدية.

صمتت قليلا ثم قالت...

-فقط عندما يتعلق الأمر بسمعتي المهنية.

مططت شفتي متظاهرا بالإقتناع ثم أغلقت الباب خلفي... ربما كانت تلك السيدة تتسلي بالتهام الأطفال ليلا أمام التلفاز ، لكنها ولا شك امرأة عملية فيما يتعلق بالأمور الحيوية...

* * * *

-مشكلتك أنك تصطاد دائماً في المياه العكرة ، تحاول إقناع الناس بأنهم أوغاد ، و ربما تكون محقاً في بعض الأحيان لكن لا تتوقع منهم أن يوافقونك الرأي مباشرة و إلا ماكانوا يجاهدون طيلة حياتهم لإخفاء تلك العيوب التي تجعل منهم أوغاد.

-أنا لا أري الأمر بهذه الصعوبة حقاً فإنني أزداد سعادة كلما نعتني أحدهم بالوغد.

-هذا أنت ، تتفاخر بكونك وغداً ، سعيد بكونك وغداً ، حريص علي أن تبقي وغداً.

* * * *

لم أكن أعلم ما هو رقم تلك الجلسة...

لكنني صرت أعتاد الجلسات الجماعية ، و صارت يدي متشوقة لنوبة هستيرية أخري أخرج فيها انفعالي ، لا يهم من يصاب بها ، ما يهم أنها ستكون نقطة خروج حممي البركانية ، صحيح أنها رغبة عدوانية غير أخلاقية ، لكنها تصبح شرعية تحت ظروف الموقف...
تأخرت الدكتورة هدي علي غير عادتها فجلس الجميع يثرثرون سويا ، لم أكن قد كونت صداقات هاهنا بطبيعة الحال ولا أجد

الأمر يستحق ، لذا لم أبال يوما بنظرات الإرتياب المرتسمة علي الوجوه نحوي...

كانت هذه الضوضاء تناسبني أكثر للتفكير ، في الواقع أجد هذا الجو أكثر ملائمة للقيام بالعمليات العقلية العليا ، فليذهب أنصار الصمت إلي الجحيم...

هكذا كنت مستغرقا في التفكير بينما أشخبط في المفكرة الصغيرة ، هذه المرة الأولي التي أحضرها معي مثل الجميع ، بيد أنني تنبأت لها بعمر قصير للغاية خاصة و أن يدي دائمة التعرق أذابت أوراقها في يومها الأول...

من الغريب أننا نخرج برسوم تجريدية رائعة أثناء لحظات التفكير ، ربما كان الرسم التجريدي يجري بنفس الطريقة لكنني لا أظن ذلك...

-لا تفكر فلها مدبر.

التفت نحو المتحدث محاولا تذكر ذلك الوجه الوجه المزعج **المتحمس ، حقاً هو وجه تشعر بالإنزعاج بمجرد النظر إليه و تتمني ضربه دونما سبب واضح ، إنها تلك النوعية من الوجوه التي لا ترتاح لها و تشعر أن صاحبها هو نصاب أو سخيف أو**...لا **أعلم كيف أصف هذا لكنه حقاً وجه مزعج لإ**نسان مزعج...

-لا ، صدقاً ليس بالأمر الهام ، فقط أشعر بالملل.

رد بينما يشرب من قهوتي في وقاحة...

-شئ طبيعي ، هل لديك أصدقاء علي أية حال ؟

نظرت له في صمت للحظات محاولا تذكر ملامحه أكثر...

-نعم ، لدي الكثير.

-نعم ، هذا واضح كالشمس.

الآن فقط تذكرته ، إنه ذلك **الفتي المصاب بجنون الإضطهاد ، يخيل إلي أن الأمر لا يتعلق بالإضطهاد ، فمن الواضح أن الجميع لا يتحمل أسلوبه التلميحي المستفز**...

-**يمكنك القول أنني إنتقائي للغاية حينما يتعلق الأمر بصداقة** طويلة المدي.
قال بينما يشعل سيجارة برغم تشدد إدارة الساقية فيما يتعلق بالتدخين...
-كلنا ذات الرجل ، ما الذي ترسمه ؟

-**هذا**...**صراع الخنفساء البرازيلية**....في العصر

الــ.....سايكوحشري.
قال بينما يمد يده نحو قهوتي ثانية...

-نعم ، واضح كالشمس.

-**ما كنت لأفعل هذا لو كنت مكانك**.

-لماذا ؟

-**ذبابة أخطأت مكان هبوطها ، تعلم هذه الأمور**.

-و ل**ماذا لم تخبرني منذ البداية ، لا حاجة لي بها الآن**. **وددت لو أغرس قلمي في رقبته حين ألقي بالكوب الورقي في مياه النيل ، وقتها لن يكون الإضطهاد الجماعي أكبر مشاكله ، في الواقع قد يكون الإضطهاد أبسط ما يواجه وغد كهذا**...

سألته مبتسما في مودة...

-**قل لي ، هل أصابتك نوبات هستيرية من قبل ؟**

****

-بمناسبة الحديث عن كلمة (وغد) ، **أفكر بتسمية الكتاب** (مذكرات وغد).

-**يروق لي هذا الإسم حقاً لكني لا أضمن طبيعة تأثيره علي مستوي مبيعات الكتاب**.

-نعم أنت محق ، ما الذي قد يجذب الناس في مذكرات وغد آخر **و هم محاطون بالأوغاد ليل نهار**.

-**و في المقابل يتهافتون علي شراء الروايات الرومانسية الحمقاء ، أليس كذلك ؟**

-**ما رأيته في حفلات التوقيع يثبت أن الجميع لا يعاني نفس مشكلتك مع الرومانسية ، الكل يقرأ الروايات الرومانسية رجالاً** و نساء.

-**تقصدين نساء فقط ، إن الرجل الذي ينجذب لهذا النوع من** الروايا**ت فهو حتماً يعاني من اختلال هرموني**.

-**أهذا هو كل ما تمثله لك العاطفة ؟ هرمونات ؟**

-**أليست كذلك ؟ أعلم أن هذا يزعجكِ بالطبع فأنتِ لستِ بالملائكية و الرهافة التي كنتِ تظنينها و من المؤسف أن طبيعتكِ البيولوجية هي المحرك لقصة حبك العنيفة المؤثرة**.

-**هذه نظرة حيوانية للغاية**.

-**هذه نظرة موضوعية ، أنا لا أؤمن بتلك الطبيعة الإنتقائية للحب** ، فقط ضعي أي رجل و امرأة تحت سقف واحد لبضعة أيام و **لسوف يقسم لكِ كلاً منهما أنه وجد شريك حياته الذي لطالما** تمناه.

* * * *

أن تجد فتاة جميلة جالسة وحدها...

لا يحدث ذلك إلا في الأفلام **فقط ، في الواقع أن الجميلة دائماً تخطف الأضواء بحيث لا يمكنك رؤيتها إلا و هي منشغلة في شئ ما ، تتحدث مع صديقتها ، مع خطيبها ، تتحدث في الهاتف**...
-**طارق أنت لا تسمعني ، لو كانت تعجبك لهذه الدرجة فلتذهب إليها**.
-**أنا لا أنظر نحو أحد ، ثانيا أنا لا أسمعك ببساطة** لأنني لا أعرفك.
-أخبرتك أنا محمود ابن خالك.

أتجاوز مشكلة الغرباء بالخارج لأواجه مشكلة الأقارب بالداخل ، **ليست هذه المرة الأولي التي أندم فيها علي تجربة التفاعل مع الآخرين لكنها المرة الأولي التي تتصادف فيها إحدي محاولاتي العلاجية مع مناسبة عائلية ما ، لذا ف**أنا مجبر علي **تعميم قواعد اللعبة تحت جميع الظروف ، و من الواضح أن** الظروف تمارس معي الآن دور مدرب الكونج فو الإجتماعي ، و **تضعني في اختبارات فجائية**...

كنت عائداً من العمل لتوي نكد المزاج ، لا يقدم المرء إستقالته كل يوم ولابد أن أكون حزينا لفقدان ذلك المكتب ال**هادئ المكيف** ، لكنني كنت قد اتخذت قراري بترك ذلك العمل الذي يزيد **حالتي سوءاً ، بالطبع كان السيد شريف متمسكاً بي للغاية** فقد تحايل علي لمدة سبع ثواني كاملة كي لا أترك العمل **بالجمعية**...
هكذا بمجرد عودتي للبيت اتصل ابي ليزف لي الخبر التعيس ، و كأن الكون يقدم ال**دعم لتجربتي الحمقاء و يباركها بتلك المناسبة العائلية ، زواج ابنة خالي**...

-**عذرا لم أسمعك جيدا ، الموسيقي عالية**.

-تعال معي .

هكذا سحبني من يدي كالسيارة المعطلة نحو أحد المناضد الممتلئة بالإبتسامات الإجتماعية اللزجة ، لسوف أقتل نفسي إن أتضح أنهم أقاربي...

مددت **يدي مصافحا كل واحد منهم و علي وجهي ابتسامة صفراء ، بالطبع لم أستمع لتعليقات كل منهم بسبب الصوت العالي ، لكنني كنت أهز رأسي ببلاهة في كل الأحوال ، و أدركت من إشارات أيديهم أنهم يتحدثون عمن كان صغيرا منذ** أيام ثم أصبح (شحطاً) **فجأة ، و كأنك خرقت نواميس الكون** و **الطبيعة كونك أصبحت ابن** 19 سنة بعد مرور 19 سنة بالضبط... **كان وجهاً واحداً مألوفاً لي بين كل تلك الوجوه ، ليس لملامحه النصف غربية ، و لكن لأنه سبب تسميتي بإسمي هذا... السيد طارق أبو العينين**...

كانت صدمتي الطفولية عندما علمت أنه كان موجودا بالمشفي يوم ولادت**ي فقاموا بتسميتي علي اسمه برغم أنه لا يمت لنا** بصلة قرابة ، مجرد صديق آخر للعائلة كان يعمل مع ابي في **الخارج ، و قد كنت أتوقع أن يكون لتسميتي سبباً أكثر أهمية** من ذلك...

ما الذي جاء به علي أية حال ؟؟؟

استأذنت متجها نحو باب القاعة ثم توقفت في ردهة الفندق محاولا التقاط أنفاسي بعد هذه الجرعة الزائدة من الإجتماعيات ، لا أريد أن تحدث انتكاسة قبل أن يبدأ العلاج ذاته...

نظرت لساعتي فأدركت أن موعد الدواء قد حان و من الصعب **تناوله حاليا ، لماذا ؟ لأنه ليس معي بالطبع هل تري سببا أبلغ** من ذلك ؟

يجدر بي الذهاب إذن ، فليس هذا الوقت ولا المكان المناسب للهلاوس ، فقط ذكروني أن أكتب تقريرا مفصلاً عن هذا اليوم ، يجب أن يقرأ أحدهم هذا كي يقدر موقفي...

إحداهن لو شئنا الدقة...

****

-**هذا غريب**.

-**ما هو الغريب ؟**

-**لا أتصور أنك حاولت يوماً مقاومة طبيعتك**.

-لقد كانت تجربة فاشلة علي كل حال.

-**لا يهم إن كانت فاشلة أم لا ، المهم أنك**-لسبب ما-قررت **الخضوع للعلاج أخيراً ، و هذا يعني**....

-**بسبب الهلاوس و ليس لأنني كنت منزعجاً من طبيعتي ، إهدئي قليلاً يا سمر**.

(2)

في اليوم التالي وصلتني باقة ورود من جلال...

في ظروف أخري كان من الممكن أن أتصل بجلال لأشكره علي **تلك الباقة ، لكن طارق اللعين جعلني أعيش دائماً و كأنني رئيسة عصابة ، أفكر بعمق في كل شئ أقدم علي فعله حتي لو بدا تافهاً**...

هكذا لم أجد ما أفعله سوي الإتصال بطارق كالعادة لسبب ما لا أعلمه...

-طارق ، لقد أرسل لي باقة ورد في مكتبي بالشركة.

-**نعم و هذا سبب مقنع لإيقاظي في هذا الوقت**.

-من النوع الذي أفضله.

-(آه إذا كان كده معلش).

-أخبرني ماذا أفعل.

-**حسناً ، إشتري فازة رخيصة من أقرب محل** (2.5) ، **املئيها بالمياه و**....

-أتحدث عن جلال ، ماذا أفعل معه ؟

-لا شئ ، فقط أشكريه.

-**فقط هكذا** ؟

-**هل هناك مشكلة في هذا ؟**

-لا و لكن..لماذا يرسل لي باقة ورود ؟

-**فعلاً لماذا يرسل لكِ باقة ورود ، أمممم دعينا نفكر قليلاً ، ربما** لأنكِ قلتِ له (أنا أحبك بجنون).

-**ما هذا الهراء لم يحدث شئ من هذا.**

-**لم يحدث لفظياً و لكن زيارتنا الصباحية الأخيرة كانت تقول ذلك** بوضوح.

-حقاً ؟

-**هل تظنين حقاً أن كل الرجال تعترف بحبها بإرادتهم الكاملة ؟ الرجال مساكين ، يستقبلون الإشارات الأنثوية التي تبعثونها و وفقاً لها يدركون أن الوقت قد حان لقول الكلمة اللعينة ، لكن الحقيقة أن الكلمة الاولي فعلياً هي للنساء و ليس الرجال.**

-**تباً هل أنا بهذا السوء حقاً ؟**

-**نعم و أكثر ، و الآن دعيني أنام ، و في المرة القادمة انتقي مواعيدكِ جيداً ربما أغير رأيي بشأن النساء.**

****

قال طارق :

في الصباح التالي رن هاتفي...

يخرس طيلة الأربع و عشرون ساعة ولا يختار إلا أوقات نومي كي يعلن عن وجوده...

رقم مجهول و هذا ليس بالشئ الغريب ، فلا تحتوي قائمة الهاتف إلا علي خمسة أو سبعة أسماء علي أقصي تقدير ، و

غالبا يكون أصحاب تلك الأرقام المجهولة غاضبون لسبب ما ، لا أذكر كم شخصا أحلت حياته جحيما ببضع كلمات مستفزة مني و لو حاولت إحصاء عددهم ما انتهيت ، لذا لا يسعني إلا إستقبال الشتائم الهاتفية يوميا (علي الريق) ، أنا رجل ديمقراطي علي كل حال...

-إسمع ، لو كنت تريد الصراخ بوجهي فالوقت متاح بقية اليوم ، إما تكون موجزاً في صراخك و إما تختار وقتا آخر.
-ما الذي تقوله؟

-من معي ؟

-أنا الدكتورة هدي.

-الدكتورة هدي من ؟

-المطلقة المتسلطة ، أمازلت نائما ؟

-كنت و ما زلت اريد النوم.

-حتي إذا أخبرتك أنني أريدك فورا بمكتبي في الجمعية ؟ أكثر ما أكرهه أن يستطيع أحد قراءة أفكاري ، و هذه المرأة

تعرف جيدا كيف تثير فضولي و تقلق منامي...

فركت عيني في تململ قائلاً بصوت ناعس...

-أريد كوب قهوة بإنتظاري ، هذا الكوب الكبير الذي تشربين فيه دائماً لأنه يعجبني ، هذا شرطي لو كنتِ تريدين أذنا صاغية.
-لك هذا.

لطالما كنت أجد الحياة مملة بسبب رتابة الأحداث و سهولة تخمينها ، لكنني الآن لا أستطيع تخمين ما تخبئه هذه الطبيبة

لي ، و إن من أسوأ ما قد يكون في طبيب **نفسي ان يتلاعب بخصائصك النفسية لمصلحته ، ما زال بإمكانهم خداعي بعد كل هذه السنوات من الخبرة مع الأطباء النفسيين...**

****

في المساء جاء طارق ، وقد كنت بحاجة حقاً للتحدث مع شخص ما ، أي شخص...

-طارق ، أخشي أنني مستمتعة بذلك حقاً.

-**هل تمزحين ؟ بالطبع أنتِ مستمتعة بهذا ، فقط أنت تحاولين** الحفاظ علي صورتك أمام ذاتك.

-ماذا تقصد ؟

-**جلال صار أعزب منذ فترة قصيرة لا تسمح بأن تذهبي له مهرولة و إلا صرتِ مثالاً شاهداً علي ظاهرة انقراض التمنع** الأنثوي.

-لماذا تصر علي تشويه كل **شعور جيد** يراودني ؟

-**هذه المرة أنا لا أشوه شيئاً ، إن هذا السيناريو تكرر في** 77643784 **فيلم رومانسي من قبل ، الفتي الذي يقع في الحب فيتخلي عن حبيبته السابقة لأنه اكتشف فجأة أن شعر أنفها أطول مما ينبغي ثم يذهب لحبيبته الجديدة قائلاً في براءة** (**يا إلهي لقد تركتني حبيبتي**) **فتتظاهر الفتاة بمواساته رغم أنها تطير فرحاً بداخلها**.

-كفي.

****

لم أتحدث كثيرا هذه المرة...

في الواقع لم أتحدث إطلاقا ، فقط استمعت لما لديها ثم ظللت محدقا نحو عينيها المنتفختين من السهر في صمت محاولا استيعاب الموقف...

الطفلة نائمة علي الأريكة كما هي بزي المدرسة ، يمكنني استيضاح الأمور شيئا فشيئا ، الطبيبة المطلقة لديها طفلة لم تنم في سريرها الليلة الماضية لأن أحداً ما قام بطلب أمها للزواج ، هكذا يغلبها النوم بينما تبقي الأم ساهرة تفكر في تفاصيل هذا الرجل ، ربما كانت أي امرأة أخري لتفكر في وسامته ، جاذبيته ، أسلوب كلامه ، هذه الأشياء التي تخلب ألباب النساء ، بينما تبقي أخريات علي الجانب الآخر يتحركن و يبحثن في الملفات عن التفاصيل الحيوية ، تاريخ الرجل السابق ، فقط لأن خبرتهن السابقة مع أحد الأوغاد دفعتهن للتحرك بجدية...

-**أعلم أنك آخر من تتوقع أن أستشيره بشأن شئ كهذا ، لكن** للضرورة أحكام ، لقد حاولت تقصي علاقاته فلم أجد شخصا **غيرك**.

-**امممم ، نعم أتفهم سبب دهشتك**.

-تبدو و كأن لديك ما تقوله.

-**في الواقع نعم ، لكن كما تعلمين**..أنا في بداية طريقي نحو **حياة اجتماعية سليمة ، و ما أقوله لن يعجبك كثيرا ، ناهينا عن** أنه ينافي أبسط قواعد النفاق الإجتماعي المطلوبة.

-**يمكنك كسر بعض القواعد عند الضرورة ، أحيانا تجدي وقاحتك** نفعا.

تراجعت بظهري علي المقعد محاولا ايجاد صيغة ملائمة للحديث...

-**أنتِ لا تستحقينه**.

-لماذا ؟

-**أحمد سامي ليس رجلا فحسب ، إنه كيان خاص للغاية ،** يصعب أن....

لم استطع استكمال كلماتي ، كانت رأسي مزدحمة بألاف **الأسئلة التي أعاقت تفكيري**...

-**لماذا طلبكِ للزواج علي أية حال ؟ ليس بينكما سابق معرفة** ولا أعتقد أنكِ الزوجة المناسبة له ، كنت أتوقع منه أن يكون **انتقائيا في هذا الشأن**.

-**لهذا أنت هنا ، قد يكون انتقائياً و قد لا يكون ، أما أنا فلدي** أسبابي كي أكون حذرة للغاية في التعامل مع الرجال ، خاصة **عندما تربطهم علاقة بوغد مثلك ، و خاصة عندما لا تربطهم** علاقة بأحد إلا بوغد مثلك.

-**اليست قلة المعارف وحدها شيئا يثير الريبة بداخلك ؟ أم أن كلماته أثرت علي قدرتك التحليلية ؟**

غطت وجهها بيديها في إنهاك فكري واضح و قالت...
-**هلا** اسديت لي خدمة و احتفظت بأرائك لنفسك ، فقط **أخبرني من يكون هذا الرجل**.

-**حسنا ، ما أريد قوله هو أنكِ سعيدة الحظ للغاية ، ولا أقول هذا لأنه صديق أنتي تعرفينني جيداً ، لكنني أتسائل لماذا لم تسألينه عن سبب اختياره لكِ ؟**

-**اذكر لي امرأة فعلت ذلك عند طلب يدها للزواج ، ألا تفهم أيها الغبي ؟ لابد أن أظهر الإرتباك و المفاجأة و أطلب مهلة للتفكير** ثم أظل صامتة حتي أتخذ قرارا صائبا.

رفعت حاجباي في استدراك واضح أو جهل واضح بطقوس و قواعد التزاوج البشري...

-في الواقع إن ظروف لقائي به لم تكن مثالية ، لقد تقابلنا في المصحة حينما كان مريضا ، كان يهوي الرسم التجريدي و....
-ماذا قلت ؟

-الرسم التجريدي ، تعلمين هذه اللوحات التي تشبه سلطة الطحينة.
-لا ، أقصد هل كان مريضا عقليا ؟

نظرت لها في براءة طفل كسر لتوه زجاج نافذة حجرتها ، ثم سرعان ما ادركت الخطأ الذي تسببت به و قلت...

-ظننت أن الزواج سبب كاف للبوح بالأسرار.

قالت في ثقة و صرامة...

-من الواضح أنه ليس كذلك دائماً.

هكذا ادركت انها اتخذت قرارا بداخلها بإنهاء الموضوع و تغيير دفة الحوار ، في الواقع إن فكرة استضافتي بمكتبها ذكية للغاية ، فلو قابلتني بمكان آخر لبدأت في ممارسة ذلك الشعور **الوهمي بالمسئولية نحوها ، و لبدأت في** (فرض النصائح) **عليها ، أما هنا فإنني في أرضها ، المكان الذي تحتفظ فيه المكانات بمستواها الفعلي ، إنها تذكرني أنه مهما حدث سأظل مجرد مريضاً تشرف علي علاجه و ستظل هي الطبيبة** المعالجة...
-اخبرني إذن ماذا يحوي هذا المجلد ؟

-تقرير يوم أمس.

قالت بينما تتصفح أوراق التقرير في اهتمام مصطنع...
-**ماذا ، هل قررت فجأة تقديم التقارير كبقية المجموعة ؟**
-**في الواقع هذا شئ ارتجالي لا علاقة له بالمجموعة**.
توقفت عند أحد السطور قائلة في دهشة...

-**تركت عملك كجزء من العلاج ؟ أي سخف هذا**.

-**عملي هو أ**كثر الظروف التي كانت تعزلني عن العالم **الخارجي ، و لهذا أحببته ، و لذلك تركته ، لا يمكنني الجزم بسهولة قرار الإستقالة ، لكن العلاج هو العلاج في النهاية**.
-**يسرني أنك بدأت تفكر بإيجابية ، إن تقديم التضحيات مؤشر رائع لم اتوقع ظهوره لديك بهذه السرعة**.

-و لكن...؟

-**و لكن تقريرك في النهاية لا يعبر عن الواقع ، إنه يعبر عن نظرتك المرضية الخاصة التي رأيت بها الناس حولك**.
-كلنا ذات الشخص حسبما أظن.

-**هذا يتوقف علي خبرتك السابقة في التعامل مع الناس ، و** الواقع أن خبرتك السابقة في التعامل مع الناس شبه معدومة **و لا تؤهلك لدخول الحياة الإجتماعية علي الوجه الأكمل ، هل تري كيف وصفت أقربائك في حفل الزفاف ؟**

-**و هل قلت شيئا وهميا ؟**

نظرت لي في نفاذ صبر ثم قالت...

-**حسنا ، إنس الموضوع ، فقط لو أردت التخلص من الهلاوس و الأعراض الأخري عليك أولا تجنب العزلة**.

قامت من مقعدها معلنة نهاية الجلسة ثم أردفت قائلة...
-بعد ذلك يمكننا مناقشة نظرتك للآخرين.

نهضت من مقعدي بصعوبة ، كنت أمني نفسي بنوم هادئ حتي العصر بينما كانت تمني نفسها بموت هادئ حتي تقوم الساعة...
اتجهت نحو الباب مغادراً حين نادتني كعادتها ، لابد من هذه الوقفة الدرامية الأخيرة...

-اسمع ، حالتي الآن لا تسمح بتصنع الخجل و الرسمية ، ستقوم اليوم بإحضار تلك الفتاة من المدرسة ، ساكون في مكتبي الواحدة ظهرا ، أريد أن أحظي ببضع ساعات من النوم.
لم أقل شيئا و أغلقت الباب خلفي في صمت...

أيقنت باستحالة العودة للنوم بعد جلسة كهذه ، إن أكثر ما يؤرق نومي هو الأسئلة الفضولية ، و لقد كانت رأسي مزدحمة بالألاف منها ، و لكن كل شئ بأوان...

****

-لم تخبرني من قبل عن علاقتك بالدكتورة هدي.

-و هل تسمين هذه علاقة ؟ لقد كانت جلسة (مصلحة) كما يقولون.

-إذن أفترض أن هناك ما حدث بعد ذلك لأنهما مخطوبان حالياً.

-نعم ، للأسف إتخذت الأمور مساراً عكسياً بعد ذلك ، لم أكن قد خططت لهذا.

-غريب ، لم يبد عليك في حفل الخطوبة أنك كنت منزعجاً.

-في الواقع كنت منزعجاً ، و لكن علي الجانب المشرق فأنا **أعرف جيداً من هي الدكتورة هدي ، و أعلم جيداً كيف ستسير الحياة بينهما ، هذا أفضل من تأتي امرأة لا أعرف عنها شيئا** تعبث برأسه و قلبه.

-إذن فأنت كنت تعارض فكرة زواج أحمد سامي من الأساس.

-**هذا صحيح ، لا توجد امرأة تستحق رجل كهذا**.

-**أنت تضخم من قيمة هذا الرجل حقاً**.

-**كل شخص يري الأشياء من زاويته الخاصة ، و زاويتي تقول أن هذا الرجل أفضل من أن يتزوج ، لأن نصف النساء هم حالات متقدمة للغاية من النرجسية و جنون العظمة ، يظنون أن أزهار الأوركيديا لا تنبت محل خطوات أقدامهم لا لشئ إلا لأنها خجلة منهن**.

-و النصف الثاني ؟

-يحلمن بأن يكونوا كالنصف الأول.

****

الثامنة صباحا أسفل الدش...

صوت أم كلثوم ينبعث من لا مكان **خارج البيت ، إن من يسمع أم كلثوم في وقت كهذا لابد و أن لديه خللاً في ساعته البيولوجية ، حقا يراودني حنين جارف لصوت فيروز بذلك المقهي بحلوان ، مازلت أذكر آخر جلساتي به حين رحلت عنا أوديت**...

ارتديت ملابسي و نظرت في مرآة الحمام ، ذات الوجه العابس ، لا عجب أنني **لم أثق يوما بهذا المغفل ، إن هيئته وحدها** تعطي انطباعا واضحا بانعدام الكفاءة ، و من المؤسف أن

الناس لا تتغير أبدا ، و لهذا ستظل ذاتي عدوي الأول حتي أموت ، حينها لن تكون أكثر من فكرة مجردة داخل عقول الآخرين ، و ستعيش أسوأ فتراتها من بعدي ، لأنها لن تجد عقلا يذكر لي خيرا ، و لن تجد قلبا يتحرق شوقا لي...
يقال إن كثرة النظر في المرآة تجلب الجنون ، لذا يمكن القول **أنها فرصة لا تعوض إذ أنني لن أجن أكثر من ذلك في جميع** الحالات...
شعرت و كأنها المرة الأولي التي أري فيها وجهي ، و كلما أطلت النظر شعرت بأنني أنظر لشخص آخر ، و بأن ملامحي لم تعد مألوفة لي ...

تناولت دوائي محاولا إقناع نفسي أنني في طريقي نحو الشفاء ، لطالما وصلت بصراحتي إلي حد الوقاحة مع الآخرين ، و لكنني لم أجرؤ يوما علي مصارحة نفسي بما أخشاه...

إنني وحيد للغاية بعد رحيل أوديت...

كانت فكرة أنها موجودة دائما مصدر اطمئنان دائم لي ، أما الآن **فإنني اشعر بفراغ هائل ، قطعة البازل المفقودة التي قد لا تحل محلها أية قطعة أخري**...

لم تكن هناك اليوم جلسة من أي نوع ، لا جماعية ولا خاصة ، لكن ذلك الفراغ المتخلف عن تركي للعمل جعلني أذهب للجمعية النفسية بلا ضرورة ، و كان أو**ل ما سألت عنه حين وصولي هو الدكتورة هدي**...

هكذا بعد دقائق كنت جالساً **في المقعد الأخير بحجرة الإختبارات النفسية** مع مجموعة أخري أقدم من مجموعتي ، **كان من الواضح أنها جلستهم الأخيرة في برنامج العلاج ، و كانت الدكتورة هدي ترمقني من آن لآخر بنظرات نارية مفادها أنها مازالت تسيطر علي الأمور رغم وجود سر مشترك بيننا**...

-إنها شعرة بين المتفلسف و المعقد نفسيا..نعم أيها السادة هذه الحقيقة التي لابد أن تدركونها قبل أن تغادروا هذا المكان. صمتت قليلا ثم نظرت نحوي قائلة بذات الطريقة المسرحية...
-يمتلك أصحاب العقد النفسية مبرراتهم الخاصة بل و المقنعة إلي حد كبير ، فلو سألت شخصا عن السر وراء عقدته من النساء ستجد لديه أجوبة مقنعة للغاية ، يسردها لك بطريقة فلسفية رائعة حقا ، و لكنها خاطئة تماما للأسف.

أعادت توجيه بصرها نحو الحاضرين قائلة...

-في جميع الحالات نحن نؤمن بعبارة الوقاية خير من العلاج ، و ما أقصده بالوقاية هاهنا أنه لابد لكل منكم من تحصين قلعته النفسية و الفكرية جيدا ، لابد ان تتخذوا موقفا محددا من كل شئ ولا تخضعوا عقولكم لكل ما يمر بها ، إنها الحصانة الفكرية ، فلترة الأفكار ، سموها كما تريدون ، فقط حاولوا ابقاء نفوسكم نظيفة قدر الإمكان ، و تذكروا أن أسوأ الأمراض النفسية قد تكمن في البشر العاديون ، المثقلون بالهموم و المشاكل و المتعطشون لإطلاق حممهم المأساوية داخل نفوسكم. نهضت من مقعدي شاعرا بالسخافة تاركا إياها لتستكمل مسرحيتها ، و ما أن أغلقت باب الحجرة خلفي حتي وجدت أحمد سامي قادماً من نهاية الرواق ، لم أستطع معرفة ما يجب عمله تحديدا هل أهرب أم أصمد و أوضح له حقيقة الأمر ، لكنني قدرت أن الهروب سيكون سخيفا للغاية...

هكذا لم أنتظر أن يبدأ الحديث و اطلقت لساني معترفا...

-قبل أن تتصرف تصرفا غبيا ، لابد أن تدرك طبيعة موقفي.

-لم يكن هذا ذنبك.

توقف لساني للحظة مندهشا ثم قلت في اندهاش أكبر...
-حقا ؟

-**هل تعلم شيئا ؟ لقد أنقذتها من عذاب محتوم مع رجل بائس ،** كان يجب أن تشكرك حقا.

-**انا لا أفهم شيئا ، ألن تتمسك بها علي الأقل** ؟

-**لا أظن ذلك ، إن الطبيبة التي تصنف التاريخ النفسي كأحد عيوب الرجل غير جديرة بمهنتها**.

ظل ناظرا نحو الأرض لثوان ثم وضع يده علي كتفي محاولا الإبتسام قائلا...

-**علي كل حال لقد فعلت الشئ الصحيح ، أراك لاحقا**.
قال جملته و تركني بمكاني كالمعتوه ، أعتقد كذلك أن لعابي سال دونما أشعر...

من الواضح أن الكل يتعامل بفلسفته الخاصة ، إذن الكل لديه **عقدته الخاصة ، يخيل إلي أنها** (**حجة البليد**) كما يقولون ، كل **من لا يستطيع التغلب علي مشكلة ما يحاول إقناع نفسه بمبررات خاطئة ، فقط ليظل محتفظا بثقته في قدرته علي** اتخاذ القرار الصائب ، **ستقتلهم الفلسفة يوما ما**...

هكذا ما إن خرجت من بوابة الجمعية حتي اعترضني أحمد سامي بسيارته قائلاً في حماس غريب...

-إركب.

-**ليس قبل أن أتأكد أنك لن تأخذني لمنزلك من أجل تعذيبي ، إن الرجال الهادئون مثلك دائماً ما تتضح في النهاية ميولهم الإجرامية**.

ابتسم قائلاً...

-لا تقلق إنه أمر لمصلحتك.

-**حقاً ؟ هذا سبب يدعوني للشك أكثر ، هل تمزح ؟ لقد دمرت زواجك المستقبلي منذ فترة قصيرة.**

-**هل تذكر تلك الآنسة التي صدمتنا بسيارتها ؟**

-**رائع سنذهب لقتلها سوياً ؟ الآن أفهم ماذا تقصد** بـ(مصلحتي).

-**ستذهب لاختبار قيادة و ستحصل علي ر**خصة خلال الأيام **القادمة ، و ستذهب للعمل كسائق لديها**.

-**ماذا ؟ إنتظر دعني أخمن ، لم تنجح علاقتك بالدكتورة هدي بسببي فستقدمني أنا كهدية زواج لامرأة أخري**.

-**إنها أكبر مني بثلاثة سنوات**.

-**هذا ليس سبباً مقنعاً**.

-**ستعطيك ألفاً و نصف في الشهر**.

حككت ذقني قائلاً...

-**الآن هذا سبب مقنع**.

(3)

في مساء اليوم التالي كنت اغسل الصحون حين جاء طارق يصرخ شاكياً من ارتفاع حرارة الجو...

-الجو نااااااااااااار.

-**نعم أعلم هذا**.

-**أنتِ كاذبة ، تجلسين هنا في انتعاش المكيف ولا فكرة لديكِ عن جهنم المستعرة بالخارج**.

-نعم لكنني أتابع الطقس باستمرار.

-غريب ، لا يبدو أنكِ من ذلك النوع الذي يتابع الطقس باستمرار.

قلت متوجهة نحو المطبخ...

-**حقاً ؟ و كيف يبدو من يتابعون الطقس باستمرار ؟**

-**متعرقين دائماً مثلي و ملابسهم مبتلة**.

-**أنت تتعرق صيفاً وشتاء هذه أملاح زائدة**.

-أعلم و لكن ارتفاع درجة الحرارة تزيد مشكلة الأملاح سوءاً.

-**هل تعلم كم درجة الحرارة الآن ؟ إنها** 25 مئوية.

-ماذا ؟ فقط ؟

-هل رأيت ؟ درجة الحرارة هي مجرد هراء في الوقت الحالي ، السر يكمن في درجة الرطوبة ، إنها 89% ، نحن تقريباً أقرب **للغابات الإستوائية.**

-كيف تعلمين كل هذا ؟

-إنه جلال ، لا تخبرني أنك جلست معه تلعب الشطرنج دون أن تعلم علي الأقل ماذا يعمل.

-أنا صموت بعض الشئ خاصة مع الرجال المنهارين ، لسبب بسيط هو أنني أمقت الشكوي و أمقت الشاكين.

-جلال يعمل في الأرصاد الجوية ، و لم يعد منهاراً علي كل حال ، لقد دعاني الليلة للعشاء بالخارج.

-هذا يفسر أنكِ في مزاج جيد الليلة.

-أليس هذا من حقي ؟

-إنه حقنا جميعاً لكنه أحياناً يصبح عادة في المرء أن يكون في مزاج سيئ حتي في أفضل الظروف.

-تحدث عن نفسك.

-أخشي حقاً أنني صرت كذلك ، أعلم أنه تفسير غبي لكن المشاكل أحيانا تمنح المرء أملاً يحيا بانتظاره ، أمل لا يصل إليه أبداً.

-لا توجد مشاكل في حياتك يا طارق ، لا يوجد شئ من الأساس ، أنت فقط ترفض أن تمنح نفسك سبباً للسعادة.

-هل تظنين حقاً أن جلال سيمنحكِ سبباً للسعادة ؟ أو شيئاً تعيشين بانتظار حدوثه ؟

قلت بينما أجفف يدي في غيظ...

-لماذا لا يمكنك فقط أن تكون سعيداً من أجلي.

صمت لثوان و قال...

-لا أعلم ، ربما لا أريد الشعور بأنني البائس الوحيد.

* * * *

قال طارق :

جلسة جماعية أخري...

و لكن داخل مقر الجمعية هذه المرة ، فقد صار دخول الساقية صعبا بعد تمكين الدخول بالعضويات...

خطرت ببالي تلك الجلسة التي حضرتها قبل أيام لإحدي المجموعات التي انهت برنامج العلاج ، و بقليل من الذكاء استطعت التنبؤ بعدد الجلسات القليلة المتبقية في برنامج العلاج لمجموعتنا ، هذه الجمعية لا تهتم بتقدم أطوار العلاج لكل مريض قدر ما تهتم بإنجاز مهمة برنامج العلاج كاملة في مواعيدها ، أما الشفاء فيعد أحد المتغيرات الغير مضمونة ، لا تنس أن العلاج هاهنا مجاني ، دعك من أن المرضي ليسوا بمرضي من الأساس في نظر المجتمع لكنهم كذلك في نظر الجمعية فحسب...

كانت برفقتنا فتاة لم ألحظها مسبقا ، أو ربما كانت موجودة و لم تشارك في الحديث من قبل ، و ليتها لم تشارك...

-قد تكون طاقتي الحيوية زائدة عن الحد بحيث لا يمكنني تنظيمها جيدا ، لا استطيع السيطرة علي ذلك في أغلب الأحوال ، و هذا يسبب لي المشاكل مع اصدقائي و معارفي ، مثلا حينما يعجبني شئ ما أتمني لو كانت الدنيا كلها عبارة عن ذلك الشئ ، صوت تلك الآلة **الموسيقية في بداية** (**نسم علينا الهوا**) ، **عطر ميلينيا** الذي تضعه إحدي صديقاتي ، لا يمكنني **كتم إعجابي بكل هذه الأشياء ، و ما أستغربته ان صديقتي التي تضع ذلك العطر قالت أنني مزعجة و مملة ، صحيح أنها لم تخبرني بذلك لكن إحدي صديقاتي سمعتها ، ألهذه الدرجة** يفسد الحماس الزائد الأمور ؟

بالرغم من أنها المرة الـ675343347 **التي تروي فيها تفاصيل مشكلتها بألف شكل و بمضمون واحد ، إلا أنني تعجبت من تساؤلها الأخير ، إن من يسأل سؤالا كهذا لابد و أن يعرف إجابته مسبقا ، هذه الفتاة تدرك مشكلتها حق الإدراك ، المدخن الذي** يعرف أضرار **التدخين أكثر من اسم زوجته و برغم ذلك غير قادر** علي الإقلاع عنه...

-أمي دائما تقول أنني كنت فضولية في طفولتي ، و كاد هذا الفضول الزائد يودي بحياتي أكثر من مرة.

حقا هي المرة الأولي التي أواجه فيها متحمساً يدرك مشكلته ، و لكن برغم استمتاعي بفيلم (اعتراف متحمس) **هذا ، إلا أن معظم تركيزي كان موجهاً نحو الطبيبة المتظاهرة بالإنشغال بتدوين ملاحظاتها عن حالة التحمس الزائد هذه ، هل تراجع نفسها ؟ هل تشعر بنوع من تأنيب الضمير تجاه أحمد سامي ؟ فقط لو تعلم تلك الحمقاء أي كنز أضاعته من يدها ، فلينقطع إصبع قدمي الصغير إن لم تكن منهمكة برسم بطوط أو ميكي داخل مفكرتها اللامعة كعادة أمثالها من الأوغاد...**

-فريدة ، حقاً أعتذر بشدة لمقاطعتك ، لكننا الآن أدركنا مشكلتك **جيدا..ربما أكثر منك ، فيما يتعلق بعلاج المشكلة ذاتها هل** يمكننا التحدث الآن ؟

-كما تشائين ، أنتِ الطبيبة في النهاية.

و حينما يبدأ الحديث عن العلاج يتعطل فضولي تماما ، في الواقع أجد الحديث عن الأمراض ذاتها أكثر إثارة و تسلية من الحديث عن علاجها ، و لسبب كهذا جلست بجانب النافذة كنوع من التسلية الوقتية تحسبا لحدوث الملل المعتاد ...

إن تجربة مراقبة المارة بالشارع ليست مملة إلي هذا الحد ، فلمثل هذا اخترع البشر النوافذ و الشرفات ، و هذا و إن دل فإنما يدل علي أن هواية مراقبة المارة قديمة قدم المعمار البشري ، في الواقع لا يختلف هذا كثيرا عن هواية مراقبة الطيور و دراسة السلوك الحيواني عن كثب ، و لا أتوقع من أحد أن يعتبر هذا التشبيه إهانة للجنس البشري...

كان هناك طفلان يتشاجران لسبب ما لا أعلمه ، و لم أهتم بذلك كثيرا فليس ذاك المشهد إلا تاريخ يعيد نفسه بالنسبة لكل منا ، لكن الأمر يختلف حينما تتدخل النظرة الفلسفية اللعينة ، أو النظرة العلم نفسية لمزيد من الدقة...

فإذا كان فرويد أعطي **أهمية كبري و دورا حساسا للغرائز الجنسية في تكوين شخصية الطفل ، فإنني لم أقتنع يوما بتلك** النظرية الملتصقة بإسم فرويد التصاقا ، و لا أتعجب من ذلك ، **فإن الحديث عن الغرائز الجنسية بتزامن الحديث عن الأطفال ببرائتهم يعد شيئا ملفتا و مثيرا للجدل مهما كانت درجة علميته و منطقيته...**

إن براءة الأطفال في رأيي ليست في عدم عدوانيتهم ، بل في عدم قدرتهم علي تنظيم المادة الخام للعدوان بداخلهم في

صورة أكثر اجتماعية و نضجاً ، الأطفال يكرهون ، يغلون و يحقدون ، في سبيل تحقيق مصالحهم الطفولية ليس إلا ، لكنهم لا يخفون تلك المشاعر أو حتي ينظمونها بل يخرجونها علي الفور دون تفكير...

أفقت من خواطري المتداخلة لأجد أحد الطفلين يبكي متألما بينما الآخر يجري بعيداً ، إن عالم الأطفال قاس للغاية ، بينما نحن البالغين نراه من خلف الزجاج عالم حالم ملئ بالورود...

-طارق.

-نعم ؟

خرجت مجبرا من عالم النافذة الممتع لأجد الغرفة فارغة...

-**الجلسة انتهت منذ خمس دقائق ، هل لديك ما تخبرني به أم** أنه لديك حرمان مزمن من النوافذ ؟

نهضت بصعوبة قائلا...

-**في الواقع يصعب شرح هذا ، ليس جلوسي بجانب النافذة مجرد رغبة طفولية ، إنه اسلوب حياة لو كنتِ تفهمين قصدي**.

حانت **مني نظرة نحو مفكرتها المفتوحة بينما مطت هي شفتيها في غير اهتمام لقولي و قالت**...

-**هل تعلم شيئا ؟ سأكون ممتنة لك حقاً لو حافظت علي المسافة بيننا ، يمكنك اعتبار مناقشتنا بشأن أحمد سامي نوعا** من الـ...سؤال عن الساعة.

-**و أنتِ تقولين هذا لأن**...؟

-**لأنني أدرك جيداً كنه الأسئلة التي سألتها لإبنتي حين أخذتها من المدرسة ، لابد أنك سألتها عن** (**هل تبكي الماما كثيراً في غرفتها مؤخراً ؟**) أو (**هل بدأت الماما تصبح لطيفة معكِ مؤخراً** دونما سبب واضح ؟).

-**لا يمكنني أخذ كلام طفلة بالإعتبار ، إنها حتي لم تلتزم بوعدها** لي و أخبرتكِ **بأسألتي التي سألتها**.

-**في الواقع هي لم تخبرني شيئا ، لكن كيس الحلوي بيدها** أخبرني بذلك و أكثر.

-امممممم ، حسنا ، لا ضغائن.

اتجهت نحو الباب شاعرا بمزيج من السخرية و خيبة الأمل ، فلم يكن ميكي مرسوما في مفكرتها كما توقعت ، ولا حتي بطوط...

كان تويتي هذه المرة...

****

-**متي ستذكرني في كل هذا ؟**

- سبق و أن ذكرتكِ بالفعل.

-**حين صدمت سيارة أحمد سامي ؟ و ماذا بعد ذلك ؟**

ابتسم قائلاً...

-لا تريدين ذلك حقاً.

-**لماذا ؟ هل بداخلك ما تخفيه بشأني ؟**

-**ليس الآن ، و لكن فيما مضي كان انطباعي يختلف**.

-**إذن من الجيد أننا قررنا كتابة تلك** المذكرات ، أخرج ما عندك.

****

ماذا يمكنني أن أقول عن سمر ؟

ربما أقول أنها كاتبة روايات في الثلاثينيات من عمرها ، و هي ككل النساء في ذلك الميدان تعاني من (متلازمة الأنثي) كما **أحب أن أسميها ، إذ أنها حين تحاول كتابة رواية بوليسية أو اجتماعية تجد نفسها في منت**صف الرواية و قد صنعت قصة حب **أخري تسللت من بين السطور**...

غير متزوجة بالطبع ، و من الصعب عموما أن أتصور وجود كاتبة روايات متزوجة ، علي الأقل في مجتمع كهذا...

لا تبدو ككاتبة علي الإطلاق ؟ **ولا حتي محامية ،** أنا أيضاً أقول **هذا منذ رأيتها للمرة الأولي ، في الواقع كنت أظنني الوحيد الذي يري تلك الحقيقة ، عيناها النصف مفتوحتان كأنما تعاني من ضعف في الشبكية ، صوتها الخفيض ، تلك النظارة الرفيعة و طريقة كلامها السريعة المتعثرة و تعابير وجهها التي تنم عن جهل عام بالحياة ذاتها ، ثم إنها لا تدخن ، تخيل هذا ، كيف** لكاتبة روايات ألا تدخن علي مدار الساعة كعربة بطاطا ، **هذا** أشبه بـ(**معلم قهوة**) **لا يشرب الأرجيلة**...

أما عن علاقتي بها في البداية **فهي لا تزيد عن علاقة كاتبة** روايات ب**سائقها الخاص ، لذا يمكنك بشكل ما تبين كنه العلاقة التي بيننا ، و التي هي إلي حد ما تشبه**........بالضبط ، علاقة كاتبة روايات ب**سائقها الخاص** ، أنت رائع حقا...

الخلاصة أنه رغم أننا لم نتحدث كثيراً إلا أنني من خلال مراقبتي لها في مرآة السيارة استطعت التقاط بعضاً من ملامح شخصيتها ، و أدركت أنني إلي حد ما كنت مخطئاً حين أسرعت

بالحكم عليها في البداية ، إن هذه المرأة ضعيفة الشخصية للغاية لكنها تحاول أحياناً تغليف نفسها بشئ من القوة...

-**إذن ، ماذا تؤلفين ؟**

رفعت عينيها نحو مرآة السيارة قائلة...

-عفواً ؟

-**أعني ما نوع الروايات التي تقومين بتأليفها ؟**

-**رواية واحدة فقط التي قمت بتأليفها ، رومانسية ، في الواقع** إن الأستاذ أحمد **يبالغ فأنا في الأساس محامية ولا يشغل التأليف من حياتي حيزاً كبيراً**.

-**امممم رومانسية ، هذا جيد**.

-**هل تحب الروايات الرومانسية ؟**

-**هل تمزحين ؟ أنا مراهق ، لا يوجد مراهق في العالم لا يحب الروايات الرومانسية**.

-رائع ، ذكرني في المرة القادمة أن أجلب لك نسخة.

-و لكن..**أعذريني لسؤالي هذا ، كيف يمكن لامرأة تتعامل مع** قضايا الطلاق و النفقة و الخلع أن....

-**نعم نعم أن تكتب قصصا رومانسية خالصة ، أفهمك ، في الواقع أحب تسمية هذا بالهروب ، أنا أهرب من كل تلك الأشياء باختلاق بعض المواقف الرومانسية التي لطالما تمنيت أن أعيشها يوماً ، أو لمزيد من الدقة أعيش علي أمل أن أحظي بها يوماً ،و تدريجياً تصبح لدي قصة أنشرها**.

-**أها ، رائع**.

-إذن ، أخبرني أنت أيضاً عن نفسك ، ماذا تدرس ماذا تفعل في **حياتك**.

-**أنا أدرس في كلية آداب قسم علم نفس ، بجامعة حلوان ، أعيش وحيداً في منزل شاسع أكبر من أن يعيش** به رجل واحد ، و الأسوأ أنه أكبر من أن ينظفه رجل واحد.

-و أين عائلتك إذن ؟

-**العائلة بأكملها كانت بهذا المنزل** ، أنا و إخوتي و أبي و أمي ، **كنا نعيش في شقة واحدة من البيت** و باقي الشقق لم يتم **تشطيبها بعد** ، (**بيت عيلة**) كما يقولون لكن (**العيلة**) لم تتكون بعد ، و **علي كل فقد ذهب الجميع الآن للإسكندرية ، و ظللت أنا هنا من أجل الدراسة علي افتراض أنني سألحق بهم بعد** التخرج.

-نعم و لكنك لن تفعل.

-**كيف علمتِ ؟**

-**يبدو هذا واضحاً للغاية في نبرة صوتك**.

-**إن الوقت مبكر للغاية علي التفكير بهذا الأمر ، أنا أحب ترك الأمور لوقتها فلا أحد يعلم ما سيحدث غداً**.

-نعم ، أنت محق.

****

-**فقط لو كنت أعلم حينها أي كائن هذا الذي يقود سيارتي لرميتك علي قارعة الطريق و دهستك بالسيارة تسع مرات ذهاباً و إياباً حتي تلتصق بالأسفلت إلتصاقاً**.

نظر طارق لساعته قائلاً...

-**شكراً علي هذه المشاعر النبيلة ، متي ستذهبين إلي موعد** جلال تحديداً لقد صارت الساعة العاشرة.

-**و من قال أنني سأذهب ؟**

قطب جبينه لثوان مفكراً ثم ابتسم مستدركاً و قال...

-**إذن أنتِ في مزاج جيد لأنه أرسل دعوة للعشاء فحسب لكنكِ لن تستجيبين لها**.

-**بالضبط ، لا تريد أن أكون مثالاً شاهداً علي انقراض ظاهر**ة **التمنع الأنثوي أليس كذلك ؟**

اتسعت ابتسامته أكثر و قال...

-**هذه هي تلميذتي**.

****

الساعة الرابعة عصرا في مكتب الدكتورة هدي بالجمعية...

إلي حد ما صار هذا المكتب مألوفاً لي ، حجرة الإعترافات **بالكنيسة ، في الواقع لا يختلف الأطباء النفسيون عن القساوسة كثيرا ، فإن الراحة النفسية مكفولة في الحالتين**...

-**أغلب أوراقك السابقة موقعة بإسم الدكتورة إلتزام ، و هي علي حد علمي تدير مستشفي للأمراض النفسية و العصبية و لديها أسلوب ناجح في** العلاج.

-لابد أنكِ **تعرفينها أكثر مني**.

قالت بينما تعيد وضع الأوراق داخل الملف...

-قابلتها ذات مرة في مؤتمر طبي ، وليست بالشخصية التي تستحق الحديث معها.

رفعت حاجباي في اندهاش قائلاً...

-غريب هذا ، لقد تصورت أن تنسجما معا للغاية.

-لماذا تركتها ؟

-لأنها لا تختلف كثيراً عمن تعالجهم.

-حسنا ، دعني أعيد صياغة سؤالي..لماذا تركتها و تابعت علاجك معي ؟

حككت رأسي قائلاً...

-ربما لأنكِ لا تتقاضين خمسون جنيها كل جلسة.

-هذا لأنك لست في عيادتي ، عادة أتقاضي مئة و عشرون عن الجلسة الواحدة.

-هذا نصب علني.

دفنت وجهها بين كفيها قائلة في نفاذ صبر...

-ألم تنته هلاوسك بعد ؟ ما الذي جاء بك ؟

-جئت لأعترف.

-تعترف بماذا ؟

نظرت لها في صمت بضع لحظات ثم حككت ذقني قائلاً...

-لا أقصد الإهانة حقا ، لكن..هل تعرفين شيئا عن المشاعر الأنثوية ؟

____

ليس كل ماهو سئ مكروه...

و علي الأصح لا تنطبق قاعدة المثالية دائماً علي الأشخاص **الطبيعيون ، و إن أكبر الدلائل علي ذلك أنك تتعاطف مع اللص و تتمني له النجاح في عمليات السرقة فقط لمجرد أنه ذكي أو لمجرد أنه بطل الفيلم ، إن أي** مؤلف **فاشل يستطيع توجيه عواطف الجمهور كيفما شاء**...

-لكنني لست متعاطفة معك.

و لكل قاعدة استثناء كما تعلمون ، و قد أكون مؤلف فاشل أكثر من اللازم...

قبل أن تسألني عن ذلك المكان لست من هواة المقاهي النيلية ، لكنها تلك المحامية غريبة الأطوار ، مجبر علي اللعب **بقواعدها و علي أرضها ، كما انني مجبر علي شرب هذا** العصير **، من أين يأتون بالبرتقال في هذا الوقت من السنة ؟؟؟ أشعر أنني داخل فيلم مصري بالغ القدم**...

-أعلم ذلك ، أنا لا أستحق الشفقة علي ما فعلت ، لقد كانت (**رانيا**) **تحبني بجنون و أنا تركتها**.

لا أفهم لماذا تفغر فاهها مدة أطول من اللازم عندما تندهش ، ألا تخشي تسلل **الحشرات أم أنها فخورة ببلعومها بعض الشئ** ؟

-**ألا تشعر حتي بالذنب تجاهها ؟**

-**بالطبع أشعر ، و لو كان بإمكاني العودة لها و الإعتذار لفعلت**.

-و لماذا لا تفعل ؟

نظرت لها قائلا في تأثر...

-**لأنها ماتت**.

فغرت فاهها أكثر ثم وضعت يديها عليه في مفاجأة و إندهاش ، أو أنها بدأت تخشي تسلل الحشرات علي ما يبدو...

-أنا آسفة للغاية.

-**لا عليكِ** ، ما كان يجب لي إزعاجك بقصتي البائسة علي كل حال.

-**لا تقل هذا من فضلك أنا سعيدة لأنك تصارحني بهذا ، ثم إن** شعورك بالندم وحده كافٍ.

حقا لا يوجد ما هو أكثر سهولة من التلاعب بمشاعر أنثي ، أو للدقة **لا يوجد ماهو أكثر سهولة من التلاعب بمشاعر سمر**...

لكن الفضول كان أقوي مني ، لذا اضطررت للكذب و اختلاق **قصة ما ، إنها تلك الصفقة النفسية المعهودة ، صارحني بماضيك السيئ فأصارحك بما هو أسوء ، و كلما كان ماضيك** أسود كلما زادت صراحة الطرف الآخر ، علي اعتبار أنه **ليس أكثر منك سوءا بل هو ملاك مقارنة بك**...

تسألني لماذا لم أقص قصتي مع أوديت بدلا من الكذب ، **فأقول لك إن هذا ليس من شأنك**...

و الآن أسد لي خدمة و اقرأ في صمت...

____

-**من هي أوديت علي أية حال ؟**

نظرت لها في غباء محاولاً استيعاب السؤال ، هل حقا لم أذكر للدكتورة هدي شيئا عن أوديت من قبل ؟

-أوديت.

-**من هي أوديت ؟**

-**كيف لا تعرفين أوديت ؟**

-**أهي كاتبة أخري حاولت خداعها ؟**

ظللت ناظرا لها في غباء بضع لحظات دونما رد ، لوهلة ظننت العالم كله يعرف من هي أوديت ، إنه تعليل آلي كثيرا ما أصاب **به فأظن الكون لابد و أن يتشح بالسواد و الغيوم لمجرد أنني حزين ، و أشعر بوقاحة الآخرين لأنهم يبتسمون بينما أنا غارق** في أحزاني...

لطالما كنت أمقت من يظنون **أنفسهم محور الكون ، لكن من الواضح أنني أمارس هذه العادة دونما أشعر**...

****

يقال أنني مستمع جيد للغاية...

و الحقيقة أنني لا أستمع لمجرد الإستماع ، فقط ينتابني الفضول نحو بعض الأشخاص دونما سبب واضح حتي لي **شخصيا ، فليست كل رغباتنا مبررة دائماً**...

-**حقا لا أعرف لماذا أذكر لك كل هذه الأشياء رغم أننا تقابلنا بالأمس فحسب ، لم أقص هذه الأسرار حتي لأقرب الناس لي**.

نعم نعم ، أعرف هذه العبارة جيدا ، في الواقع لا أتذكر أحداً قص أسراره لأقرب الناس إليه **، لسبب بسيط هو أن هذه الأسرار غالبا ما يتضح أنها تخص هؤلاء الـ**(أقرب ناس) **أنفسهم ، و من الصعب مشاركتها إلا مع أحد الغرباء...**

رشفت رشفة أخري بالشاليمو فتسائلت في داخلي كيف لم **ينته كوبها حتي الآن ؟ لو كانت تمارس التأليف بهذه السرعة** فأنا في ورطة...

-حسنا ، أعتقد أننا تعارفنا بما يكفي للتحدث عن تفاصيل العمل.

تفاصيل العمل...

نعم تفاصيل العمل...

و ما أدراك ما تفاصيل العمل...

* * * *

توقفت عن الكتابة و نظرت نحو طارق في غيظ...

-ماذا ؟

-ماذا ؟ بعد كل هذا تسأل ماذا ؟ لا أصدق حقاً أنك قمت بسرد كيفية خداعك لي إلي هذه المرأة.

-وما المشكلة ؟ إنها طبيبة نفسية و مهمتها هي الحفاظ علي أسرار المرضي.

-المرضي و ليس الحمقي ، أنا معرضة لمقابلتها في أي وقت ولا أعرف كيف سأحتفظ باحترامي لنفسي أمامها ، لابد أنني **سأفسر كل نظرة من نظراتها لي بتفسير أحمق.**

-**أذكر أنني قبل بداية كل هذا قدمت لكِ تحذيراً بشأن ذلك ، هناك المزيد من الأمور التي قد تجدينها غير متوقعة و صادمة**.

ظللت صامتة لثوان ثم نظرت له قائلة...

-خدعتني من أجل أن تعمل معي ، من أجل أن تري طريقة **تفكيري و تسخر منها ، من أجل أن تثبت لنفسك أنني**....

-**كفي سخفاً لم أخدعكِ من أجل هذا**.

-إذن من أجل ماذا ؟

-**لا أعلم ، حقاً لا أعلم ، لماذا لابد دائماً أن يكون هناك سبب** لكل شئ ؟

-لأنه لا شئ يحدث بدون سبب.

-**إذن ربما هناك سبب لا أعلمه أنا نفسي ، ربما**...ربما لأنني كنت و**حيداً للغاية بعد ذهاب أوديت ، ربما أردت فقط الشعور** بوجود أحد بجانبي ، أي أحد.

-**و كأنك كنت تحبها ، أنت تحب فكرة وجودها متاحة دائماً ليس أكثر ، و حين صارت تلك الفكرة بعيدة المنال بدأت تشعر** بالوحدة.

-**أياً كان ، لم يكن هدفي مطلقاً الوصول لعقلك ، ربما أنتِ المر**أة **الوحيدة التي لم أبالغ في فضولي بشأن طريقة تفكيرها**.

-و لماذا ؟

-**سيستدعي قول هذا أن أكون لطيفاً ، و أنا في الواقع لست** معتاداً علي....

-**فقط قم بتعطيل ذلك الوغد بداخلك لخمس ثوان فقط من** أجلي.

هنا أخذ نفساً عميقاً و احمرت أذناه و بدأت يداه في التعرق ثم قال...

-**لأنكِ بسيطة للغاية ، لست معقدة كالجميع ، و أنا في الواقع لا أفهم كيف لمحامية أن تكون بهذه البراءة.**

ابتسمت قائلة...

-**في الواقع كان هذا ألطف شئ سمعته في حياتي.**

رفع عينه نحوي بصعوبة قائلاً...

-**حقاً ؟ ظننت أن جلال يخبركِ بهذا طوال الوقت ، ظننت هذا أحد** الأسباب التي جعلت جلال يحبك.

-من يحب لا يدرك سبباً محدداً للحب ، إنه فقط يحب لأنه يري ذلك الشخص يستحق أن يُحب.

ابتلع ريقه قائلاً بصوت متقطع...

-حسناً..**سأذهب للحمام لحظة.**
نهض من مقعده متوجهاً نحو الحمام فناديته قائلة...

-**هل تعلم ماذا يسمون تلك الأعراض التي تمر بها حين تحاول أن تكون لطيفاً ؟**

رد من داخل الحمام قائلاً...

-تقزز ؟
-بل خجل.

(4)

قال طارق :

كانت هذه جلستنا الجماعية الأخيرة...

و إلي حد ما كنت أعلم ما سيقال ، و برغم ذلك كانت انفعالاتي مواكبة لتلك اللحظات الأخيرة المميزة ، صحيح أن الأمر يشبه فيلم تشاهده للمرة الثانية ، لكن لمحة الترقب تظل مرتسمة علي وجهك لدي ظهور الوحش...

إن التعبير الإنفعالي ليس إلا ذبابة لزجة مراوغة يصعب التخلص منها أو حتي إمساكها ، و من يخطط لانفعالاته مسبقا فهو في مشكلة حقا...

-سيتسلم كل منكم الآن نسخة من صفحته النفسية أو البروفيل النفسي الخاص به ، تحتوي هذه الصفحة علي درجاتكم في الاختبارات المعرفية التي أجريناها معكم ، و للجمعية الحق في الإحتفاظ بنسخ منها لإجراء إحصائياتها علي المدي البعيد.

كانت الدكتورة هدي تتحدث بلا انقطاع و كأنها متحمسة لرحيلنا ، و في **تلك الأثناء أيضاً كان هاتفي يهتز بلا انقطاع ، و قد كنت** مضطرا للرد حتي لا أفقد عملي الجديد...

-ألو.

-أنت مطرود.

-**لم أسمع الهاتف.**

-إذن حاول أن تسمعه المرة القادمة ، إن الأفكار لن تنتظرك.

كان الأمر أسوأ مما توقعت ، فلطالما كنت أعطي الأولوية لأسوأ التصورات حتي **لا تكون صدمتي عنيفة تجاه الأمور المجهولة ، لكن تفاصيل العمل لدي تلك الكاتبة فاقت كل** تصوراتي ...

____

قالت سمر بينما ترشف من كوبها الذي لا ينتهي أبداً...

-قد تتسائل ما الذي يدفع بكاتبة إلي الإستعانة بتايبست ، بل **أنا متيقنة من أنك** تسائلت بداخلك عن السبب.

رشفت بقايا العصير في كوبي مصدرا ذلك الصوت الفاضح...

-**لا يهمني ذلك مادمت سأتقاضي أجري**.

رفعت عيناها نحوي قائلة...

-**لا تبدو لي شخصا يهتم بالماديات**.

-**قد تكون لي بعض الإتجاهات الأدبية ، لكن الأمر يختلف حين** نتحدث عن (**أكل العيش**).

-حسناً ، **لا أنصحك بمناقشة الماديات قبل معرفة تفاصيل** العمل.

-**لست أري ضرورة لذلك ، هل يوجد للتايبست وظائف أخري غير** الكتابة ؟

-في الواقع أنا أعاني من مشكلة في الإحتفاظ بالأفكار لمدة **طويلة ، ناهيك عن أنني أفقد التركيز أثناء الكتابة ذاتها ، حين أحاول صياغة إحدي الأفكار** أفقد الأخري.

-و لماذا لا تحتفظين بها كنقاط رئيسية في مفكرة صغيرة ؟

-هذا هو ما أتحدث عنه ، لا يتعلق الأمر بالأفكار ذاتها بل بأسلوب الصياغة ، لن تجذب الأحداث القارئ مالم يجدها مصاغة بأسلوب جذاب ، و هنا تصبح الأفكار هي الأسلوب ذاته ، و هنا تكمن مشكلة ذاكرتي اللعينة في الإحتفاظ بأكثر من صيغة بوقت واحد.

لم أجد ردا فقالت...

-هل تفهمني ؟

-نعم نعم ، فقط أحاول التنبؤ بتفاصيل العمل بناء علي مشكلتك ، و أخشي أنها ستكون متعبة حقا.

-أعدك أن يكون أجرك مرضيا ، و لك نسبة من أرباح كل كتاب فقط لو كان أداءك مرضيا لي.

-و من **سيقوم بقيادة السيارة بعد ذلك ؟**

-فلتذهب السيارة إلي الجحيم سأركنها أسفل المنزل حتي ننتهي من كتابة الرواية.

-حسنا ، أخبريني كيف يسير الأمر إذن ؟

____

-طارق.

-نعم ؟

-**أرجو ألا نكون قد أزعجناك ، أراك منهمكاً في مكالمة هاتفية**.

-في **الواقع نعم ، سيكون من الأفضل إنهاء الجلسة سريعا بدون طقوس وداعك هذا**.

علي الجانب الآخر كانت سمر تسرد مدخل روايتها بطريقة تذكرني بمرضي القولون العصبي ، حتي توقفت فجأة و قالت...

-**هل تعلم شيئا ؟ لست مقتنعة بهذه البداية ، إلغ هذا و انتظر** مني مكالمة أخري.

أغلقت الخط تاركة الدماء صاعدة لرأسي حتي شعرت بدخان يتصاعد من أذناي ، لسوف ألجأ لأدوية الضغط إذا ما نويت **الإستمرار في هذا العمل اللعين**...

****

توقفت عن الكتابة و نظرت لطارق في غيظ قائلة...

-**حتي الآن لا تفعل شيئاً سوي إظهاري في صورة غبية**.

-**لقد كانت هذه وجهة نظري حقاً حينها ، إن متطلباتكِ كانت في غاية الإزعاج و أسبابك كانت غير معقولة**.

-و لماذا وافقت علي العمل إذن ؟

-لأنني حمار.

-مثلاً لماذا لا تتحدث عن الباعوضة ؟

-أية باعوضة ؟

-الباعوضة.

-أية باعوضة ؟

-أحقا لا تذكر الباعوضة ؟

قطب جبينه لثوان مفكراً ثم قال مبتسماً...

-آآآها ، الباعوضة.

****

قد لا يكرهك الناس لمجرد أنك وغد ، و علي الأرجح أن يكرهوك لو أكتشفوا أنك عكس ذلك...

يتعلق الأمر بالصراحة المطلقة ، فأكثر الناس-ولا أدري لماذا-لا تحب الخداع ، و يتوقعون منك صدقاً صادقاً مصداقاً في بداية **معرفتهم بك ، و لهذا لن يكرهونك لو كنت واضحاً منذ البداية في حقيقة كونك وغداً ، أو حتي أسوأ من ذلك**...

-ما الأمر ؟ لماذا توقفت عن الكتابة ؟

قلت بصوت خفيض دون أن أنظر لها...

-أرصد شئ ما.

-ترصد ماذا ؟

-أرصد هذا.

طخ...

في البداية لم ألاحظ تعابير وجه سمر ، كنت منشغلاً بنشوة **انتصاري علي تلك الباعوضة اللعينة**...

-**هل جننت ؟ هل تدرك ما فعلته للتو ؟**

هنا فقط انتبهت لها ، أعرف تلك النبرة جيداً ، من الواضح أنني تورطت مع إحدي مخابيل جمعيات حقوق (شئ ما) ، لقد صار **لكل شئ حقوق هذه الأيام فما الذي يمنع ظهور جمعية**(حقوق **الباعوض الدولية**) **؟ في الواقع لا أستبعد أمراً كهذا في هذا** الزمن ، فذات يوم سأصحو من النوم و أنظر في المرآة لأدرك أن **قطار العمر فاتني دون إنشاء جمعية** (حقوق طارق)...

-**إسمعيني جيدا ، حقا أقدر مشاعرك النبيلة تجاه تلك الباعوضة ، و لكن تأكدي أنها الآن في مكان أفضل ، حيث يلهو الباعوض** سويا و يمتصون دماء أنقي من دمائنا.

-**هل أنت مخبول أم تتظاهر بذلك ؟ أتحدث عن الكتاب الذي قتلتها به للتو ، هل تدرك ما قيمته ؟**

تنفست الصعداء و نظر للكتاب في غير مبالاة ، كان كتابا ذو غلاف سميك مبطن بالورق المقوي و مكسو بقماش برتقالي مهترئ ، كان يذكرني إلي حد كبير بكتب سحر القرون الوسطي التي أراها في أفلام الرعب الأمريكية ، بصعوبة بالغة حاولت قراءة عنوانه...

(OTHELLO)

خطر ببالي وقتها أنني لم أقرأ رواية واحدة لشكسبير ولو حتي مترجمة ، في الواقع أنا أحجم-لا إراديا-**عن كل ما هو معمم** الإعجاب ، إذ **أنه يفقد تميزه حين يصبح منتشرا**...

أخرجت منديلا ورقيا كي أمسح جثمان المرحومة من علي الغلاف الأثري هذا فوجدته قد جف و التصق بالغلاف ، لذا بصقت علي الغلاف و مسحته في وقار بارد...

-خخخخخخ...تفو.

-**حسنا ، فاض الكيل ، أنت مطرود.**

بالفعل فاض الكيل...

-**من تظنين** نفسك ؟

-و من تظن نفسك ؟

-**أنا أظن نفسي الوحيد الذي يقدم تنازلات لا حصر لها في هذا** العمل.

-**أي تنازلات ؟ لقد هيأت لك الجو المناسب للكتابة داخل مكتبي** و داخل منزلي.

-**هيأتِ لي ظروفا ترينها مناسبة لي ، و لكني لا أراها كذلك كان يجب أن تسأليني أولاً ، مثلاً ذلك الظلام** الذي يعم الغرفة **يجعلني هدفاً محدداً و مقصوداً للحشرات أمام إضاءة الكمبيوتر ، أضيفي لذلك أنني لست معتاداً علي لوحة مفاتيح اللاب توب هذه و أريد واحدة أكبر ، أشعر أن ذراعاي مضمومتان و مقيدتان.**

لم تقل شيئاً ، فقط تقدمت نحو المكتب قائلة بهدوء...

-لا أظن أنك **الوحيد الذي قد يمارس عملاً تافهاً كهذا ، هناك من هو أفضل منك حتماً ، و سيقبل بشروطي أياً كانت.**

لم أجد رداً فواصلت كلامها قائلة...

-**و الآن أخرج من هنا.**

* * * *

-كانت ذكريات رائعة.

مط شفتيه قائلاً في شرود...

-نعم.

****

مرت فترة طويلة للغاية حتي انتهت العطلة الصيفية و بدأت الدراسة ، عام دراسي آخر و لكن بلا أوديت...

كنت قد كففت حينها عن تناول مضاد الهلاوس ، لذا عادت الهلاوس تمارس روتينها الصباحي القديم ، كانت جلسات الجمعية هي الشئ الوحيد الذي يذكرني بمرضي ، و لذلك كنت مواظبا-**إلي حد ما علي تناول العقار حتي نهاية** البرنامج **العلاجي بالجمعية**...
الدكتورة هدي ؟ بالطبع كنت ساذجا حين عاودت الذهاب لها...

حين حاولت الدخول لمكتبها رفعت يدها في أدب كي تمنعني من الدخول ، كان من الواضح أنها اتخذت قرارا نهائياً بشأني... **ظللت واقفا علي باب مكتبها كالأحمق بينما كانت تكتب روشتة** ما في سرعة ، في الواقع كانت ترسم لكنني عللت ذلك بأن **أكثر الأطباء يرسمون حين يكتبون بذلك الخط الطبي الأنيق الغير واضح**...

طوت الورقة و أعطتها لي قائلة بلهجة تقريرية تذكرني بموظفي خدمة العملاء...

-**لا يمكنك القدوم هنا ثانية ، لقد انتهي عقدك مع الجمعية بانتهاء** البرنامج العلاجي.

-**ما هذه الورقة ؟**

-هذا شئ قد يساعدك ، و الآن ارحل و لا تريني وجهك ثانية.
أغلقت الباب في وجهي ، كان لقاء مقتضبا كما تري لكنه بليغ...
كم مرة تم طردي هذا الأسبوع ؟؟

لم استطع مقاومة رغبتي في الإبتسام بينما أغادر مبني الجمعية مودعاً إياه ، حين قفزت إلي ذهني تلك الأغنية التي تتحدث عن كم أن النساء مخبولات...

فتحت الورقة المطوية لأدرك كم كنت محقاً...

كانت ترسم بالفعل..**قلبا من ذلك الذي ترسمه المراهقات بفن و دقة ، و بأسفله عبارة قصيرة بالإنجليزية بذات الخط الطبي اللعين...**
USE IT

لا أفهم هل صار الجميع مفعمون فجأة بالعواطف ؟
إن أكثر ما يحنقني هو خسارتي الطبيبة التي كانت تسمعني دون اعتراض أو محاولة للنصح ، طبيبة لا تتحدث إلا عند الضرورة ، و لا تثرثر عن المفروضات بل عما يمكن فعله مهما كان منافيا للمنطق...

كان لدي أمل في تغيير فكرتها عني يوما ما ، أنا لا أكره النساء ، **فقط أنا أمقت تلك العاطفة التي قد تجعلني سجيناً لحب إحداهن يوما ما ، دعك من أن بعض الأشياء تفقد سحرها حين تنظر لها بعين الفحص و الدراسة ، إنها ضريبة المعرفة لو كنت تفهم ما أعنيه ، إذا أردت كشف سر الحب فستفقد الشعور** بسحره حتي الموت...

لأسباب كهذه-في رأيي-**يوصف الأطباء بالبرود التام ، و هذا**-في رأيي أيضا-**شئ طبيعي لمن عرف حقيقة الأمور الخفية ، حقيقة أن الحزن و الحب و السعادة ليس إلا تعابير ناتجة عن تغيرات فسيولوجية...إلي آخر هذا الكلام العلمي البغيض...**

لا وجود للسحر في هذا العالم المادي ، لابد لكل شئ من **تفسير علمي واضح ، لابد أن تعلم كم أن القمر ملئ بالصخور و التراب و ليس كما تظنه** (طبق بنور) ، لابد دائماً من بعض **الأوغاد الفضوليين ليكشفوا الستار عن الحقيقة العلمية وراء كل ما هو جميل و ساحر في هذا الكون**...

* * * *

-**هذا غريب**.

-**ماهو الغريب ؟**

-تتحدث و كأنك من**زعج من هؤلاء الأوغاد الفضوليين ، رغم** أنك....

-**نعم رغم أنني مثلهم ، إلا أن الأمر لا يسير هكذا معي ، إنني فقط أري أن البحث في كيفية عمل ديناميكية الحياة أكثر جدوي من البحث في أحداث و مجريات الحياة ذاتها**.

-**و ما الفائدة التي تجنيها من ذلك ؟**

مط شفتيه قائلاً...

-في بداية دراستي لعلم النفس ظللت لفترة طويلة متشككاً **من جدوي نظريات هذا العلم ، يصعب تصور أن هناك ثوابت تحكم سلوك الواحد منا كصاحب عقل حر التفكير و التصرف ، لكنني في النهاية أدركت أن الأمر يستحق العناء ، يستحق** الدراسة ، أو كما يقول الأمريكان It realy works .

* * * *

التاسعة صباحاً في (**بعزق كافيه**)...
عندما تنبذك الأخريات ، إتصل بداليا...

و إن لم يكن لديك داليا فلابد أن لديك رحاب ، و إن لم يكن لديك رحاب فلابد أن لديك دينا ، و في جميع الحالات لابد أن لديك إحدي هاته المسئولات عن مواساتك وقت انهزاماتك العاطفية ، صديقة الدراسة التي اتخذت قرارك منذ البداية أنها لا تصلح إلا كأخت لك ، أو آلة بشرية لنقل المحاضرات التي فاتتك و تفوتك دائماً...

جو بارد بالخارج و شبورة مائية تغطي زجاج المقهي ، أوديت بالخارج ترسم بإصبعها علي الزجاج في سعادة طفولية ، تارة ترسم صليبا و تارة ترسم قلبا بسهمين...
بعد نصف ساعة جائت داليا...

جائت بإسدالها المعهود و حذائها الـ...نعم نعم لا تندهش ، ليست داليا الوحيدة التي ترتدي حذاء يتماشي مع لون عينيها ، إنها الموضة كما تعلم و نحن الرجال لن نفهمها حتي قيام الساعة...

مندهشة ؟ نعم ، مذعورة ؟ بالطبع ، مترقبة ؟ رائع...

لا أذكر أنني أعطيتها الفرصة يوما كي تمارس دورها معي كصديقة ، أعلم أنني سأندم علي تلك التجربة...

-ظننتك لا تثق بالنساء.

-للضرورة أحكام.

هنا اتسعت عيناها في رعب و كأنما رأت عزرائيل أمامها...

-أيس كريم ؟ في هذا الجو ؟

انتبهت لذلك الدلو الذي كنت التهمه ، لقد نسيته حتي ذاب تماما ، كان من المفترض أن أقوم بالتدخين كعربة بطاطا و

أشرب برميلاً من القهوة ، لكنني لست مصدوما عاطفياً كما تعلم ، إن هي إلا بضعة علاقات سطحية تم قطعها...

-**نعم ، أحاول تقمص دور الفتاة الأمريكية المكتئبة**.

-**أو امرأة أمريكية مطلقة ، حينها سيكون عليك الموت بجرعة مخدرات زائدة بعد بضعة شهور**.

-**ليس الموت ضمن مخططاتي حاليا**.

-إذن ، ما سبب حاجتك المفاجأة لصديقة ؟

إلي حد ما تبدو الأمور أسهل بكثير عند التفكير فيها ، أما الآن في خضم الموقف أشعر بغصة في حلقي عند محاولة التحدث **معها بصراحة**...

-لدي سر ما ، أريد إخبارك به.

-أي سر ؟

يقال أن الكاذب يهرش في أنفه كثيرا ، لكنهم لم يذكروا أين يهرش الصريح تحديدا...

-**أنا مريض نفسي ، أري هلاوس و ما شابه ، و أتحدث مع نفسي كثيرا**.

لم تقل شيئا فأكملت كلامي في انتظار رد فعل واضح لها...

-و أوديت كانت معي بالمستشفي و...**تعلمين هذه** الأمور...**بالمناسبة لديكي شارب تحت أنفك هل بإمكانك إزالته** ؟

لا أدري حقا ما مشكلة الهلاوس مع النساء و الشوارب ، توقعت **أن تقوم داليا بتحسس شفتيها باحثة عن شارب ما ، لكنها لم تفعل و من الواضح أنها تظنني أمزح في الأمر بأكمله**...

هكذا غطيت وجهي في نفاذ صبر محاولاً تحاشي نظراتها الثابتة و قلت...

-**حسنا ، هل يمكنني إعادة البدء من جديد ؟**

من الواضح أن انكشاف الأسرار من خلف ظهورنا أسهل بكثير من أن نكشفها بإرادتنا ، لن يكون الأمر سهلا كما توقعت ، لن يكون سهلا علي الإطلاق...

****

-حسناً أخبرني برأيك في ذلك التصور : **جسدان يبكيان في أحضان بعضهما ، موسيقي كلاسيكية ، و شمعة قاربت علي الإنتهاء ، و العالم بالخارج ينتهي**.

-**هل أنتِ معي أم غارقة في تخيلاتكِ الحمقاء ؟**

-**ما أدراك أنت بهذه الأمور ؟ إن الكاتب ليس أكثر من أسلوب و خيال ، و إن كان عليه أن يكون ناجحاً فلابد أن يمرن خياله** باستمرار.

-حسناً إن لدي تصوراً أفضل : **جسدان يبكيان في أحضان بعضهما ، موسيقي كلاسيكية ، و شمعة قاربت علي الإنتهاء ، تقع الشمعة علي الأرض ، تشتعل النيران في الحجرة ، و يصبح الجسدان جزءاً من العالم الذي ينتهي بالخارج**.

-أنا حقاً حمقاء ، من الذي أقوم بسؤاله ؟ عدو العاطفة الأول.

-**هذه ليست بعاطفة إنها اجترار للعواطف بلا هدف أو منطق ، و كأنكِ تحاولين إخراج جنين للحياة قبل موعد ميلاده.**

-**أنت لا تري المشهد إلا بنظرة سطحية للغاية ، لا تدرك المعاني العميقة التي أقصدها في تصور كهذا.**

-**هل تنوين نشر رواية رومانسية جديدة قريباً ؟**

-**ليس الأمر في مخططاتي حالياً و لكني دائماً علي استعداد** لكتابة....

-**إذن التزمي الصمت و دعيني استكمل السرد.**

****

نحن لا ننتبه إلي ذواتنا إلا نادرا...

ربما اعتدنا استمداد صورة الذات بداخلنا و رؤية أنفسنا من خلال نظرة الآخرين لنا ، لكننا نادراً ما نجلس أمام المرآة لندرك أنفسنا بأنفسنا ، ندرك ما نحب و نكره ، ما يحزننا و ما يسعدنا ، ندرك من نحن تحديدا...

الحقيقة التي لابد من الإعتراف بها أننا لا نعرف عن أنفسنا إلا القليل...

القليل جداً...

أحمد سامي-**اللعب في المناخير**2010

اليوم نظرت لوجهي في مرآة الحمام...
ذات (السحنة) كما يقولون ، لا شئ ينقص أو يزيد سوي **لحيتي التي صارت جديرة بأحد كفار قريش ، لكن مثل هذه الأمور لا تؤثر في تلك الصورة الشعورية التي أعرفها عن** نفسي...
بيد أنني كنت أنتظر ذلك الشعور المعتاد حين أطيل النظر للمرآة ، الشعور بأن هذا الشخص ليس أنا ، الشعور بأن هويتي تتلاشي تدريجيا...
لكن شيئا من هذا لم يحدث...
من الواضح أنني صرت أدرك ذاتي جيداً لدرجة اليقين ولا أدري أهذا شئ صحي أم لا ، لكن منذ متي كانت الصحة النفسية تثير اهتمام مريضا مثلي ، منذ متي و أنا الذي صار يألف **الهلاوس و يعشقها أحيانا...**
قد أكون بالفعل متأثر بذاتي إلي حد ما و مؤمن بها لدرجة الإيمان اليقيني و اكثر ، لكن هذا ليس لشئ إلا المحافظة علي تلك العقيدة الفكرية التي توضح تحديدا من أنا ، هويتي العقلية إن صح التعبير...
شرعت في ح**لاقة ذقني حين دق جرس الباب...**
ذلك العامل من شركة البريد السريع ، هذا الرجل لم يكتب له أن يراني إلا بشعر منكوش أو نصف ذقن ملطخة بالمعجون ، لا **ألومه لو ظنني غريب أطوار آخر ممن يراهم يوميا خلال عمله...**
وقعت بالإستلام محاولاً التذكر هل أعطيته بقشيشاً المرة الس**ابقة أم لا ، فليس هذا الوقت المناسب للإكراميات ، لكنه مضي لحال سبيله علي كل حال ، فيما بعد سيجد الوقت الكافي ليمط شفتيه قائلا في قرارة نفسه** : أشكال ما يعلم **بيها الا ربنا...**
أغلقت الباب متأملاً الطرد في شغف ، ذات السمك و الحجم و أدعوا ألا يكون ذات المح**توي ، هل أعاني من ظاهرة** (ديجا - فو) **أم أن هذا الموقف حدث من قبل ؟؟**
كتاب آخر جديد كما توقعت ، عنوانه...**اللعب في المناخير**!!!

رأيت في حياتي من العناوين ما هو أسوأ ، و كلها تلعب ذات التأثير النفسي المقصود لإثارة الإنتباه ، لابد أنه جلس في (**بعزق كافيه**) ذات مرة...
و لكن منذ متي كان أحمد سامي يلجأ لمثل هذه الأساليب الرخيصة ، لابد من وجود سبب ما يمكن ابتلاعه...

____

جزء من مقدمة الكتاب :

أتفه الأفكار تراودني في أحلك الظروف ، لذا لا أتعجب كثيرا حين تراودني أعمق الأفكار بينما أعبث بأنفي...
قد يكون العبث بالأنوف نشاط يدعوا للتأمل و التعمق في كل شئ -**شاملاً الأنف ذاتها- إلا أن ما أردت قوله تحديداً هو أن العبث بالأنف ليس إلا نموذجا لأتفه الظروف**...

أحمد سامي -**اللعب في المناخير**2010

(5)

في مساء اليوم التالي اتصل طارق...

- سمر أين أنتِ ؟ إنني أطرق باب منزلك منذ ربع ساعة.

-**ظننتك ستكون ذكياً كي تدرك مكان وجودي علي الفور ، أنا** علي سطح المنزل.

-**في هذا الجو الخانق ؟ إن الناس تهرع لمنازلها كي تجلس في هواء التكييف.**

-أحقاً لا تعلم لماذا أنا بالأعلي ؟

-**بل أعلم و لكني لست مهتماً بهذا** الحدث.

-**إنه خسوف كلي ، الأول منذ أعوام طويلة ، كيف لا تكون مهتماً** به ؟

قال بعدما أغلق الإتصال و صار أمامي ...

-**وجه القمر يتبدل باستمرار ، و جل ما سأراه في الخسوف هو** ذات الدورة القمرية بذات الأوجه و لكن بصورة أسرع من المعتاد ، **ما المثير في ذلك ؟**

-**و ما المثير في ذلك الحضيض القمري الذي كنت متحمساً له ؟**

-**إقتراب ، تفاصيل جديدة ، رؤية جديدة تستحق المشاهدة.**

-**حضيضك القمري هذا لم يلاحظه أحد تقريباً بينما الناس كلها** الآن تراقب ذلك الخسوف بشغف.

-أنا أحب أن أكون متميزاً ، هل لديكِ مشكلة مع هذا ؟

****

العاشرة و النصف صباحا في المكتبة...

كانت خطتي المسائية تنص علي حضور حفل توقيع كتاب أحمد سامي الجديد ، لذا قررت أن اصبغ اليوم بكامله بصبغة ثقافية تمكنني من الإندماج في حفل التوقيع دون الشعور بسخافة النشاط الذي أمارسه بوجودي هناك ، أحاول أن أضع نفسي (في الموود) كما يقولون...

و كما قلت سابقاً و كما لابد أنك تعلم لو كنت أحد رواد تلك **المكتبة فإن قيمة أجهزة دليل المكتبة الإلكتروني في مكان كهذا لا تقل عن قيمة أحد ديكورات المكتبة ، و لو أنك** (اتشقبلت) **كما يقولون فلن تحظي منه بشئ مفيد**...

لذا يمكننا القول أنه بعد الكثير من (حادي-بادي-كرنب-زبادي) وقعت يدي علي كتاب ما عن (**أساليب زراعة الباذنجان في** العصور الوسطي)...

____

التاسعة مساء في إحدي ديار النشر...

ثاني كتاب لأحمد سامي ، ثاني حفل توقيع...

كان كل شئ جيد في البداية لكنه بدأ يفقد استمتاعه بالأمر مبكراً للغاية ، صار يتسائل لماذا ينشر تلك الكتب بل و من أين **تأتي له تلك الأفكار التي لا يشعر بانتمائها له علي الإطلاق**...

إن المتعة الحقيقية للكتابة تكمن في ذلك الدافع الغريزي لنشر آرائك و انطباعاتك الخاصة ، و ضع ألف خط أسفل (الخاصة) **هذه**...

كان يحاول الإحتفاظ بابتسامته **قدر الإمكان حين تأتي له إحداهن بنسخة لتوقيعها ، بدأ يتسائل بداخله عن سر اختفاء الرجال من الحفل بل و من دار النشر كلها ، هل كف الرجال عن القراءة أم أحتكرتها النساء ؟**!

ظلت النسخ تتوالي أمامه حتي بدأ يسأم صورة الغلاف ثم بدأ يسأم الكتاب حتي سأم كل ما كتبه في ح**ياته ،عندما ترتدي نظارة الإحباط بضع لحظات تتغير نظرتك تماما نحو الحياة ، و تري ماضيك سخيفا و مستقبلك أسخف**...

بدأ يفكر جدياً في الهروب قبل أن يجدني أمامه قائلاً...

-**اللعب في المناخير ؟ لقد انحدر** مستواك الأدبي لأدني درجة.

كان أحمد سامي يتحدث كل عشر ثوان ، كعربة كاد ينفذ **وقودها ، كان من الواضح أنه يعصر رأسه بحثا عن شئ ما** للتحدث بشأنه...
إن أكبر مشكلات أحمد سامي هي عدم امتلاكه لمشكلة ما كي يتحدث عنها كباقي المخلوقات ، حياته هادئة لدرجة تثير الملل حقاً ، لا أحد يحتمل ذلك الصمت المطبق الذي يعقب **انقطاع التيار ، و لسبب كهذا لا يتحمل أحد حياة كحياة أحمد** سامي...
لكن هذا لا ينفي حقيقة أن له حضورا لا يستهان به في ذاكرتي ، لطالما كان يذكرني بتلك الحشرات التي تقف علي

حائط حجرتك لساعات دون أن تتحرك من مكانها ، و برغم ذلك تشعر بطاقة وجودها أكثر من أي ذبابة لزجة تصر علي التسلل لداخل أنفك...

أنا أكره الشكوي و أمقت الشاكين ، لكنني لا أرفض من يسردون خواطرهم دونما تنظيم خارج نطاق الشكوي ، أعلم جيدا أنهم لا يسردون أسرارهم لي لأمانتي و أخلاقي لا سمح الله ،فقط هم لم يجدوا أحمق غيري يستمع لهم دون أن يقاوم رغبته في (فرض) **النصائح و إظهار مدي حكمته و خبرته في الحياة**...

دعك من أن شعوري بالذنب نحوه يجعلني مستعدا لسماعه أبد **الدهر ، فقط لو أعرف سر ذلك الشعور بالذنب لاسترحت**... آه الآن أتذكر ، لقد كنت سببا في فشل أولي محاولاته للزواج ، فقط صار ذلك الشعور معتادا **حتي زال السبب الرئيسي من ذاكرتي تاركا خلفه ارتباطاً شرطياً لعيناً ، ببساطة صار أحمد سامي مثيراً لمشاعر الذنب بداخلي دون سبب واضح**... **لا أعلم هل تسببت في إيذاؤه ام كنت سببا في إنقاذه من تلك الطبيبة المتسلطة ، إنه شأنه علي كل حال و لا يجوز لي** التدخل في أمر ك**هذا حتي لو قرر الزواج من ام قويق ذاتها**...

هكذا وجدت نفسي أخرج عن مسار (اللاموضوع) الذي يتحدث **به لأطرح تساؤلاتي الفضولية**...

-أعلم أنه سؤال مستفز ، و لكن ما السبب وراء اختيارك للدكتورة هدي علي وجه التحديد ؟

-لا أعلم ، بدت لي امرأة عاقلة للغاية ، تناسبني.

-و لماذا ترغب بامرأة عاقلة ؟

-**لتتحمل صمتي و سكوني الدائم ، لو اخترتها فتاة عادية ستمل مني بعد أيام و ستقول أنني إنسان كئيب و معقد ، أما هي فبجانب أنها طبيبة نفسية فإنني أشعر أنها مرت في حياتها بما قد يجعلها تتحمل رفقة رجل مثلي ، لديها تلك النظرة التي تقول أنها** كذلك.

-إذن أفترض أن كلمة (عاقلة) **هنا هي تحوير لكلمة** (صبورة).

-**نعم ، شئ كهذا**.

-إسمع ، لا أعلم ما مررت به تحديداً ولا أريد أن أعلم ، لكنك **إنسان جيد للغاية و صدقني في هذا لأنني لا أمدح أحداً بسهولة**.

هز رأسه في غير اقتناع ثم التزم الصمت...

في تلك الأثناء كنا **جالسين في أحد تلك المقاهي التي** تجعلك تفكر في فاتورة الحساب قبل أن تفكر في ما الذي ستطلبه **تحديداً ، و لم أكن أنا بالطبع صاحب فكرة الجلوس بمكان كهذا**...

-بالمناسبة ، لقد أرسلت لك داخل الكتاب دعوة للبي أو إس ، **هل ستتطوع ضمن عينة البحث ؟**

-بي ماذا ؟

أعاد النطق **راسما الحروف في الهواء**...

- P.O.S

ظللت فاغرا فاهي في بلاهة و لا ألوم نفسي ، فأنا لا (أشم **علي ضهر إيدي**) **كي أفهم**...

لاحظ أحمد سامي تعابير الغباء علي وجهي فأدرك أن عليه التوضيح أكثر...

____

P.O.S, Os psychological, psychological operation system...

كلها مصطلحات تشير لكيان واحد ، نظام التشغيل النفسي أو نظام تشغيل النفس ، و هو اسم ذو وقع غريب علي الأذن و يبدو للوهلة الأولي كأنه مأخوذ من أحد أفلام الخيال العلمي... في الواقع هو كذلك بالفعل ، إن الأدب و الفن متصلان بالعلم لدرجة لا يستهان بها...

الم يشتق فرويد نظرية الأوديب و النرجسية من أساطير الأدب اليوناني ؟ ألم تكن الأقمار الصناعية مجرد فكرة أولية في إحدي روايات الخيال العلمي ؟

إن آلية نظام التشغيل النفسي تعتمد بشكل رئيسي علي العمليات العقلية العليا بهدف تنظيم التفكير البشري إلي أقصي صورة ممكنة ، و لكنه يعتمد في تنصيبه علي العقل البشري أولاً و قبل أي شئ علي واحدة من أهم نظريات التعلم و هي نظرية المحاولة و الخطأ...

فمثلاً حين نحاول تنصيب آداة نفسية معينة داخل النظام السيكولوجي لشخص ما ، فإننا سنعمل علي تدعيم الروابط بين تلك الآداة و بين نمط معين من المواقف التي تستهدفها تلك الآداة أو تستهدف التعامل معها بأي شكل من الأشكال ، و نستمر في تكرار التدعيم لذلك السلوك الذي تمارسه الآداة النفسية المطلوب تنصيبها علي النظام السيكولوجي

المستهدف حتي تقل نسبة الأخطاء في استخدام الآداة إلي أدني حد ممكن و يتمكن حينها الشخص من ممارسة ذلك السلوك بحرية مع النمط المستهدف من المواقف...

فمثلاً ، إذا قمنا بتنصيب آداة نفسية تستهدف التعامل مع النسيان المتكرر ، فحينها سيكون السلوك المعتاد من الشخص مثلاً وضع رسائل تذكيرية علي هاتفه بصفة دائمة ، أو أي سلوك يساعد علي سهولة و سرعة التذكر بصفة عامة...

———————————————————————

-و الآن هل فهمت شيئا ؟

-كل ما أعرفه هو أن صاحب هذه النظرية مخبول حتماً.

-إذن لن تتطوع في عينة البحث ؟

قلت بينما اتأمل فتاة ترشف من عصير غامض اللون و التركيب...
-هل جننت ؟ بالطبع سأتطوع ستكون تجربة مثيرة حقا.
أخرج دفترا صغيرا من يده قائلا في حماس...

-رائع ، هكذا يبقي إثنين فقط.

-ما وظيفتك في تلك الجمعية بالضبط ؟ ألست مدير علاقات عامة ؟

-الهيكل الإداري ما زال محدوداً للغاية ، لهذا يقوم كل موظف في الجمعية بالقيام بكل ما يستطيع فعله لإنجاح هذا المشروع ، إنها روح الفريق لو كنت تفهم قصدي.

جاء أحدهم بمشروبين أكثر غموضا مما رأيت و وضعهما أمامنا متسائلاً بداخله عما قد يجمع بين رجل ناضج و شاب أهوج في مكان كهذا...

كانت بداخلي آلاف التساؤلات بشأن الجمعية النفسية و قد قدرت أنه الوقت المناسب للإستفسار...

-قل لي ..من الذي يمول هذا الشئ ؟

-تقصد تلك الدراسة ؟

-لا بل أقصد ذلك الكيان بأكمله ، من ممول الجمعية النفسية

بكل أبحاثها ؟

قال بينما يرشف من كوبه...

-حسنا ربما قد يدهشك هذا ، إنه رجل أعمال جزائري.
-ثم ؟

-هذا الرجل يعتمد علي الأساليب النفسية في جميع أعماله ، إن له شركة خاصة قام فيها بتعيين صفوة متخصصي علم النفس.

قلت بينما اتشمم كوبي في تقزز و ارتياب...

-و ما وجه استفادته من شئ كهذا ؟

-هل تمزح ؟ إن أصحاب الشركات الكبري يدفعون له ملايين مقابل تحسين آداء موظفي شركاتهم و عمال المصانع ، إن فريق المتخصصين يقدمون لهم نوعا من دورات الـ...دورات الـ...

-التنمية البشرية ؟

صفق بيده ثم أشار بإصبعه نحوي بمعني (أصبت)...

-بالضبط ، و لكن بأساليب أفضل و بتطبيق نظريات أحدث.

-ما اسم تلك الشركة التي تقدم الدورات ؟

-لا أذكر تحديدا ، لكنها نوع من (الشركة المصرية لخدمات تحسين الإنتاج البشري) ، شئ كهذا.

قلت بينما أضع يدي في جيبي...

-هذا الرجل يعاني من مشكلة في تسمية منشآته.

هنا وثب في وجهي ممسكا يدي قائلاً...

-ماذا تفعل ؟ و □ لا يصح أنت ضيفي.

أكملت استخراج كيس المناديل من جيبي قائلاً في ذهول...

-حسناً أنا متأكد من ذلك.

لو كان يظن أنني سأدفع قرشاً في هذا المكان فإنه مخطئ ، لقد أصر علي الجلوس هنا و عليه تحمل العواقب...

****

-إمتحانات آخر العام اقتربت ، سأغيب لمدة شهر تقريباً.

-شهر ؟ هل تمزح ؟

-سنتواصل علي البريد الإلكتروني ، فقط أنا بحاجة للإستقرار قليلاً و التركيز في تلك المواد التي لا أعلم عنها شيئاً.

-لقد فاجأتني بهذا الخبر ، كيف سأقضي هذا الشهر وحدي ؟

-سيمر ذلك سريعاً أعدك بهذا ، سأرسل لكِ كل يوم جزء من المذكرات ، هكذا لن تفتقديني.

-من المؤسف أنني اعتدت وجودك.

-من المثير للإشمئزاز أني سأفتقدك.

-و ماذا عن جلال ؟

-امممم لا أظن أنني سأف**تقده كثيراً في الواقع**....

-لا ، أقصد كيف سأتعامل معه تلك الفترة وحدي ؟ إنني بحاجة لوجود أحد ما بجانبي .

مط شفتيه مفكراً و قال...

-اظنكِ صرتِ مؤهلة للتعامل مع هذا الأمر ، ربما أعود لأجدكما مخطوبين.

(6)

قال طارق :

نادرة هي تلك اللحظات التي أصاب فيها بجنون النظافة... **إنها فترة المراهقة كما تعلمون ، تبدأ صباحك شاعرا ثم تتجه ميولك نحو السياسة عصراً لتجد نفسك فيلسوفا بعد الغروب ، من المزعج إدراك أنني بيولوجيا مازلت مراهقا في التاسعة عشر ، برغم كل شئ لابد أن تتغلب الطبيعة البيولوجية علي** تصرف**اتي ، لا يمكنك تشغيل لعبة عالية التجسيم علي كارت شاشة أثري لو كنت تفهم ما أعنيه**...

لكنني قد أكون المراهق الوحيد الذي يبدأ صباحه كناسا ، هذا ولا شك يمنحني بعض التميز رغم أنف جميع المارة الفضوليين ، شاب يكنس أمام منزله..**هذا مشهد لا يتكرر كثيرا و يستحق المشاه**دة ، لا تنس أننا في بولاق الدكرور و لسنا في بورتو **مارينا ، هذا لو كان في بورتو مارينا ما يستحق كنسه**...

كنت قد قاربت علي الإنتهاء حين دخلت المنزل لجلب كيس قمامة اضع فيه الـ...

هنا شعرت بحركة أسفل السلم ، لابد و أنها قطة تسللت بينما انا بالخارج...

هكذا حملت عصا المقشة بيدي مترقباً ، لن أبالغ لو قلت أنني لا أبالغ في ردة فعلي هذه ، فتلك الكائنات البغيضة لن ترتمي في أحضانك حتما كالتي تراها في الأفلام الأمريكية ، قطط بولاق الدكرور تثب في وجهك و تخمشك بأظافرها اللعينة قبل

أن تدرك طبيعة ما تواجهه تحديدا ، (تربية شوارع) كما يقال...
بيد أن ما رأيته أسفل السلم جعلني أتمني لو اجتمعت قطط بولاق كلها هنا بدلا منه ، هذا شئ يصعب التخلص منه بعصا مقشة...

كانت تنظر لي نظرة خالية من أي تعبير ، و كانت ترتجف لا أدري من البرد أم خوفا مني ، إعتدت أن أكون مثيرا للشفقة لا للرعب...
-**هش يا ماما ليس هذا مكاناً للإيواء.**

ذات النظرة و ذات الرجفة ، إما أنها بكماء أو أنها...

-**أقول إلي الخارج إن أمامي يوما طويلا من التنظيف. ولا حياة لمن تنادي**...

تأملت في ملامحها أكثر فأدركت أنني رأيتها من قبل ، و لمزيد من الدقة كنت أدرك أنني أعرفها منذ رأيتها لكنني لم أجد الوقت الكافي كي أفكر في ذلك...

____

يسمونها المجنونة...

لأنه لا توجد كلمة أدق لوصفها ، إنها ببساطة تفعل أغلب ما يفعله أي مجنون يعرف كيف يبدو مجنونا ، تتحدث مع نفسها ، تتشاجر مع نفسها ، تفعل كل شئ مع نفسها...

بيد أنها عينة نادرة للغاية في تلك النقطة ، إذ أنني عهدت المجانين في منطقتنا يتشاجرون مع الناس و مع الأطفال و مع الهواء و مع كل شئ ، حتي أنك إذا مررت بأحدهم تجنبت النظر نحوه لأن بعضهم يعتبر النظرة وحدها إهانة لا تغتفر ، و برغم

حذرك هذا فإنك علي يقين بداخلك أنك ستصطدم به يوما ، إن دورك آت لا محالة...

يسمونها المجنونة...

لأنها تفعل كل ما من شأنه إثبات ذلك ، إن المجانين لا يدفعون ذلك الإتهام عن أنفسهم بل يحاولون إثباته بإصرار غريب...

لطالما رأيتها إما تتحدث مع نفسها أو تتحدث مع أشخاص وهميين ، لا تقبل الصدقات ولا تحاول استجداء عطف المارة ، و **كل ما تفعله تفعله مع ذاتها علي عكس باقي المجانين الذين يتشاجرون معك دائماً لمجرد انك موجود علي ظهر هذا الكوكب ، إنني أعتبر أمثالها من المتحدثين لأنفسهم عينة نادرة للغاية ، عينة استطاعت التواصل مع ذاتها لدرجة لا مثيل لها ، سمهم** مجانين أو سمهم ما تشاء فلن يغير ذلك حقيقة أنهم الأفضل من الناحية النفسية**...

و حتما لن يغير ذلك حقيقة أنك تتمني تقليدهم أحيانا...

____

إن الأمور تختلف تماما عندما تراها عن كثب...

نظرتك للمجنون في الشارع لابد و أن تختلف تماما نحوه إذا صار فجأة داخل منزلك...

حين تأملت ملامحها أكثر ادركت انها في العشرينيات من عمرها ، لا يمكنك إنكار لمحة الجمال في وجهها ، شعر قصير متسخ ، ملامح منمنمة متسخة ، ثياب مهترئة متسخة... كانت تأكل بنهم و كأنما لم تأكل منذ سنين ، و برغم تعاطفي معها ببعض الطعام إلا أنني ظللت أنظر نحوها كنوع من الكارثة

المجسمة ، لا يوجد أسوأ من ذلك كي يصير موقفي حرجاً ، شاب مراهق و فتاة متشردة ، لابد من التخلص من هذه التهمة المتحركة في أسرع وقت...

****

حين قرأت تلك الصفحة التي أرسلها طارق أدركت للوهلة الأولي أنه يتحدث عن تلك **الفتاة التي أرسلها لي منذ شهور ، و بقليل من الذكاء تنبأت بعدد الصفحات الباقية من تلك المذكرات ، لقد اقتربنا كثيراً من النهاية ، إقتربنا من ذلك اليوم الذي قررنا فيه العمل علي كتابة تلك المذكرات ، فلا أظنه ينوي استكمالها بعد ذلك و إلا بدا الأمر سخيفاً ، لكنني فقط أتسائل عن كيف ستكون النهاية ، حتماً سنحتاج لبعض الإرتجال لوضع نهاية درامية تليق بالكتاب ، رغم أنه شبه خال من الدراما**...

****

HOME, sweet home...

هكذا قلت لنفسي حين عبرت بوابة الجمعية النفسية بحنين لا أدرك له سبباً واضحاً ، لم تمر فترة طويلة علي مغادرتي **لهذا** المكان حتي اشعر بشوق جارف نحوه ، دعك من أن ذكرياتي **في هذا المكان محايدة للغاية فلا هي بالجيدة ولا بالسوداء ، بل و لا أجد لها محلا من الإعراب في جملة حياتي**...
فلماذا إذن قد يمزقني الحنين للجمعية النفسية ؟!
تركت ذلك التساؤل في خلفية أفكاري عالماً بظهور الإجابة إما عاجلا أو آجلا ، لسوف تقع **عيناي حتماً علي شئ يضئ مصباح أفكاري كما يحدث في قصص ميكي المصورة**...
توقفت موظفة الإستقبال عن القراءة في المصحف حين لاحظت وجودي و قالت...
-أي خدمة ؟
-**لا شكرا ، جئت فقط لأشاهد ديكورات المكان.**
-أفندم ؟

-أنا أمزح ، في الواقع كنت أحد المرضي هنا ذات يوم لذا تجدين عواطفي...تعلمين هذه الأمور حين ترتبطين بالمكان.
كان من الواضح ان دعابتي لم ترق لها ، لذا كررت جملتها بذات الرسمية مع ابتسامة خفيفة تخفي خلفها استسخافا للموقف بأكمله...
-حسناً ، كيف يمكنني مساعدتك الآن ؟
ازلت ابتسامتي البلهاء قائلاً...
-حسناً في الواقع انا حالياً أحد المرشحين في عينة دراسة الـ W.C .
-دراسة ماذا ؟
-لا عليكِ يا نهي إنه معي.
جاء صوت أحمد سامي واثقاً مجلجلاً ذو صدي من نهاية قاعة الإستقبال فكان أشبه ببطل فيلم هندي جاء لينقذ حبيبته من براثن الأوغاد الحقيرة...
كم أمقت هذا الرجل لدرجة أنني احترمه للغاية...

———————————————————————

ذات يوم كانت الدكتورة هدي طبيبتي النفسية...
لكن هذا لا ينفي أنني أدرك واقعها النفسي ربما أكثر مما تدركه هي عني...
كانت تستند علي باب حجرة الإختبارات بينما تعبث في أصابعها بجنون ، و أنا أدرك جيداً ماذا يعني ذلك...
مدام موريان ، الدكتورة التزام ، سمر عمار الكاتبة الفاشلة ، و رابعتهم لا أعرف عنها شئ لكنها تبدو في الأربعين من عمرها حتي بدا هذا واضحا في تفاهمها و ثرثرتها مع مدام موريان...
لقد دعا الوغد كل معارفه النسائية و كأنما يخبرها بأنها ليست الوحيدة في حياته و أن هناك أخريات رهن إشارته...
و أما عما يشير إليه وجودي وسط هذا الجمع النسائي فهو أن أحمد سامي يعتبرني (سوسن) أو شئ من هذا القبيل ، لا يوجد تفسير آخر للأسف في الوقت الحالي...
لكن الحقيقة الأقرب للواقع انه يحاول الإنتقام بشتي الطرق لأنه يعلم جيدا كم تمقتني الدكتورة هدي...

بيد أن ما آراه أمامي من دلائل علي أن أحمد سامي وغد كغيره من الرجال لم تهتز له شعرة من شعراتي ، فقد كنت موقنا بداخلي بوجود شئ ما خطأ ، شئ يدحض جميع ظنوني تجاه أحمد سامي ، هذا الرجل لم يكن يوما زير نساء و لن يكون ، ولا يوجد شئ يظهر فجأة هكذا ، فقط هالة الغموض التي يغلف بها ذاته تجعلني أحاول البحث عن أية جزيرة ترسوا عليها تساؤلاتي العائمة...
دعك من أن الدكتورة التزام (أد أمه) كما يقولون مما يصيب نظرية الإنتقام ببعض الثغرات الكافية لهدمها تماما ، صحيح أن أحمد سامي بشر مثلنا و لديه الحق في أن يغل و يحقد و ينتقم ، لكن رفضه كزوج لا يعد سببا يمكن ابتلاعه بسهولة ، أنا لم أولد بالأمس كي يخدعني أحمد سامي لقرابة عام بقناع زائف من الوداعة و (الجنتلة)...
طبعاً من تحصيل القول أن أتحدث عن كم نظرات الكراهية المتبادلة بيني و بين كل واحدة من هذا الجمع النسوي البغيض ، إن كل واحدة منهن تحمل لي من الذكريات السوداء مايكفي لسلخي حيا ، فلو أن كل واحدة منهن رمشت بعينيها فقط لكان ذلك كفيلاً بتحويلي إلي كومة من الرماد المحترق...
مرت بضع دقائق من العذاب كأنها الدهر حتي جاء أحدهم برزمة اوراق داخل مجلد أصفر مكتوب عليه بخط كبير

(P.O.S-Beta applications)

و (بيتا) هذه حتماً مألوفة لهواة تجربة البرامج حديثة الإصدار أو التي مازالت تحت التجريب ، هكذا نصبح نحن أول من يقوم بتجريب هذه البرمجة النفسية الجديدة ، كم هم نمطيون هؤلاء القوم...
و كما توقعت فإن الحديث عن الدراسة نفسها كان شئ سابق لأوانه ، فلم تكن الأوراق التي تم توزيعها علينا سوي استمارات من طراز (الإسم ، النوع ، مقاس حذاؤك ، مقاسات أشياء أخري ، أي الحيوانات تفضل أن تكون لو كان لك أن تكون حيواناً) ، لذا يمكن القول أن أمامنا ساعات سوداء من الاختبارات و الفحوصات قبل إجراء الفحوصات المتعلقة بالفرض العلمي

المطلوب إثباته في تلك الدراسة اللعينة ، كل تلك الأمور درستها العام الماضي لكنني لم أتصور لحظة أن أكون جزءاً منها...
كانت هناك الكثير من الأسألة البديهية المثيرة للغيظ عن أبسط مهارات استخدام الحاسوب و غيرها ، لكن أكثرها غرابة كان يقول : **هل سبق لك مشاهدة فيلم الرجل الحديدي** Iron man ؟
رغم أنني أمقت برامج الكاميرا الخفية بسخافتها المعهودة ، إلا أنني تمنيت في لحظات كهذه أن يبتسم جميع من حولي في سماجة قائلين أن ابتسم فأنت أحد المغفلين الذين قمنا **بخداعهم ، حينها علي الأقل سيطمئن قلبي إلي أن حال العلم لم يتدني بعد إلي هذا المستوي**...
في تلك الأثناء كانت سمر جالسة بجانبي تحاول جاهدة الإجابة عن بعض الأسئلة البديهية ، و هذا دلني علي أنها لا تفقه كثيراً في استخدام الكمبيوتر...
أكون كاذباً لو قلت أن كرامتي لم تكن تؤلمني في تلك الأثناء ، **إن أمامي فرصة للشماتة يصعب تعويضها**...
-**عالم صغير أليس كذلك ؟**
ردت دون أن ترفع عينيها و كأنما توقعت كلماتي...
-**نعم ، صغير لدرجة أنه تافه**.
-**هل تريدين أية مساعدة ؟**
- شكراً.
-**هذا السؤال إجابته**....
-قلت شكراً.
-أنا أحاول تقديم المساعدة فحسب.
هكذا في النهاية ابتلعت شماتتي و التزمت الصمت حتي نهاية الجلسة ، ليس الإستسلام من شيمي لكن تلك الطاقة السلبية التي كانت تغلف المكان جعلتني (أكش) في مقعدي **كقطعة هامبورجر وضعت لتوها في المقلاة**...
و بعدما غادر الجميع ظللت جالساً بمقعدي ، و كان أحمد **سامي يرتب الأستمارات في نهاية القاعة أعلي المنصة**...
-**أيها العابث بأنفك ، ما رأيك لو نذهب لنأكل شيئاً**.
نظر نحوي فزعاً و كان من الواضح أنه لم يكن يشعر بوجودي

من الأساس ، لكنه سرعان ما استعاد ابتسامته الواثقة **المستفزة و كأنما ليثير غيظي**...

(7)

قال طارق :

خمن ماذا ؟ لقد استعدت عملي لدي المدعوة سمر...

خمن ماذا أيضاً ؟ لقد طلبتني هي بنفسها و اعتذرت لي...

خمن أكثر و أكثر ؟ لقد جلبت لي لوحة مفاتيح كبيرة ، و صاعق حشرات ، لكنها لم تغير شيئاً في إضاءة الحجرة برغم كل هذا ، تقول أن تلك الإضاءة الخافتة تلهمها أكثر من أي إضاءة أخري...

أما عن الفتاة المسكينة فقد سمحت لها بالبقاء ليلة واحدة ، فقط ليلة واحدة كانت كافية ، ليلة واحدة استيقظت بعدها لأجد نفسي بمنزل آخر غير منزلي ، كل شئ مرتب ، أنيق ، لامع و براق ، ليلة واحدة اتخذت بعدها أحد أصعب قراراتي ، السماح لأحدهم بالمكوث في منزلي...

ظللت مواظباً مع سمر علي حضور اختبارات الجمعية ، كانت حريصة أكثر مني علي حضور تلك الإختبارات ، كانت تظن أن **ذلك النظام سيساعدها علي تحسين مستوي التذكر لديها ، كانت تشعر بأنه شئ مفيد بصفة عامة ، كانت أشبه** بمن **يتناول الفيتامينات فقط من باب تحسين مستوي الصحة**...

كانت تلك الفترة حقاً مستقرة للغاية ، أنا عاشق للروتين مدمناً له...

هكذا ظلت الأمور تسير علي هذا النمط الثابت حتي بدأ العام الجديد 2011 و اقتربت معه امتحانات الفصل الأول في عامي الثاني بقسم علم النفس...

و في صباح أول أيام العام الجديد...

نظرت للساعة حين أيقظتني ضجة عالية تأتي من الشارع ، كانت مازالت الثامنة صباحا ، ليست بولاق بالحي الهادئ حقاً لكن الثامنة صباحا تعد سبباً كافياً للهدوء في أسوأ المناطق و أشدها إزعاجا...

اتجهت نحو الشرفة منكوش الشعر معمص العينين ، لو كان هناك من سيراني بهذه الهيئة فهو حتما ممن غلبهم الفضول مثلي ، و حتما لن يقل عني سوءاً و نعاساً...

كان ما رأيته نادراً حقاً لم يراودني حتي في أكثر نوبات الهلاوس غرابة و سوءاً ، حتي الهلاوس تراعي بعض الفروق الواقعية...

كانت هناك فرقة موسيقية أسفل منزلي مباشرة ، لا ليست علي غرار فرقة (حسب) بل كانت مجموعة من عازفي الكمان في بذلات سوداء جديرة بأحد مطاعم (خراب البيوت) التي تملأ البلد ، و كانت خلفهم لافتة خشبية كتب عليها بطلاء (دوكو) أحمر و بخط ردئ للغاية (بحبك يا شوشو) ، هذا كما تري يمنح الأمور معني ، لا أدري حقا من أين يظفر المرء بواحد من هؤلاء العازفين فلابد ان لهم تجمعا ما كتجمعات عمال الفاعل التي تملأ الأرصفة ، حيث يجلس كل عازف في يأس واضعا الكمان أمامه بانتظار زبون ما...

من هي (شوشو) علي أي حال ؟ لا أعرف واحدة من جيراننا بهذا الإسم...

اسندت كوعي علي سور الشرفة شاعرا بأنني أشاهد أحد الأفلام الرومانسية المبتذلة ، حتي الرومانسية قد تصل لدرجة الإبتذال ، و كل شئ و له حدود في النهاية...

نظرت للشرفات المحيطة بنا ربما أعرف من (شوشو) هذه فلم أر سوي الجيران المعتادين الذين تبرز رؤوسهم من الشرفات عند كل مشاجرة تحدث في شارعنا ، إن الفضول له سلطان كما لابد أنك تعلم...

بعد لحظات خرج حماصة لشرفته متثائبا كفرس النهر و يحك رأسه في جنون قبل أن ينظر للأسفل متسائلاً ، نظر نحوي **نظرة معناها** (**أي سخف هذا ؟**) **فنظرت له نظرة معناها** (إنه الحب **في زمن الفرافير**)...
نظر مرة **أخري نحوهم كأنما يحاول التأكد من واقعية مايراه ، ثم نظر نحوي بينما يشعل سيجارة ملتوية يعلم الله ما تحويه ، بالطبع كان هذا كافيا كي أعلم أنه سيتصرف حتما ، لن يسمح** حماصة بأية محاولة لاستدخال ثقافات غريبة عن شارعنا...
لا أذكر حقا ما حدث بعد ذلك تحديداً ، لكن ما أذكره أن جارتنا (أم **وليد**) **انتهزت فرصة الشجار و استولت علي السجاد الفاخر الذي كانت تعزف الفرقة فوقه ، ناهيك عن الكمان الذي رأيتها تستخدمه أكثر من مرة في شرفتها لنفض** (**البطاطين**) ، بالإضافة لعصا العزف التي صارت حتما (**عصا غلية**)...
اللافتة الخشبية ؟ بالطبع صارت (عشة) **يلهو بداخلها الدجاج**...
بداية رائعة للعام الجديد ، حتي لحظات قليلة كنت أمقت فكرة انتمائي لهذا الحي ، الآن فقط أدركت أنه اكثر بقاع الأرض ملائمة لي ...
إن بولاق الدكرور لا تعرف المزاج ، بولاق الدكرور تتحدي الملل...

____

منذ **زمن لم أذهب للجامعة**...

في الواقع لا أدري سببا لذهابي بل و حضوري تلك المحاضرة ، ربما لدوافع خفية أهوي تعذيب ذاتي ، أو ربما أكون قلقاً من اقتراب الامتحانات ، لا أدري حقاً...

كان كل شئ يذكرني بالسنة الأولي ، حين كان المرء متحمسا في بداية الأمر للدراسة ، أما **الآن فلا يمكنني أن أتصور كيف تظل بعض المجتهدات تكتبن المحاضرات خلف الدكتور**...

طبعا من تحصيل القول أن أقول أنني كنت ضمن فئة (**العابثين في هواتفهم و كأنما اكتشفوا فجأة أن لديهم هواتف**) ، تلك **الفئة التي لا تدرك جدوي الحضور ولا طبيعة دوافعها لحضور أية**

محاضرة من **الأساس لكنها تدخل قاعة المحاضرات كالمنومين ميغناطيسيا لتسأل نفسها السؤال المعتاد بعد أول ثلاث دقائق** : لماذا دخلت ؟ ، ربما كان الفراغ و عدم وجود شئ لفعله ، فإن **من أقوي الدوافع لفعل شئ ما هو عدم وجود شئ لفعله**...

____

في المساء كان لدي **موعد هام ، في أتيليه أحمد سامي**...

أحيانا أنسي حقاً من هو أحمد سامي ، تارة كاتب ، و تارة فنان تجريدي ، تارة وغد ، و تارة زير نساء ، أي رجل هذا...

و كالعادة كنت مصعوقاً ، لسبب ما يصر هذا الرجل علي مخالفة أغلب توقعاتي بشأنه ، فحينما دعاني تلك الليلة كانت توقعاتي عن هذا المكان بأنه جدير بشخص كأحمد سامي ، توقعت زخارف تملأ الجدران ، و تأثيرات ضوئية ، و موسيقي موتسارت أو ما شابه ، اي شئ من تلك الملهمات الفنية التي لطالما تحدث عنها مهووسي الفن منكوشي الشعر...

كان الأتيليه لا يزيد عن كونه شقة صغيرة للغاية ذات طلاء أبيض صامت ، معدومة الأثاث ، معدومة المرافق ، فيما عدا حمام صغير متواضع للغاية ، حتي الفنانون يدخلون الحمام أحيانا ، كما تعلم يمثل الحمام مصدر إلهام لبعضهم أحيانا أكثر مما يمثل نوعا من إشباع حاجة بيولوجية...

لم يكن أحمد سامي يوماً مهووساً بالفن ، ولا بأي شئ ، إن **نظرته الهادئة المسترخية دائماً ما تشعرني بأنه يتفضل علي الحياة و يتكرم و كأنما يمنحها شرف وجوده فيها ، هذا انسان معدوم الاهتمامات الفكرية لكن حظه الفكري في هذه الدنيا يثير غيظي حقا ، إن الأفكار اللامعة تقفز لذهنه قفزا بينما يعتصر آخرون عقولهم دون** جدوي...

-**طارق ، وجودك هنا يعد شرفا لي**.

قلت في تململ و كأنما اعتدت أسلوبه هذا...

-**لا أجد داع لهذه اللهجة الرسمية ، بالضبط كما لا أجد ضرورة لوجودي هنا**.

-بالعكس ، لم أكن لأدعوك لصومعتي الخاصة دونما ضرورة.

نظرت له نظرة تشكك و ارتياب منتظرا منه استكمال كلماته ، لذا واصل حديثه قائلاً...

-**قليلون هم من أمنحهم اهتمامي ، أنت رجل محظوظ**.

قالها بطريقة مسرحية وجدتها سخيفة بينما يزيح غطاء قماشي عن تمثال صغير...

كدت أسأله سؤالا كلاسيكيا عن موهبة النحت التي أضيفت لمواهبه مؤخرا ، لكن التمثال أخرسني حقا ، لا يكن لي أحداً من **المشاعر ما يجبره علي فعل شئ كهذا ، صحيح أن التمثال لا يمثل ملامحي بدقة و لكن منذ متي كانت التماثيل دقيقة**...

-**هل يبدو لك هذا مألوفا ؟**

تجاهلت كلماته ثانية بينما اتحسس التمثال برفق محاولا أن **أبدو متأثرا ، لست متأثرا حقا رغم أن الأمر فاجأني ، فقط أراهم** في الأفلام **يفعلون هكذا دائما**...

مرت بخاطري بعض الأفكار اللاأخلاقية لكنني لم استطع تجاهلها هذه المرة ، بعض الأمور لا يمكن تجاهلها لو كنت تفهم قصدي...

-**هل أنت شاذ جنسيا ؟**

نظر نحوي مبتسما و كأنما كان يتوقع سؤالي...

-**هذا هو ما أسميه بتأثير الأفلام الأمريكية**.

-إذن أتعشم ألا تكون تلك محاولة لإسكاتي.

-**إن الرشوة الفنية هي آخر ما قد ألجأ إليه مع شخص مثلك ، ثم إنك طلبت أن تقابلني لنتحدث و أنا لم أتهرب منك يوما**.

قلت بينما ما زالت أتفحص التمثال...

-**يعجبني تصنيفك للمرتشين ، هذا يعني أنك حتما تعرف ما** يمكنك رشوتي به.

-**حين يتعلق الأمر بك فإنني أقول أن هذه الجلسة بأكملها ليست سوي رشوة ، باستثناء التمثال**.

استدرت نحوه قائلاً...

-**لم أفهم ما تقصد**.

-**الفضول يا طارق ، إنك تحاول دائما الظهور بمظهر المتجاهل لكل شئ ، و برغم ذلك فإنك هنا من أجل إرواء فضولك الخاص** ، من أجل أن تعرف لماذا جلبت **كل هؤلاء النساء إلي الجمعية**.

نظرت إلي الأرض مفكرا في عبارته الملتفة ثم ما لبثت أن نظرت له في انزعاج و قلت...

-**هل تعلم ؟ أحيانا بعض الأشياء تكون مفهومة ضمنيا ولا تحتاج** للتذاكي مثلما تحاول أن تبدو أمامي الآن ، إن الرجل الذي يحب **زوجته ليس مضطرا لأن يخبرها بذ**لك كل خمس دقائق.

ظل صامتا يتأملني لثوان فقلت له...

-ماذا ؟

-لماذا لا تحب أن تكون مقروئا ؟

-لا أحد يفعل.

-**هناك من يفني حياته في البحث عمن يقرأه قراءة صحيحة** دون جدوي.

-ربما لأنه لا يستحق القراءة من الأساس ، بعض الحمقي ممن **يظنون أنفسهم محور الكون لا يهتمون إلا بالبحث عمن يناسبهم دون التفكير في كونهم هم أنفسهم مناسبين أم لا ، و لهذا يظنون أنفسهم من التميز لدرجة أنه لا يوجد في الكون من يمكنه قرائتهم.**

لم يعلق و ابتسم ابتسامة باهتة أدركت معناها سريعا مما اضطرني لاستكمال كلماتي قائلا...

-**و أنا أحد هؤلاء الحمقي و أولهم لو كان هذا سيريحك ، هل سنقضي الليل كله في التفلسف ؟ احضر لي شيئا لأشربه.**

قال ضاحكاً...

-**حسناً فقط أردت إخبارك أن الدكتورة هدي قبلت الزواج مني.**

-ماذا ؟ متي حدث ذلك ؟

-**منذ أول مرة طلبت فيها الزواج منها.**

-**لا أفهم ، كيف.**

-**لقد كان المقصود بتلك الجلسة هو انت ، لقد أرادت أن تضعك في موقف حرج يبعدك عن حياتها و يمنعك من التدخل في**

شئونها ليس أكثر ، أخبرتها أنك لست بهذا الغباء لكن من الواضح أنني كنت مخطئاً.

-و أنت تخبرني بهذا الآن ، لماذا ؟

-لأنني أعرفك أكثر منها ، و أعرف أنك لست ذلك الشخص التي تظنه.

-تباً لكم جميعاً.

اتجه نحو المطبخ بذات الإبتسامة و بعد ثوان جائني صوته من المطبخ يقول...

-هل اتصلت بمدام موريان ؟

-و لماذا قد أتصل بها ؟

-ألم تسمع عن الإنفجار الذي حدث بالأمس ؟

-سمعت و لكن هل مات لها احد هناك ؟

عاد حاملاً صحفة عليها كوبي عصير قائلاً...

-لا ، لكن تلك الأمور تقلل من تأثير الفتنة الحادثة ، و لو كان هذا سيريحك..نعم كنت أتظاهر بمواساتها.

-لا أعتقد أنها كانت بانتظار مواساتك من الأساس ، إنك تدفع عن نفسك تهمة لا وجود لها ، سيكون من السخيف أن اتصل بها الآن ، دعك من أنني صرت عدوها الأول بعد أن تسببت في **رهبنة أوديت ، أظنها أخبرتك بالقصة**.

-نعم ، و كانت تبكي حينها.

-و أنت ؟

-أنا ماذا ؟

-ماذا كانت أقوالك بشأني حينها ؟

-لقد صرت لا أندهش مما تفعله أيا كان ، و بداخلي التمست لك العذر ، العذر الذي لا أعلم حتي الآن ما هو من الأساس لكنني ما زلت ألتمسه لك حتي لا أفقد صداقتك.

ظللت ناظرا في أرضية المكان بانتظار أن يغلبه الفضول و يسألني...

-لماذا ؟

قلت متشمما كأسي...

-هل تريد عذرا حقيقيا أم تريد عذرا يجعلك تحتفظ بصداقتي فحسب ؟

-أريد الحقيقة ، لماذا تركتها تذهب ؟

____

لماذا تركتها تذهب ، هذا سؤال وجيه...

قد أكون مختصرا في إجابتي و أخبرك أنني تركتها تذهب ببساطة لأنني وغد بارد عديم الإحساس..إلي آخره...

لكن الحقيقة التي لا يمكنني إنكارها أنني فعلت ذلك لأنني أخاف عليها ، أخاف عليها من الناس و أخاف عليها من نفسي و أخاف عليها من نفسها...

كنت موقنا بداخلي أن بقائنا سويا سيجعل الأمور أكثر تعقيدا ، و برغم ذلك لم أستطع يوما تحمل فكرة ابتعادها عني ، إذ كنت

أدرك جيدا كم الهواجس التي ستطاردني كلما تذكرتها ، ماذا تفعل الآن و مع من ، فيم تفكر و لماذا...

لقد أخفقت مرارا في العثور علي حل **مناسب لي و لها ، و في غمرة بحثي عن ذلك الحل جاء قرارها بصدد الرهبنة منقذا لي ، و كان رغم صعوبته أفضل الحلول و أنسبها في رأيي**...

دير مغلق ، يحفظ جوهرتي القبطية و يصونها بعيدا عن الأعين ، هكذا لن أقلق بشأنها ما حييت...

أناني ؟ نعم

وغد ؟ قل شيئا جديدا

إن ما حدث رغم قسوته كان لابد أن يحدث ، و كما يقال ، فإن **الحقيقة لابد و حتما أن تكون مرة**...

____

-**إذن كنت تحاول التخلص منها و جائك قرار الرهبنة علي طبق من ذهب**.

قلت بينما انهي الكأس الذي لا أعلم محتواه حتي الآن...

-امممم ، نعم يمكنك قول ذلك.

-و لم تشعر بالذنب لحظة.

-**قدرت أنه سيكون من السخيف أن تراودني مشاعر الذنب بعد كل ما سببته لها من ألم في حياتها ، أظنها كانت سعيدة بقرارها الأخير ، أو هكذا حاولت إقناع نفسي كي لا أندفع و امنعها من الرحيل**.

هز رأسه في اقتناع ظاهري زائف و قال...

-**تعرف كيف تتخلص من عقدة الذنب بسهولة ، بل و تتخذ قرارات بناء علي عدم شعورك بالذنب ، هذا شئ رائع**.

لم استطع استشفاف مقصده هذه المرة ، لكنني التزمت الصمت علي كل حال ، ربما لأنه لم يعد هناك ما يقال...

(8)

قال طارق :

في فترة الإمتحانات كنت مضطراً **للسهر بصورة مكثفة ، و لم أكن أري تلك الفتاة التي لا أعرف عنها شيئاً سوي بالصدفة أحياناً ، و رغم أنني حاولت أكثر من مرة إدخالها للبيات داخل إحدي شقق المنزل إلا أنها كانت مصرة علي اتخاذ بئر السلم مكاناً للنوم ، في النهاية استسلمت لرغبتها و صرت أجلب لها** العشاء **كل ليلة في مكانها أسفل السلم ، و قد كانت تنتهز فرصة نومي بالصباح لترتب المنزل و تنام ليلاً حين أستيقظ** أنا...

لم أكن في حالة تسمح برعاية أحد ، فقط كنت أشعر بداخلي **أنها مسئولة مني بشكل أو بآخر ، ولا أنكر أنني فكرت أكثر من مرة في طردها خارج المنزل لكني كنت** أتصور العواقب بعد **ذلك ، سيظل ضميري يؤنبني بعدها و لن أتمكن من التركيز في شئ ، ربما أطردها حين تنتهي امتحاناتي**...

و لكن بعدما انتهت الإمتحانات لم استطع استعادة نشاطي من جديد ، و بدأت تراودني تلك الكوابيس اللعينة ، كوابيس ليست بكوابيس و لكنها في نظري أسوأ كوابيس ، ذكريات تتظاهر بأنها أحلام أو أحلام تتظاهر بأنها ذكريات...

إن من عادة الأحلام أن تكون رمزية و غير مباشرة ، فهذا يمنحها نوع من الغموض...

لكن أحلامي هذه كانت واضحة صريحة ، كأنها تفريغ لما التقطته كاميرا الحراسة بداخلي في الوقت الذي لم أكن واعياً فيه ، كل ما كانت ترويه أوديت للدكتورة التزام بالحرف و أكثر ، **التفاصيل التي لا يمكن سردها ، المشاعر التي راودتني حينها** ، كل شئ..**كل شئ ، بوضوح بالغ ، بإحساس بالغ ، و بذهن** صاف...

هل قرر عقلي الإفصاح عن تلك الذكريات الآن ؟ و لماذا الآن ؟ و لماذا كلما أستيقظ أشعر بتلك الآلام تجتاح جسدي و أصاب **بالغثيان ؟ إن كل هذه الدفعات المكثفة من الحب و العاطفة كل ليلة كانت كافية لإصابتي بالحمي و المرض...**

ذات مرة استيقظت من إحدي تلك الأحلام شاعراً بآلام رهيبة ليس لها موضع محدد ، بل هي تجتاح كل شئ بداخلي حتي نفسيتي ذاتها ، آلام في لا مكان ، و غثيان جعلني أهرول كالعادة إلي الحمام لأفرغ معدتي ، و حين انتهيت وجدت الفتاة المسكينة تقف علي مدخل الحمام تنظر لي في شفقة و خوف...

-إلي ماذا تنظرين ؟

لم ترد كالعادة ، و كأنني لا أقول أي شئ...

-**لا تنظري لي هكذا أنا بخير ، إذهبي و نظفي المنزل**.

لا فا**ئدة ، ذات التعابير علي وجهها**...

المشكلة أنني في تلك اللحظات لا أعي طبيعة مشاعري تحديداً ، كل شئ بداخلي يكون مبعثراً و مختلطاً ولا ملامح له ، **لا أعرف هل أبكي أم أصرخ أم أضحك بجنون ، و أستغرق وقتاً طويلاً حتي أستعيد ذاتي الحقيقية**...

يوم آخر استيقظت منه شاعراً بآلام أقوي من كل مرة ، حيث أن جرعة العاطفة كانت مضاعفة هذه المرة ، و فور خروجي من الحمام وجدت نفسي لا إرادياً أذهب نحو الفتاة النائمة في بئر السلم ، هززتها بعنف كي تصحو قائلاً في عصبية...

-أنتِ السبب في كل هذا ، منذ جئتِ و أنا مريض.

صفعتها علي وجهها ، ضربتها بعنف في كل مكان بجسدها ، و كانت هذه المرة الأولي التي أسمع فيها صوتها و لكن علي هيئة صراخ هستيري...

لا أعلم لماذا فعلت ذلك ، أعني أن نفسي كانت تعلم لماذا **فعلت ذلك ، و لكني لم أكن أعلم ، بل و لم أكن مسيطراً علي** نفسي علي الإطلاق...

شيئاً فشيئاً بدأت أدرك لماذا هي السبب حقاً ، شيئاً فشيئاً بدأت أدرك لماذا أكرهها و لكن لا أستطيع التخلص منها في ذات الوقت ، لقد كانت هي المعادل النفسي لأوديت ، كل شئ بها يذكرني بأوديت ، شعرها المنكوش ، نظرة الذعر في وجهها ، كل تلك الأشياء التي خشيت الإعتراف بها منذ أول يوم سمحت **فيه لها بالمكوث داخل منزلي ، ربما كان شئ كهذا هو السبب الرئيسي لكوني سمحت لها بالبقاء في منزلي لكنني لم أدرك ذلك مباشرة ، ليس لأنه ربما أنا لا اعلم عن نفسي الكثير ، بل لأنني بالفعل لا أعرف عن نفسي الكثير**...

————————————————————————

بعد أيام قلائل من العذاب قامت ثورة 25 يناير...

و جاء ذلك الحدث مواكباً لحالتي السوداء حينها ، حتي أنني شعرت أن تلك الثورة قامت من أجلي أنا فقط...

صدقاً لم أهتم للأمر في البداية علي الإطلاق ، بل ظللت في منزلي أداوي جروحي و أحاول بشتي الطرق ألا أنام ، انتفخت **عيناي و صرت أقرب للمدمنين ، ظللت أعذب في الفتاة المسكينة عشرات المرات و برغم ذلك فإنها لا تغادر ، رميت لها مفتاح المنزل أكثر من مرة ولا تغادر ، صرخت فيها أكثر من مرة** كي تغادر ولا تغادر ، لم أري من قبل ذلك الإصرار علي العذاب...

و ذات مساء سمعت تلك الضجة خارج منزلي فنظرت من الشرفة متسائلاً...

كان من الواضح أن البلطجية قد اقتحموا المنطقة أو شئ كهذا ، إذ أن أنبائهم التي جائت من الشوارع المجاورة جعلت الكثير يحتمي بمنزله و جعلت آخرين من أصحاب القلوب الميتة كحماصة يخرج مخزونه السري من السلاح الذي يحتفظ به دائماً في حالة نشوب شجار ما في الجوار...

في ظروف أخري كان من الممكن أن أحكم غلق الأبواب و ألتزم **موضعي في المنزل ، لكني لا أعرف كيف ولا متي صرت أحمل** ما يشبه السنجة-**أو ما يمكن تسميته بالتطور الطبيعي للمطواة الشعبية المعروفة-ولا أعرف كيف ولا متي صرت واحدا من أهل الشارع يهمني أمرهم و يهمهم أمري**...

و عند مدخل الشارع انتظرنا متأهبين...

-حماصة.

-نعم.

-من أين جئت بهذا السلاح ؟

-سرقته من المتحف الزراعي ، رحلة مدرسية في المرحلة الإعدادية ، حافظ عليه فإنه يمثل لي إحدي ذكريات الصبا.

تفحصته مجددا في محاولة يائسة لتبين العلاقة بين الزراعة و بين ذلك الشئ البغيض ، لكن شيئا ما كان يشغل تفكيري في ذلك الوقت ، شئ قد يجعل الوضع أكثر تعقيدا مما هو عليه...

-حماصة.

-نعم.

-لدي مشكلة هنا.

-حمامات المسجد مغلقة الآن ، يجدر بك أن تتماسك قليلا مثلي حتي لا....

-ليس هذا ما أقصده ، لدي ما هو أسوأ.

نظر لي مستفهماً فأجبته سريعا قبل أن تتلاعب برأسه الظنون...

-لا أعرف أحداً من هذا الشارع سواك ، سيكون من الصعب أن أتبين العدو من الصديق ، أتعشم أن تلتمس لي العذر لدي أهل المنطقة إذا ما أطاحت يدي بأحدهم ، أنت تعرفهم أكثر مني.

نظر لي بضع ثوان قبل أن يأخذ مني السلاح في صمت و يعطيني سكينا صغيرة...

-هل هذه أقصي مشاكلك سوءا ؟

-نعم.

-هل أنت متأكد ؟

قلت متفحصاً سلاحي الجديد...

-فلنأمل ذلك.

———————————————————————

كان حماصة شبه مقيم دائم في ميدان التحرير ، و لطالما دعاني للذهاب معه و لكني كنت أرفض ، فقط بعد مرور فترة لا **بأس بها صارت حالتي تسمح بالذهاب لميدان التحرير ، كنت شبه مغيب تماماً عما يحدث بالبلاد ، حتي التلفزيون لا أفتحه ، حتي اتصالات سمر أتجاهلها تماماً**...

و لكني اكتشفت أن الميدان صار عالم آخر مستقل بذاته ، عالم ما أن تدخله حتي تصبح واحداً منه يصعب ع**ليك تركه بعد ذلك ، الغريب أنني لم أختبر مشاعر الوطنية بداخلي من قبل ، فلطالما اعتبرتها مزحة ، و لطالما كانت فكرة حب مصر نكتة سخيفة بالنسبة لي ، أما الآن فإنني أراها كل شئ ، و أهم من** أي شئ...

كان الأمر يسير علي نحو مطمئن في البداية ، ما بين اشتباكات مع أفراد **الأمن البغيض أو اشتباكات بين الثوار ذاتهم نتيجة اختلاف علي رأي ما أو اتجاه ما ، لكن كل هذا كان يمر بسلام ، و كنا ندرك أنه سيمر بسلام**...

و لكن بعد حوالي يومين من الحياة في الميدان حدثت اشتباكات أخري مع أفراد الأمن ، و قد كنت قريباً للغاية ، و أصبت في ساقي **بطلقة مطاطية سببت لي ألماً بالغاً لم أكن**

أتصوره مما أضطرني للتراجع في الصفوف الخلفية حيث الأطباء المتطوعون...

أرقدني أحدهم علي الأسفلت محاولاً تهدئتي و لكن الألم لم يكن يحتمل حقاً ، لذا أعطاني بعض المسكنات التي خففت **قليلاً من آلامي بل و جعلتني أذهب في سبا**ت لبضع دقائق...

و حين استيقظت ثانية شعرت بمن يربط ساقي برباط ضاغط أو شئ كهذا ، و حين رفعت رأسي لأري لم أجد ذات الطبيب الذي كان معي ، بل كان معي آخر شخص خطر ببالي أن أراه في مثل تلك الظروف...

-أخبرتك أنكِ ستكونين أجمل في الحجاب.

ردت دون أن تنظر لي...

-هذا رداء الراهبات و ليس بحجاب.

-حقاً ؟ هل صرتِ فجأة متعصبة نحو الحجاب ؟ الحجاب مفروض في المسيحية أيضاً لو كنتِ لا تعلمين.

شدت رباط ساقي بقوة قائلة...

-بل أعلم.

-آآآآه ، رفقاً بساقي.

-آسفة.

-أنتِ متعمدة.

-**أعلم أن الألم بالغ ، ذلك الرصاص المطاطي ليس بمطاطي ،** إنه **رصاص فولاذي مغطي بالمطاط فحسب ، و هذا لا يخفف من ضررها**.

- شكراً للمعلومة.

قالت مبتعدة...

-أية خدمة.

-إنتظري إلي أين ؟

-**إلي مصابون آخرون ، هل تظن أنك المصاب الوحيد هنا ؟**

نهضت في صعوبة قائلاً...

-**لا ، ستأتين معي ، لا مزيد من الرهبنة**.

شقت طريقها وسط الزحام و قالت دون أن تلتفت لي ...

-**هل تريد مني ترك الدير ؟**

قلت بينما أسير خلفها متعرجاً...

-نعم.

هنا التفتت نحوي قائلة بابتسامة طفولية...

-إذن حاول أن تمسك بي.

فقط قالتها و انطلقت تجري وسط الزحام بردائها ، كانت اللعينة تجري بسهولة دون مشاكل بينما كانت قدمي تصرخ مع كل **خطوة أخطوها ، و شيئاً فشيئاً تاهت مني وسط الزحام و** اختفت...

ظللت أتلفت حولي محاولاً إيجادها دون جدوي ، حاولت الصعود فوق مكان عال لرؤيتها بوضوح قبل أن أسمع أحدهم يقول من خلفي...

-**رائع ، لا ينقصك سوي العصا و الفايكودين لتصير نسخة أخري** من د.**هاوس**.

- سمر ماذا **تفعلين هنا ؟**

-**احاول الوصول إليك منذ أسبوعين دون جدوي ، سأخصم من مرتبك الكثير ، الكثير للغاية**.

-**صدقاً ، هل ترين الوقت مناسباً لكتابة الروايات العاطفية ؟**

-**لم يكن أمامنا سوي بضع صفحات أيها الوغد ، و فجأة تترك كل** شئ بلا سابق إنذار.

-كان بإمكانك تولي أمورك وحدكِ ، **إن بضع صفحات ليست بالشئ الكبير**.

-**و قد كان ، لقد قمت فعلاً بتسليم الكتاب أمس لدار النشر**.

-**إذن لماذا أنتِ هنا الآن ؟**

-**ليس من أجلك بالتأكيد**.

بعد ذلك بفترة عاودتني الأحلام مجدداً و لكن ليس بالكثافة المعهودة ، و حينها قررت التخلص من الفتاة بشكل يجنبني

مشاعر الذنب ، و بصعوبة أرسلتها لسمر كي تتولي أمرها بمعرفتها...

لكن الأمر لم يكن بتلك السهولة حقاً ، فحتي بعد مغادرة الفتاة ظلت الأحلام تراودني ، و ظللت أحاول مقاومة النوم لأيام حتي **قررت بعدها اتخاذ أمر جاد بشأن هذا ، العثور** علي أوديت...

ذهبت لمدام موريان عازماً النية علي معرفة الدير الذي تقيم به أوديت ، لم أكن أعلم ما وجه استفادتي من العثور عليها لكنني شعرت أنها حتماً تملك الحل لمعاناتي...

هكذا بمجرد دخولي لمكتب مدام موريان نظرت لي في فزع ، ولا ألومها فقد كان وجهي حينها يثير أسوأ الشبهات...

-أين أوديت ؟

-تخدم الرب في الدير.

-**و أين ذلك الدير الذي تقوم فيه بهذا الهراء**.

-**إحفظ لسانك يا فتي حين تتحدث عن الروح المقدسة**.

-**هل حقاً أنتِ متعلمة ؟ هل حقاً أنتِ مقتنعة بما تقولين ؟**

-ماذا تريد الآن ؟

-أريد معرفة مكان أوديت.

-أنت تحلم ، يكفي **ما سببته لها**.

أنا بالفعل أحلم ، و تلك هي مأساتي...

-**لا مشكلة سأذهب لأبيها و أعرف منه كل شئ**.

-**أبيها لا يعلم شئ عن علاقتك بها من الأساس ، أبيها لا يعلم** حتي من أنت.

صرخت فيها قائلاً...

-**إذن أخبريني أين هي**.

-**لماذا ؟ ما الذي ستفعله بها ثانية ؟**

فتحت فمي كي أقول **شيئاً قبل أن أجد بعض الفتية العاملين يقيدونني من ظهري ، و بعد قليل وجدت نفسي ملقي في** الشارع...

و حين قمت بصعوبة وجدت المارة ينظرون لي نظرات لا أدري أهي أسي أم فضول أم احتقار ، لكني سرت مبتعداً علي كل حال...

لا أدري لماذا لم أتجه نحو المترو مباشرة ، لا أدري لماذا **راودني حنين جارف للجلوس في** (**بعزق كافيه**) ، **كان خالياً تقريباً إلا من زبائن الصباح المعتادون ، و لم يكن صوت فيروز يملأ المكان كالعادة ، فقط التلفاز مفتوح يبث أحداث ميدان التحرير دونما انقطاع ، و الجميع أنظاره إما متعلقة بالتلفاز أو** بجريدة ، أو شاردة في شئ ما...

____

أوعي تنسيني ، أوعي تنسيني ، و اتذكري حنا السكران...

(9)

بعد حوالي ثلاثة أسابيع قابلت طارق في بينوس كافيه...

-**لا عليك ، يوماً ما ستجد أوديت مرة ثانية.**

-في الواقع لست واثقاً من أنني **وجدتها مرة أولي كي أجدها ثانية ، ربما كنت أهلوس حينها.**

-**حتي لو كنت تهلوس فهذا دليل علي أنك مازلت تحبها.**

-**هل تعلمين ؟ في مواقف كهذه يقولون** (يوماً ما ستجد من **هي أفضل**).

-**هراء ، لو كنت تحبها حقاً فلن تري ابداً من هي أفضل منها.**

مط شفتيه قائلاً...

-امممم ، نظرية تستحق التقدير.

ساد صمت للحظات حاولت علي إثره تغيير مسار الموضوع...

-**بالمناسبة ، الآن فقط وجدت تفسيراً لما فعلته بمعرض أحمد سامي ، لقد كنت تقصد ذلك التمثال تحديداً دون غيره.**

-**ذلك التمثال حتي لا يشبهني.**

-أعلم ذلك ، قرأت العنوان المكتوب أسفله قبل أن تقوم **بتدميره.**

-المتوسط الحسابي لوجوه سكان القاهرة ، محاولة فاشلة منه لدمج الفن و العلم معاً ، إن كل من ينظر لهذا الوجه سيظن أنه له علي الفور ، لقد خدعني أحمد سامي.

-ربما كان يريد التقرب منك فحسب.

-بل كان يقوم بتأمين نفسه فحسب ، بالضبط كما فعلت الدكتورة هدي ، فقط هو استخدم معي أسلوباً مضاداً ، أوهمني أنه يقدر صداقتي لأنه يعرف جانبي الجيد كي يجبرني علي التعامل معه فعلياً علي هذا النحو ، إنها ألاعيب نفسية أفهمها جيداً.

-الحق يقال ، حين يصبح الإنسان مسئولاً فيجب عليه الإبتعاد عنك بشتي الطرق ، أنت لست سوي مدينة ملاهي نفسية لأي شخص بداخله فراغ ما ، و حين يمتلئ ذلك الفراغ بحياة حقيقية فعليه إذن أن....

-شكراً علي مساهمتك البنائة في جعل حياتي أكثر بؤساً.

رفعت كأسي لأعلي قليلاً بمعني (لا شكر علي واجب)...

-إذن ، أخبرني ماذا حدث بعد ذلك ؟

-في ماذا ؟

-في المذكرات.

-لا شئ.

-لا شئ ؟

-نعم ، هذه هي النهاية ، لقد قررنا بعد ذلك كتابة المذكرات و منذ حينها لم يحدث شئ جديد.

-لكن..**هذه ليست بنهاية ، لابد أن يجد القارئ نهاية مرضية**.

-**تقصدين نهاية درامية أليس كذلك ؟**

-**بلي ، و إجابة عن أشياء كثيرة انتظرت منك الإجابة عليها ، مثلاً** لماذا كانت **تبكي السيدة موريان في تلك الليلة ؟ لماذا أحمد سامي رجل مهذب إلي هذه الدرجة ؟**

-**علي الناس أن تدرك أنه ليس بالضرورة أن تنتهي كل الروايات بموت البطل أو بزواج الأمير و الأميرة ، أحياناً تكون النهاية هي أن الحياة تستمر فحسب ، بحلوها و مرها ، و ليس بالضرورة** أيضاً أن تكون كل التساؤلات مجابة.

-**هذه سخافة**.

-**صدقيني ، أكثر النهايات واقعية هي تلك التي تستمر فيها الحياة رغم كل ما مر به الأبطال**.

-**فليسترها الله معي ، أنا أجازف بنشر ذلك الكتاب حقاً**.

نهض من مقعده قائلاً...

-**تنشريه أو لا تنشريه ، هذا الأمر خاص بكِ وحدك ، مع** السلامة.

-إلي أين ؟

-إلي المنزل.

-ألن نحتفل ؟

-بماذا ؟

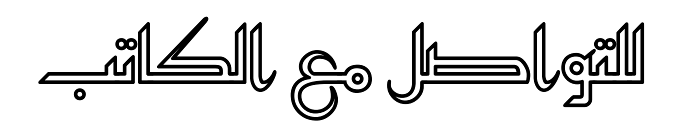
فغرت فاهي لثوان ثم ابتسمت في رضا قائلة...

-لا شئ ، إرحل...

الشئ الذي أنا متأكدة منه ، أن طارق ليس وغداً خالصاً ، بل هو يغلف نفسه بذلك الرداء حماية لذاته من شئ ما ، أو إخفاء منه لإحدي نقاط ضعفه التلي أج**هلها ، المهم أنه لا يترك فرصة لأحد أن يدرك تفاصيل شخصيته ولو للحظة واحدة**...

في ظروف أخري لم أكن لأرضي بتلك النهاية ، لكن الحقيقة التي لابد لي من الإعتراف بها ، و بعيداً عن أصول كتابة الرواية التي عهدتها ، أنه ليس شرطاً أن يتغير الأبطال في النهاية ، ليس شرطاً أن يصبح الوغد مهذباً فقط لأنه مر ببعض المواقف المحورية في حياته ، هناك تلك العيوب التي نتجاهل إصلاحها تماماً **و كأنها تمائم حظ ، لا أحد يحب فقدان سر تميزه الوحيد مهما بدا تافها**...

الآن صوت فيروز يغمر المقهي ، ليتك انتظرت قليلاً يا طارق...



facebook.com / notes.of.psycho

twitter.com / elmostafz

notes-of-psycho.blogspot.com

إنها رواية أخرى عن القرارات الجنونية التى نتخذها كل حين و آخر ، عن مشاعرنا حين ننجرف ورائها ، عن ذاك الشعور الغير مبرر بأن ذلك الخطأ الأكثر فداحة فى حياتك هو الحل الأمثل لمأساتك

عن النار حين توقن لسبب ما أن الماء سيحميها من الانطفاء

عن راجح داوود حينما اعتقد لسبب ما أن دفء العود سيكون رائعا اذا احتضنته موسيقى جنائزية باردة

حسني محمد

تصميم الغلاف: أحمد فرج